



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

دَعْوَى السَّفِيحَةِ

بِ

الْعَلِيَّةِ الْكُبْرَى

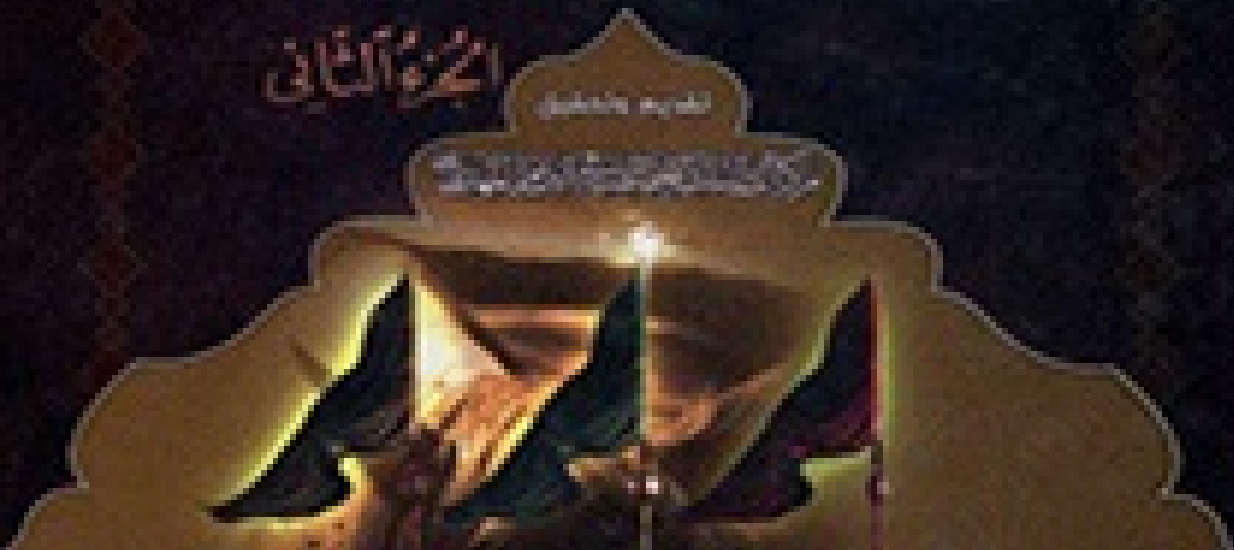
تأليف

سماح بنت الشيخ محمد محمد العبد

الجزء الثاني

تقديم

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى (٢)

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

محين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى الجزء الثانى
١٠	اشاره
١٠	اشاره
١٥	الفصل الأول: العقول والخواطر
١٥	عباده العقل:
١٩	مرتبه ومساحه حجيه العقل:
٢٤	الخواطر ومسؤوليه بناء الذات:
٢٤	فلسفه استعراض الماضى:
٣٣	الفصل الثانى: منظومه المعارف الدينيه
٣٣	اشاره
٣٣	المحور الأول: الدين:
٣٣	اشاره
٣٧	موالاه أهل البيت (عليهم السلام) من الدين:
٣٩	المحور الثانى: المله:
٤٠	المحور الثالث: الشريعه:
٤٠	المحور الرابع: المنهاج:
٤١	المحور الخامس: الطريقه:
٤١	المحور السادس: الحكمه:
٤١	اشاره
٤١	مساحات التشريع:
٤٤	بعض شبه العلمانيه:
٤٩	الفصل الثالث: فتنه البصيره
٤٩	فتنه البصيره أشد الفتن:

٥١	تفاوت البصائر:
٥٣	اليهود وفتنه العجل:
٥٦	الحكمه من فتن البصائر:
٥٨	النصارى وفتنه قتل عيسى (عليه السلام):
٦١	الفتنه محك البصيره:
٦٢	التوسل بالنبي وآله من الاختبارات في البصيره:
٦٤	تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيره:
٦٥	تنوع الآيات امتحان للبصائر:
٦٧	أصحاب الكساء ركن المهدويه:
٦٨	طريق تخطى فتن البصائر:
٦٩	حقيقه التباس الحجج:
٧٠	آتباع بقيه الأنبياء في زمن سيد الرسل ضلال:
٧١	جميع الأنبياء على دين الخاتم:
٧٧	الفصل الرابع: حقيقه ومراتب الحجج:
٧٧	حقيقه معرفه الحجج:
٧٨	معنى المتشابه:
٧٩	الحس يقين وطن:
٨٠	لا تقاطع ولا إقصاء في الحجج:
٨٣	حجبه الفقهاء في دوله الظهور:
٨٧	امومه بديهيات العقل في معرفه:
٩٢	أنواع الحجج مفتاح البصائر:
٩٣	مراتب الحجج:
١٠٧	تراتب حجبه الأئمه:
١١٥	الفصل الخامس: القواعد الرقابيه في معرفه:
١١٥	اشاره
١١٥	بديهيات العقل أولى القواعد:

- ١١٧ ضروريات دين الله ثاني القواعد:
- ١١٩ سنن الأنبياء ثالث القواعد:
- ١٢٤ مواقف الزهراء (عليه السلام) رابع القواعد الرقابيه:
- ١٣٠ منهج الأئمه خامس القواعد الرقابيه:
- ١٣٣ الواقع والاستكشاف فى الحجج:
- ١٣٥ أهميه الحورات العلميه الدينيه:
- ١٣٧ بين البصيره والتمرد:
- ١٣٨ الغلو والتقصير تعريف آخر:
- ١٤٣ القواعد الرقابيه وحفظ ثقافه أهل البيت (عليهم السلام):
- ١٤٩ القواعد الرقابيه والشلمغانى والعبرتائى:
- ١٥٢ بواعت الانحراف:
- ١٦٢ الفصل السادس: النيايه الخاصه
- ١٦٢ أصحاب السر:
- ١٦٧ التأويل مع الظاهر لا الضرورى:
- ١٦٧ تطابق الشريعه ظاهراً وباطناً:
- ١٧٠ سقوط الحجيه:
- ١٧٢ إمكانيه الانحراف والنائب الخاص:
- ١٧٤ السفير والنائب قد يفقد حجيته:
- ١٧٧ دعوه للتوازن:
- ١٧٨ ضروره الدراسات العقائديه:
- ١٨٠ الدليل الإبتائى للنيايه الخاصه:
- ١٨٢ خطوره السفاره ودليلها:
- ١٨٤ انضباط قنوات الحجيه للغيب:
- ١٨٨ شبهات عنكوتيه واهيه:
- ١٩٠ فى عصر المهديين الاثنى عشر:
- ١٩٨ الفصل السابع: حقيقه النيايه الخاصه والسفاره

- ١٩٨ أدلّه انقطاع النيايه الخاصه والسفاره:
- ٢٠٢ ضابطه صارمه علامه لعصر الظهور:
- ٢٠٥ منابع الشريعه:
- ٢٠٧ عدم حجيه تلقى غير المعصوم:
- ٢٠٩ افتراق الريب عن الفحص العلمى:
- ٢١٠ رفع اليد عن أدلّه اليقين مقابل توهمات:
- ٢١١ عدم حجيه إلهام أو رؤيه غير المعصوم:
- ٢١٢ الارتباط بالغيب نبوه أم إمامه أم للكل:
- ٢٢٢ تفاوت درجات الصدق:
- ٢٢٣ ضعف ومحدوديه الإدراك القلبي لغير المعصوم:
- ٢٢٤ كشف المعصوم القرآن والسنة:
- ٢٢٥ سبب اختلاف المعصوم فى التلقى مع غيره:
- ٢٢٦ العدالة تغاير العصمه:
- ٢٢٨ العلوم الغريبه المكتسبه ووهم إعجازها:
- ٢٢٩ توصيه روايات الظهور بخطوره الدجل:
- ٢٣١ التشرف برؤيه الإمام المهدي (عليه السلام) لا يعنى الحجيه:
- ٢٣٢ رياضات النفس وفعل الأعاجيب:
- ٢٣٦ حدود النيايه الخاصه والسفاره:
- ٢٣٦ ثبات فقه مدرسه أهل البيت ومصادره:
- ٢٣٨ ضروره الموازين فى قراءه الدين:
- ٢٤٠ كفر مُدعى السفاره:
- ٢٤٣ عناوين دعوى السفاره:
- ٢٤٦ حركات ونهضات رايات سنه الظهور:
- ٢٤٨ الخلط بين أحوال الرجعه وما قبل الظهور:
- ٢٤٨ حقيقه السفاره والنيايه الخاصه:
- ٢٥٦ الفصل الثامن: مفهوم الغيبه بين الافراط والتفريط

٢٥٤	الافراط والتفريط في الغيبة:
٢٦٢	حقيقته الغيبه والظهور:
٢٦٦	شواهد التصدى للإمامه الفعلية:
٢٧١	الغيبه والتقيه وقمه النشاط:
٢٧٣	لولا إداره الإمام لشؤون الحياه على الأرض لساخت:
٢٧٤	جهاز تدبير الإمام:
٢٧٨	معنى أعمق للغيبه:
٢٨٤	الفصل التاسع: التوقيت والظهور
٢٨٤	كيف ننصر الإمام المهدي (عليه السلام):
٢٩٧	التوقيت والتفاؤل:
٣٠٢	مصادر التحقيق:
٣١٢	تعريف مركز

دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى الجزء الثانى

اشاره

سرشناسه:سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پديدآور:دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى / تاليف محمد السند

مشخصات نشر:موسسه المحيين للطباعه و النشر، ۱۴۲۵ق. = ۲۰۰۴م. = ۱۳۸۳.

شابك:۹۶۴-۷۱۰۳-۶۲-X

وضعت فهرست نویسى:فهرست نویسى قبلی

یادداشت:چاپ قبلی: مکتبه الداوری، ۱۴۱۱ق. = ۱۳۶۹

یادداشت:عربی

یادداشت:چاپ ششم

یادداشت:کتابنامه به صورت زیر نویس

موضوع:محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. -- نیابت

موضوع:محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. -- رویت

رده بندی کنگره:BP۲۲۴/۴/س ۱۳۸۳۷د۹

رده بندی دیویی:۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی:م ۸۳-۳۵۳۲۷

ص:۲۶۸

اشاره

دعوى السفاره فى الغيه الكبرى

تاليف محمد السند

ص: ٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود هو الكمال وله مراتب متفاوتة وأعلى مراتبه هي مرتبه الكمال المطلق والوجود اللامتناهي وهو الحق سبحانه وتعالى الغنى المطلق مفيض الوجود لما عداه, فكل ما عداه مخلوق له محتاج إليه, وإن كل ما عدا الكمال المطلق لا بد أن يكون طالباً للكمال الأعلى والأشد.

وقد رسم الحق تعالى طريق تحصيل الكمال لمخلوقاته، وهو طريق حصري لا- بديل عنه ولا- استثناء فيه وهو طاعته تعالى والخضوع والانقياد له, فكل ما عدا الله تعالى لا بد أن يخضع ويتضعع ويطيع وينقاد إليه تعالى, والعقل من مخلوقاته تعالى فهو محتاج إليه ولا بد أن يكون سالماً لطريق العبادة والطاعة والانقياد, ففي الحديث عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل, ثم قال له: أدبر فأدبر, ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب, أما أنى إياك أمر, وإياك أنهى, وإياك أعاقب, وإياك أثيب» (1), لكن ما هي عبادة العقل؟ وما هو سجود وركوع العقل؟ هل هو هذا الانحناء الهندسي؟ أم له نوع خضوع خاص؟

لما كان العقل من الموجودات المجردة فليست عبادته كعبادة الموجودات المادية، إذ ليس له حركات كحركات البدن من الانحناءات الهندسية ونحوها، بل عبادة العقل خضوعه.

ص: ٢٧٣

وما هو خضوع العقل؟

هو تسليمه للحقائق، وإذعانه لها واستجابته لها وعدم تمرده وعدم طيشه على ما هو الحقيقيه، بل يسلم لها أى يخبت لها فهذه عباده العقل، فإذا سلم وخضع لما هو حقيقه وواقعيه حيثُ يكون العقل قد عبد الواقعيه المطلقه وهو البارى تعالى وهو الحق، فعباده العقل خضوعه وتسليمه للحق!

لذلك مُدح المختون فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيَةً كَأَنَّ لِي دُكْرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (١)** فالأخبات نوع تسليم وإذعان، فعباده العقل أن يسلم ويعرف الحقيقه والواقعيه، وكما أن الإسلام والتسليم يعُم شأن البدن وشأن الجوارح والجوانح والقوى وما شابه ذلك، فكذلك التسليم والإسلام والقبول يعُم شأن العقل أيضاً.

فإسلام العقل وتسليمه هو إذعانه للحقائق! إذن فللعقل عباده، وللعقل تسليم، وللعقل سجود وهو منتهى خضوعه، وللعقل ركوع وهو انحنائه أمام الحقائق وعدم تمرده وعدم طيشه عليها، ومن ذلك يظهر معنى قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٢)**، أى لتعبد أبدانهم ولتعبد قواهم النفسيه ولتعبد أرواحهم ولتعبد عقولهم المعبود الواحد، لذا فإن التمرد على الحقائق وعدم التسليم لنتائج البراهين يعتبر عصيانياً من العقل وعدم طاعه لخالقه، فإن الله تعالى اعتبر تسليم العقل لما وصل إليه بالدليل والبرهان هو عباده وطريق كماله.

ص: ٢٧٤

١- (١) الحج: ٣٤.

٢- (٢) الذاريات: ٥٦.

وقد يستبعد البعض هكذا عصيان من العقل ولا يتصور أن العقل يصل لحقيقه ولا يسلم لها، ولكن هذا الاستبعاد ناشئ من الغفله، فقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١)** فعلموا بأنه الحق والحقيقه ولكنهم لم يسلموا بها، والأعجب أن في الأزمنه المتأخره هناك من أنكر الحقائق بعد الاستدلال عليها، كما عن الرازى فى تفسيره لقوله تعالى: **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ٢** بعدما وصل إلى حتميه ولا بديه وجود شخص شهيد وشاهد على أعمال العباد فى كل أمة وقرن، ومن الواضح أن ذلك اعتراف بعصمه خليفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن كذلك إلاّ على (عليه السلام) فبعد اعترافه بكل ذلك يقول: (نحن نعترف بأنه لا بدّ من معصوم فى كل زمان إلاّ أنا نقول إن ذلك المعصوم هو مجموع الأّمه وأنتم تقولون ذلك المعصوم واحد منهم) (٢).

ص: ٢٧٥

(١-١) النمل: ١٤.

(٢-٣) قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** : اعلم أن هذا نوع آخر من التهديدات المانع للمكلفين عن المعاصى. واعلم أن الأّمه عباره عن الفرد والجماعه. إذا ثبت هذا فنقول: فى الآيه قولان: الأول: أن المراد أن كل نبى شاهد على أّمته. والثانى: أن كل جمع وقرن يحصل فى الدنيا فلا بدّ وأن يحصل فيهم واحد يكون شهيداً عليهم. أما الشهيد على الذين كانوا فى عصر رسول الله فهو الرسول بديل قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (البقره: ١٤٣)**. وثبت أيضاً أنه لا بدّ فى كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد فحصل من هذا أن عصرًا من الأعصار لا يخلو من شهيد على الناس وذلك الشهيد لا بدّ وأن يكون غير جائز الخطأ، وإلاّ لافتقر إلى شهيد آخر ويمتد ذلك إلى غير النهايه وذلك باطل، فثبت أنه لا بدّ فى كل عصر من أقوام تقوم الحججه بقولهم وذلك يقتضى أن يكون إجماع الأّمه حججه. قال أبو بكر الأصبم: المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشره من أعضاء الإنسان حتى أنها تشهد عليه وهى: الأذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان. قال: والدليل عليه أنه قال فى صفه الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الأعضاء لا شكّ أنها من أنفسهم. أجاب القاضى عنه من وجوه: الأول: أنه تعالى قال: **شَهِيدًا عَلَيْهِمْ** أى على الأّمه فيجب أن يكون غيرهم. الثانى: أنه قال: **فِي كُلِّ أُمَّةٍ** فوجب أن يكون ذلك الشهيد من الأّمه وآحاد الأعضاء لا يصح وصفها بأنها من الأّمه، وأما حمل هؤلاء الشهداء على الأنبياء فبعيد، وذلك لأن كونهم أنبياء مبعوثين إلى الخلق أمر معلوم بالضروره فلا فائده فى حمل هذه الآيه عليه. (تفسير الرازى ٩٨: ٢٠ و٩٩).

وكما عن الطبري بعد أن ثبت له أن المهدي (عليه السلام) أفضل من الأنبياء _ عدا سيد الرسل _ وأنه يقودهم, بل بعضهم يصلى خلفه بعد الظهور المبارك, فبعد كل ذلك لم يقبل ولم يسلم بأنه (عليه السلام) أفضل من الأول والثاني, حيث يقول: (لا تقل: إنه أفضل من الشيخين, بل قل: إن الشيخين ليسا بأفضل منه) (١) وهذا بعد استدلاله للأفضليه بقوله: (إنه خليفه الله وأنهما خليفتا رسول الله) (٢).

فالعقل قد يعصى خالقه ويترك عبادته وذلك عندما يجحد الحق والحقيقه ولا يسلم لها ولا يخضع بل يتمرد.

ص: ٢٧٦

١ - ١) إشاره إلى جملة من الأحاديث وردت عن طرق العامة بألفاظ مختلفه منها: «حتّى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر وعمر»، ومنها: «قد كان يفضل على بعض الأنبياء»، ومنها: «هو خير منهما ويعدل بنبي»، للوقوف على مصادر الروايات يراجع معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) ١: تحت الرقم ١١٥ - ١١٧.

٢ - ٢) المصدر السابق.

قال الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم في الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهره وحجة باطنه فأما الظاهره فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنه فالعقول» (١).

وقال الصادق (عليه السلام) لعبد الله بن سنان: «حجه الله على العباد النبي والحجه فيما بين العباد وبين الله العقل» (٢).

فإنّ لله على الناس حجتين حجة باطنه أو رسول باطن وهو العقل وحجة ظاهره أو رسول ظاهر وهو النبي ثم تأتي مراتب الحجج الأخرى ولا يمكن لحجه أن ترقى وتعلو إلى مرتبه أعلى من مرتبتها فإنّ مراتب الحجج والدلائل متسلسله ولا يمكن تخطيها، كما سيأتي بيان ذلك.

فضمن لآبديّه معرفه مراتب ومنظومه الحجج هو معرفه مرتبه حجيه العقل، ونتيجه عدم الالتفات لتلك المراتب وعدم معرفه حقيقه حجيه الحجج وقع البعض في إفراط وبعض آخر في تفريط.

فهناك من ارتكب الغلو والافراط في العقل البشري وقال بأن العقل يدرك كل شيء كما هو حال العلمانيين أو الغربيين، والحال أنه لو كان يدرك كل شيء لما احتاج للوحى ولما احتاج لتواصل سلسله الأبحاث العلميه!

فلعدم إدراك العقل لكل شيء وعدم الاحاطه بالحقيقه الوسيه احتاج الإنسان للسعى والاستمرار والتواصل في البحث والدراسه ليحصل الادراك شيئاً فشيئاً للحقائق فهي حركة ادراكٍ بطيئه كحركة النمل،

١-١) الكافي ١٦: ١/ كتاب العقل والجهل / ح ١٢.

٢-٢) الكافي ٢٥: ١/ كتاب العقل والجهل / ح ٢٢.

وهذه المسيره متواصله ولا تقف دائماً وأبداً، وهذا يكشف ويدلل على أن البشر لا يستطيعون ولا يصلون إلى الاحاطه بالحقيقه الواسعه، وهو اعترافٌ بأن العقل لا يمكن أن يدرك كل شيء ويكذب على نفسه ويخدعها من ادعى أنه يدرك كل شيء.

وهناك من فرط بالعقل وأنكر إدراكه أى ذهب إلى أن العقل لا يدرك شيئاً كالحشويين (1) وهناك من الفرق الضاله فى الغيبه الصغرى فضلاً عن الغيبه الكبرى قديماً وحديثاً إذ شطبوا العقل فأجازوا ارتكاب المحرمات والفواحش واستباحه الدماء وقتل الأنبياء وغير ذلك.

فإنّ العقل البديهي يحكم بالعدل وهؤلاء لما شطبوا العقل استباحوا كل تلك المحرمات، وكيف نتصور إلغاء حجيتة فإنّ العقل هو مبدأ الأمور وأن أسس الدين مستنده ومبنيه على بديهيات العقل فلا يمكن أن نتصور شريعته من شرائع السماء تناهض وتناقض وتخالف بديهه العقل، فإنه باتفاق كل علماء المسلمين وعلماء الكلام وكل الأديان والملل أن معرفه الله إنما تتم ببديهه العقل.

فلا يعقل أن تكون هناك شريعته من شرائع السماء تلغى ضروريات الكتاب أو ضروريات السنّه وتستحل القبائح أو تنهى عن المحاسن كيف ذلك والله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

ص: ٢٧٨

١ - ١) الحشويه: مصطلح يراد به كل مذهب يعتمد الآثار والروايات ويقصى العقل إقصاءً تاماً فلا يقرر عقائده وأصوله على أساس العقل وكان مما ينز به الحنابله والمشبهه من قبل المعتزله لشده التصاقهم بالأخبار واعتمادهم عليها فهم من كثره ما يعتمدون الأخبار يقولون: نجرى فى الصفات ما جاء كما هو، فيقولون: إن الله يداً على نحو الحقيقه وإن له لهوات وإنه يسير وينزل ويهرول وهكذا.

ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) والرسول (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» (٢) فالعقل يحكم بالعدل والإحسان و...

وعليه فالحق أنه لا إفراط ولا تفريط فلا نقول بأن العقل يدرك كل شيء كما لا ننكر إدراك العقل للأشياء، وهذا ما يظهر من سمو الدين الإسلامي ومدرسه أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في آخر روايه يرويها الكليني في كتاب العقل والجهل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل: «... إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به، العقل الذي جعله الله زيناً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم...» (٣).

فلا نغلو في العقل المحدود الذي لدينا فإن له مساحه في الاعتبار محدوده وهي مساحه البديهيات دون النظريات إلا أن تستند إلى الأولى بسداد، وإن بديهيات العقل رأس مال خطير، فإن مبدأ الأمور هو معرفه الله وهي تحصل بتوسط العقل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» أى باعتبار محدوديه مساحه العقل المحدود فهو لا يعرف تمام مكارم الأخلاق لذلك تتولّد الحاجه إلى الوحي ليرشد إليها فالعقل يحكم بحسن العدل وبقبح الظلم ولكنه لا يدرك مواقعه بتفاصيلها فمثلاً لا يدرك المفسد التي في زواج المحارم فيحتاج للوحي في بيان ذلك لأنه خارج مساحه حكمه، فيأتى الشارع ويقول بحرمة الزواج بالأم وبالأخت وبالخاله... الخ، فهناك مكارم أو مفسد لا يدركها العقل

ص: ٢٧٩

١- (١) النحل: ٩٠.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ٨؛ بحار الأنوار ٢١٠: ١٦.

٣- (٣) الكافي ٢٨: ١/ كتاب العقل والجهل / ح ٣٤.

من نفسه فيأتى دور الوحي ويهدى العقل إليها، فالعقل يدرك أصل الفاحشه والرذيله لأنها قبيحه، أما دوائرها الوسيعة فلا يدركها إلا بهدايه الوحي.

فللعقل البشرى دائره إدراك محدوده وهو حجه فيها وهى دائره البديهيات ولا يمكن إنكار اعتبار حكم العقل فى هذه الدائره المحدوده.

لاحظ عبارته الإمام الرضا (عليه السلام) التي رواها الشيخ الصدوق في اعتقاداته حيث كان (عليه السلام) يقول في دعائه: «... اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا... اللهم أنت خالقنا وخالق آباءنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الآلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراء عيسى (عليه السلام) من النصارى، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» (1). يشير الرضا (عليه السلام) إلى أن هناك بديهه عقليه وهى أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد وحجيه هذه البديهه لا يمكن أن تقتلع أو تقصى أو أن تزال، وإنما حجيه العقل فى دائره البديهيات لا فى دائره النظريات التى لا تستند إلى البديهيات فضلاً عن التى تصادمها فبعض الحجج هى فى صداره الحجج والقمه، لكن فى أى مساحه هى لها الصداره فى القمه؟ كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) فى آخر روايه يرويها الكليني فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل: «... إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شئ إلا به، العقل الذى جعله الله زيناً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف

ص: ٢٨٠

العباد خالقهم...» (١) فكيف يتسنى للإنسان بديهة العقل أن يؤمن بتوحيد الله؟! ثم يتابع الإمام الصادق (عليه السلام) لكن العاقل علم بأن عقله محدود ولا يهديه إلى كل مراضى الله ولا يجنبه عن كل ما يسخط الله فمن ثم اضطر وأذعن بضروره إرسال الله للرسول كي يهدونه، لأن مساحه ومنطقه حجيه عقل الإنسان محدوده، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، ففي حديث طويل للإمام الصادق (عليه السلام) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارته وبه عرف الله وهكذا عرفت صفاته الكماله وبه عرفت جميع الكمالات قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «ان العاقل لدلاله عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم ان الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبه وأن له كراهيه وأن له طاعه وأن له معصيه فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا- يوصل إليه إلا- بالعلم والأدب وأنه لا- ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلا به» (٢) فهذه ملحمه معرفيه عظيمه يثيرها الإمام الصادق (عليه السلام) وهى أن بديهه العقل مبدأ الأمور أى فى مساحه البديهيات وهى منطقته محدوده، وتعيدها إلى دائره النظريات دون وحى السماء فيه إضلال.

ص: ٢٨١

١-١) الكافي ٢٨: ١/ كتاب العقل والجهل / ح ٣٤.

٢-٢) الكافي ٢٨: ١/ ح ٣٤/ كتاب العقل والجهل، قال الشيخ: (أ) هذا الحديث وضع تحت الرقم (أ) ويليه حديث آخر تحت الرقم (ب) وهذان الحديثان هما آخر ما رواهما الشيخ الكليني أعلى الله مقامه الشريف فى كتاب العقل والجهل الذى ينتهى بأربع وثلاثين روايه، عده من أصحابنا عن عبد الله البراز عن محمد بن عبد الرحمن بن حماد عن الحسن بن عمّار عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل جاء فيه: قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «إن العاقل بدلاله عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبه وأن له كراهيه وأن له طاعه وأن له معصيه فلم يجد عقله يدله على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلا به».

فحجبه العقل فى البديهيّات مبدأ يتقدم على الإيمان بالله وعلى المعرفة بالله.

والفرق الضالّه والمنحرفه لما أقصت ولم تعتبر بديهيّات العقل ولم تقم لها وزناً وقعت فى الزيغ والشطط والضلال وانتشار الأباطيل... وما ذلك إلا لأنهم ضيعوا هذا الركن الركين وهو منطقهُ بديهيّات العقل, فإنّ الدين لا يقصى ولا يلغى العقل بتاتاً, أى حجّيته فى منطقهِ ودائرهُ محدوده وهى البديهيّات.

أما فى دائره النظريات فادراكه ليس قوياً فيحتاج إلى الوحي وهدايه السماء ولا يمكن ادعاء أنه يدرك كل الحقائق والأشياء, فالعقل هو الحجّه الباطنه التى يستند عليها لمعرفة مبدأ الأمور وهو الله ثمّ يتمم ذلك بالحجّه الظاهره وهى الرسل والأنبياء فهذه مساحه حكم وادراك العقل ومرتبهُ حجّيته ثمّ تأتي مراتب الحجج الأخرى.

الخواطر ومسؤوليه بناء الذات:

عندما وصل إلى مسامع الإمام الصادق (عليه السلام) أن جماعه يؤلّهونه كان على الدوام يخزّ الله باكياً شاكياً متبرماً متبرئاً من هذه الفرق المنحرفه الخارجه عن الجاده والصراط المستقيم وفى كل حالاته يخضع لله (عزوجل) باكياً بكاءً شديداً, فيخاطبه أصحابه: يا أبا عبد الله يا جعفر بن محمّد إن هذه مقوله أولئك وما عليك أنت منها, فيقول (عليه السلام) كما روى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفه دخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) (فأخبرته) بذلك فخر ساجداً وألّزق جؤجؤه _ أى أعلى صدره _ وبكى وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبدُ الله قن داخر (صاغر)» مراراً

كثيره، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخباري إنيّاه فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصره، ولو سكت عما قال فيّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري» (١).

فعلى الإنسان تجاه الفكره والخاطره مسؤوليه، وهذا مثال لامتحانات الأنبياء والأولياء مع كونهم معصومين، ولكن المقصود بيان مسؤوليه الخاطره والفكره.

كما يُريد ذلك الفقيه الأخيره في روايه الرضا (عليه السلام) المتقدمه «اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» إذ فيها إشاره واضحه للمسائله والحساب على الخاطره.

والاعتراض بأن الحساب والمسائله إنما على العمل دون مجرد التيه فضلاً عن الخاطره، ومجرد الفكره لا حساب عليها. قال تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٢).

جوابه: أنه قد ذكر علماء الأصول في بحث التجري أن التجري القلبي قبيح ومذموم عقلاً والإنسان محاسب عليه وإن كان البارى تعالى يعفو عن نيه السوء ما لم تخرج إلى صعيد العمل فضلاً عما لو أصبحت الفكره عقيدته إذ تتحول إلى عمل جوانحي.

العمل من جوارح البدن ولا عقاب على مجرد فكره وخاطره، أما

ص: ٢٨٣

١-١) خاتمه المستدرک ٢٦٨: ٥، عن رجال الكشى.

٢-٢) ق: ١٨.

إذا كان العمل نفس الاعتقاد والاعتقاد ليس عملاً جوارحياً، فالحساب والعقاب حينئذٍ على نفس ذلك الاعتقاد أى على الفكره.

فالمسأله إن كانت اعتقاده فهى ميدان ومجال العمل والتطبيق فيها نفس الخاطره ونفس الفكره وفى هذا بحث، فهل المراد بها الميول أم الانجذاب أم الشبث؟

فالإعتقاد والخاطره عملٌ جوارحى وقلبى وبالتالي فهو نوعٌ من الاعتقاد والإيمان قال تعالى: الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (١) فأفعال القلب يحاسب عليها الإنسان إذا كانت المسأله اعتقديه.

نعم إن كانت المسأله من الأمور الجوارحيه التى يأتى بها البدن فالخاطره مع ذلك يتعلّق بها الذم وكذا استحقاق العقوبه إذا كانت هناك نيه معصيه, كما يقرّر ذلك أكثر الأصوليين من باب التجرى.

وفعل عيسى (عليه السلام) أو الإمام الصادق (عليه السلام) من الشكايه والتبرم والبكاء له تفسير على وفق القواعد الفقهيّه أيضاً لأن أحد مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الموقف القلبى والفكرى, فحتّى الفكره نحن مسؤولون عن الموقف تجاهها.

فلسفه استعراض الماضى:

ومن هنا نعلم وجه ذكر الأحداث الماضيه للأمم السابقه, فالقرآن كأنما يستدرجنا لامتحان موقفنا تجاه تلك الأحداث كقتل قابيل هايبيل وغيرها, فالذى يعيننا هو أن نحدد موقفاً ندين قابيل فى قتله لهايبيل أى

ص: ٢٨٤

(١ - ١) التوبه: ٤٥.

نتضامن مع هايبيل وندين قابيل فمع أن الموقف قلبى إلا- أن سعته أوسع من المقطع الزمانى الذى نعيشه، فوجود الإنسان ذو درجات وطبقات (روح وعقل وقلب) وجود الإنسان لا- يحبس ولا يسجن فى بيئه البدن الزمانيه، بل له بيئه وسيعه تستشرف الماضى والمستقبل بتوسط المعرفه والادراك، لذلك يطالبنا القرآن الكريم دوماً بموقف حتى تجاه الأفكار والخواطر، فهو (هذا الموقف) داخل فى قضيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القلبى، الذى لا يسقط لأنه لا يمكن أن يخضع لإرهاب أو إرهاب أو ضغط ونحوه، فهو واجب فكرى قلبى روحى لا يسقط بحال ويُمْتَحَن به الإنسان ويفتتن به.

وبعبارة أخرى نحن مسؤولون عن الموقف القلبى والميولات والأفكار، هل نتضامن فيها مع قابيل فيما فعله أم مع هايبيل، هل نتضامن ونؤيد جانب الحق أم جانب الباطل؟!

فتلك القصص يذكرها القرآن من ظلمات المظلومين لنكته وهى أنا مطالبون بموقف ولو قلبى نحاسب ونسأل عنه.

فهذه الأحداث وإن كانت فى غابر الأزمان إلا أنها تنخر فى جسد الأمة وفى عقل البشريه وتعمل فى تكوين هويتها لأنّ البشريه تعيش كأنما فى بيئه واحده وفى سطح واحد وإن تقاسمتها الأزمان والأجيال لكنها بيئه واحده مجتمعته فى الهويه الإنسانيه فى مرتبه العقل وفى مرتبه الروح فكأن البيئه واحده وكأن الزمان واحد وكأن المقطع واحد.

إذن القرآن الكريم يخاطب قوه الفكر وامتحان الفكر والعقل كما يحدثنا عن أصحاب الأخدود وغيرهم من ظلمات المظلومين فى سلسله التاريخ.

فالقرآن الكريم يربى المسلمين فى كل سوره وكل آيه يقرءونها من خلال اتخاذ موقف تجاه الأحداث الماضيه وحتى اتجاه الأحداث اللاحقه بل حتى فيما وراء الدنيا لأن الذى يصنع هويه الإنسان ومركز التحكم فيه هو العقل, وموقف العقل يستشرف الأزمان فلا تحده الفترات الزمانيه ولا البقع الجغرافيه ولا عالم من العوالم, فالعقل يستشرف عوالم عظيمه.

فبالعقل تكون الهويه والبطاقه الشخصيه للشخص وللأمم وللشعوب وللملل, فصياغه الهويه مرهونه بصياغه العقل والمعرفه والبصيره, فتلك الأمه هل هى أمه فاتكه أم مسالمه, وظالمه أم عادله... ذلك مرهون بمعرفه تلك الأمم وصياغه البصيره عند أفرادها.

وهذا ليس بمنهج قرآنى فحسب بل موجود فى ثقافه الشعوب والمجتمعات وإنما يشير إليه القرآن.

فمثلاً فى الآونه الأخيره برزت بين اليابان والصين أزمة علاقته شديده شعباً ودوله بناءً على موقف رئيس الوزراء اليابانى من زياره قبور قيادات الجيش اليابانى الذين قاموا بمذبحه ومجزره فى الحرب العالميه الأولى تجاه الشعب الصينى حيث إن الزياره تعتبر تضامناً وتأييداً.

فبناءً على هذا الموقف من تلك القضيه تتحدد طبيعه العلاقات بين الدولتين والشعبين مع أنها قضيه تاريخيه ماضيه فى غابر التاريخ وأنهم يرون بأن الموقف اليابانى تجاه تلك القضيه التاريخيه يحدد الوضع الحالى بين الشعبين, هل هو عدوانى أم لا؟ وهل هذه الدوله والشعب دوله عدل وإنصاف أم لا؟

فالتاريخ يصنع ويكُون عقليه ونفسيه الأمه البشريه وهذا هو الذى يركز عليه القرآن.

من هنا نفهم كيف أن قول الإمام الحسين (عليه السلام): «كونوا أحراراً في دنياكم» (١) هي صرخه ونداء لكل الأجيال.

فالذين يتسائلون: لماذا أنتم تحيون ذاكره التاريخ في عاشوراء؟ فنجيبه: إننا لسنا ممن يدعو إلى ذلك من أنفسنا بل هي دعوه القرآن لنا.

إذ القرآن يدعونا إلى استعراض كل سلسله المظلومين والتضامن معهم والتنديد والادانه للظالمين وعبر تلك الأحداث التي يدعونا القرآن لذكرها كواقعه كربلاء, فنحن لا زلنا نمتحن بواقعه كربلاء من خلال إبراز موقف منها, لأن القرآن الكريم والفقهاء يطالب بتحديد موقف قلبى وفكرى من معسكرات الحق والباطل وهو كله امتحان فإحياؤنا لعاشوراء ليس إلا لدعوه القرآن الكريم لذلك.

وفى السُّيْنَةُ كذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «المرء يحشر مع من أحب حتى لو أحب أحدكم حجراً حشر معه» (٢)، عن عطيه سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «من أحب قوماً حشر معهم, ومن أحب عمل قوم اشرك في عملهم...» (٣) الخبر، وهلم جراً.

وهذا ما سيأتى بيانه من كونه أحد معانى الامتحان والافتتان

ص: ٢٨٧

١ - ١) البدايه والنهايه لابن كثير ٢٠٣ : ٨/ صفه مقتله مأخوذ من كلام أئمه الشان، فقال لهم الحسين: «ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا- تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوى أحساب امنعوا رحلى وأهلى من طغياتكم وجهالكم»؛ ومن مصادرها جاء فى لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ١٨٥، فصاح الحسين (عليه السلام): «ويلكم يا شيعه آل بنى سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً فى دنياكم».

٢ - ٢) تفسير ابن عربى ٤٢ : ١؛ وصحيح البخارى ١١٣ : ٧/ كتاب الأدب؛ وصحيح مسلم ٤٣ : ٨؛ ومسنده أحمد ٢٤٠ : ٤، ٣٩٥، ٤٢٥.

٣ - ٣) مستدرک الوسائل / النورى ١٠٨ : ١٢.

الفكرى والقلبي فنحن دوماً فى امتحان مع تلك الهواجس العقليه والنفسيه ولا يظن أنه قد شط بنا التاريخ عن الأمم السابقه بل لا زلنا نعيش معهم فى بيئه وجوديه واحده, كل ما أصيبت به الأمم السابقه من امتحانات وتجاذبات وصراعات يكلفنا الدين الإسلامى بموقف منها بضروره الفقه وقاعده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان قليلاً.

فنحن فى امتحان مستمر من هذا الجانب وهو منهج قرآنى تربوى حيث يكرس القرآن الكريم ويربينا على ندبه ونصره المظلوم وورثاءه والتنفر من الظالم, ويعتمد القرآن الكريم فى هذه التربيه على عقل وفكر الإنسان لأن صنع الإنسان وتربيته ومركز التحكم فيه هو عقله ودركه ومعرفته.

وبتوسط هذه المعرفه يستشرف الإنسان الدنيا من أول وجودها إلى يوم القيامه, بل يستشرف العوالم الأخرى لا الدنيا فقط, وبذلك تترقى مسؤوليه الإنسان, ويربينا القرآن الكريم على الانجذاب إلى الجنه والخوف من النار, فمطالبه القرآن لنا بالانجذاب للجنه والنعيم والخشيه من النار ونقمه الله وسطوته هى فى حين كونها تربيه قرآنيه فهى طريقه معرفيه إيمانيه, فإن الإيمان عمل يتقوم بالمعرفه وهو من أعظم أعمال المخلوق.

ثم إن عصاره الامتحانات وتكريسها من أول الدنيا إلى يومنا هذا تقع فى كيفيه الثبات بشكل مستقيم وسديد فى الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام) ومنظومه هذا الاعتقاد وما يلابسها من إثارات وشبهات والتباسات وتعويجات ونحوها.

* * *

ص: ٢٨٨

اشاره

إذا كانت لدينا مجموعه حجج فلا بدّ من تنظيمها بحيث لا تتقاطع مع أن لكل مرتبه منها حق التشريع والاتباع فكيف تنظم وما هي مساحه حجيه كل منها؟!

لولا حظنا جمله من الآيات والروايات يتضح لدينا أن في منظومه التشريع والمعرفه الدينيه سته محاور هي: الدين والمله والشريعه والمنهاج والطريقه والحكمه, ونحتاج لتصوير وبيان مبسط لكل واحد من هذه المحاور الستة:

المحور الأول: الدين:

اشاره

الدين هو ضرورات وفرائض الله تعالى، أى أصول الأركان وضروريات فرائض الله تعالى, فدائره الدين هي العقائد وأركان الفروع أمهات وأصول الواجبات وأصول أمهات المحرّمات، وهذه الدائره موحده بين جميع الأنبياء والرسل إذ بُعثَ جميع الأنبياء بدين واحد, كما فى قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١)، وهذا الدين هو الدين الإسلامى كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٢) فكل الأنبياء كانوا على دين الإسلام، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ص: ٢٩١

١- (١) الشورى: ١٣.

٢- (٢) آل عمران: ١٩.

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١) فكل الأنبياء والرسل جاءوا بتوحيد الله ونبوه سيد الرسل ووصايه سيد الأوصياء والمعاد، ومن ثمَّ الكل مأمورون باتباع دين الله، قال تعالى: أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٢) أى التسليم لله بالتوحيد والعدل والنبوه والإمامه والمعاد.

وهذا الدين يتجاوز محيط النشأه الأرضيه ودار الدنيا فيرتبط بعوالم أوسع سرمديه إلهيه كعالم ما قبل الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخره، فالدين ثابت لا يتغير ولا يُنسخ إنما النسخ فى الشرائع _ كما سيتبين _ هذا فى الدين الصحيح بغض النظر عن تحريف بعض أتباع الأنبياء لذلك الدين كما حُرِّفَ عند اليهود إلى اليهوديه وعند النصارى إلى النصرانيه... فقد يُنسب النسخ مسامحه للدين بعد تحريفه كاليهوديه والنصرانيه، وإلا فإنَّ تغيير بعض الأحكام فى الدين من الفرائض والضروريات كانكار نبوه سيد الرسل، ومن أركان الفروع كانكار بعض الواجبات وغيرها، فإنَّ هذا لا يعد نسخاً وإنما تحريفاً للدين، فإنَّ أصول الأركان وضرورات فرائض الله دائره موحده بين جميع الأنبياء والرسل وليس من صلاحيات أى نبي أو رسول أن يتخطى هذه الدائره فضلاً عن غيرهم فهى دائره ليست قابله للنسخ فلا يتصور نسخ التوحيد ولا نسخ المعاد ولا نسخ لنبوه سيد الرسل محمَّد (صلى الله عليه و آله) ولا نسخ لوصايه سيد الأوصياء على بن أبى طالب (عليه السلام) ووصايه الأئمه من بعده (عليهم السلام)، فإنَّ رساله سيد الرسل ووصايه سيد الأوصياء عقيدته فى دين الله وليست مختصه بشريعته محمَّد (صلى الله عليه و آله).

ص: ٢٩٢

١-١) آل عمران: ١٠٢.

٢-٢) آل عمران: ٨٣.

فإنّ ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة الطاهرين عقيدته في الدين قد بشر بها جميع الرسل السابقين، لذا قال تعالى في يوم غدير خم: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (١)** فهو يوم إكمال الدين وليس إكمال الشريعة لأنّ ولاية علي (عليه السلام) من العقيدة وليست من تفاصيل فروع الدين الجزئية، فولايه أمير المؤمنين لما كانت عقيدته والعقيدة من الدين والدين واحد وقد بعث كل الأنبياء به لذا فإنّ جميع الأنبياء بعثوا بولاية علي (عليه السلام)، فهذه دقائق لطيفه في الآيات يجب أن نلتفت إليها.

ولذا كان جميع الأنبياء يبلغون بنوهم محمّد (صلى الله عليه وآله) ووصايه علي (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام)، بل يبشرون بدوله الحق والعدل للمهدي (عليه السلام) قبل تبليغ شرائعهم لأنها من الدين والدين واحد وهو الله، فالأنبياء يبلغون دين الله تعالى ثم يبلغون شرائعهم، من هنا يتضح لنا لماذا كان جميع الأنبياء يتقربون لله تعالى بطاعه ومحبه وموده محمّد وآله، ولم كانوا سيكون علي مصاب الحسين (عليه السلام) قبل واقعه الطف، فما ذلك منهم إلا لأنّ محبه وموده أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وهو الإسلام، وأن جميع الخلق لا بدّ أن يدنوا لله تعالى بهذا الدين الواحد بما فيه من العقائد والأركان والتي منها محبه وموده محمّد وآله (عليهم السلام) وأن عقيدته الإمام المهدي (عليه السلام) من الدين وليست من الشريعة تبعاً لولايه أمير المؤمنين، فإنّ جميع الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانوا يعتقدون به، بل وإن تبليغهم وإرشادهم الناس كان تمهيداً لدولته المنشوده.

ص: ٢٩٣

ومن ضعاف العقول أو ممن يدجل في الدين من يحاول عبثاً أن يجعل عقيدة الإمام المهدي (عليه السلام) عند الناس عقيدة وليده الأزمنة المتأخرة، وأنه بعد أن عانت بعض المجتمعات من الظلم والطغيان فكانوا يؤملون ويمنون أنفسهم بوجود مخلص ومنقذ، حيث يقول بعض ضعاف النفوس: إن عقيدة الإمام المهدي (عليه السلام) استحدثتها حركات التحرر التي تعبىء وتنهض الساحة الجماهيرية من خلال هذه الأفكار.

ولكن الصحيح أنه لا يمكن الاتيان بعقيدة أو فكره في الدين لم تكن مقبولة سلفاً عند المجتمعات ذات الاتجاه الديني، فالحركات الثورية حتى لو أرادت تعبئه الجماهير من خلال الدين فلا بد أن تستخدم مسلمات موجوده سلفاً في الثقافه الإسلاميه، وحينئذ نقول: إن الأمر بالعكس، فإن اعتماد الحركات الثورية التحررية على عقيدة الإمام المهدي لاستنهاض الجماهير يكشف عن رسوخ هذه الفكرة في عقيدة الناس وتدل على أن هذه عقيدة مسلمه وملتقاه من الأنبياء وخصوصاً سيد الرسل (صلى الله عليه و آله) وأن استخدامها في أدبيات حركات التحرر إنما كان اعتماداً على هذه المفروغيه وإلا لما آمن بذلك أحد منهم.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة الإمام المهدي (عليه السلام) ضمن عقائد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المدارس الدينيه بناءً على وجود خلاف في هذه المسأله ولكن الصحيح أن كل المدارس الدينيه وخصوصاً الإسلاميه تعتقد بالإمام المهدي، نعم هناك خلاف في بعض الجزئيات والمشخصات له (عليه السلام) كاسمه الشريف أو اسم أبيه ونحو ذلك، فالكل يعتقد بأن المهدي يظهر في آخر الزمان وهو من ولد الرسول (صلى الله عليه و آله) بل ومن ولد على وفاطمه (عليه السلام) وأنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، كما هو الحال في حديث خلفاء

الرسول الاثنى عشر وأن كلهم من قريش الوارده عن العامه، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «هذا الأمر لا ينقضى حتى يَمْضَى فِيهِمْ إِثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»، قال: ثم تكلم بكلام خفى على، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (١).

وهذا بيان نظري لدفع مثل هذه الشبهه من هذا الجانب وإلا فإنه قد ثبت من طريق الشرع وبالروايات المتواتره عند كل من الفريقين أن مسأله الإمام المهدي (عليه السلام) مسأله عقديه أى من الدين ومما لا بد أن تثبت بأدله قطعيه لا بالظن والاحتمالات.

موالاه أهل البيت (عليهم السلام) من الدين:

فى القرآن الكريم والسنة النبويه منهجه تربويه لبيان أن موده ومحبه والاعتقاد بأفضليه أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وليس من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: فِى بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٢)، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (٣).

يذكر السيوطى وهو من أهل السنة فى كتاب الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريده قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذه الآية: فِى بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها _ لبيت على وفاطمه _ قال: «نعم من أفاضلها» (٤).

ص: ٢٩٥

١-١) صحيح مسلم النيسابورى ٣/٦: كتاب الإماره/ باب الناس تبع لقريش والخلافه فى قريش.

٢-٢) النور: ٣٦.

٣-٣) النور: ٣٧.

٤-٤) الدر المنثور ٥٠: ٥/ تفسير سوره النور.

فالنبي (صلى الله عليه وآله) لم يقل: (نعم منها) بل قال: «من أفاضلها»، والملفت للانتباه أن علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنهما من الأنبياء، فما الذى دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العلقه بين بيت على وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟

وما ذلك إلا كاشف ودال على أن القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وآله) لهم تربيته خاصة للمجتمع الإسلامى ولوسط المسلمين بأن أهل البيت (عليهم السلام) حجج معصومون، وبالتالي هناك مناسبة أنه إذا قيل شىء فى الأنبياء قيل شىء أيضاً فى الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز فى عقليه المسلمين أن علياً وفاطمة حجج، بل لهم أفضليه على الأنبياء _ طبعاً إلا سيد الرسل (صلى الله عليه وآله) _، والملفت للانتباه أن هذه الروايه ليست من طرقنا بل من طرق العامه، وعلى ضوء مفادها لا بد أن يلتزموا بأفضليه أهل البيت (عليهم السلام) وإلا فماذا يعنى أن بيت على وفاطمة من أفضل بيوت الأنبياء؟

وعليه فإن بيوت أهل البيت (عليهم السلام) بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهى ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التى شعرها الله تعالى فإن مراقدهم (عليهم السلام) من المشاعر بروايات أهل السنيّه فضلاً عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد، إذ المسجد ربما تنتهى وقفيته أو يزال لسبب ما كضروره إقامه شارع ونحوه، فإن الضرورات تقدر بقدرها، أما المشعر فلا فإنه كالمزدلفه ومنى وغيرها من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: (هذه بيوت شعّرها الله فهى أعظم من المساجد) (1) فهذه المراقده الشريفه يجب أن تعمر وتعظم بنص كل

ص: ٢٩٦

١ - ١) كشف الغطاء: ٥٤/ عند قراءه الفاتحه بعد الطعام ورجحان الشعائر الحسينيه، عن كتاب الشعائر الحسينيه بين الأصاله والتجديد للمصنف.

المسلمين، وكذا أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الروايه عند المسلمين وهذه من الدين.

المحور الثاني: المله:

المله باختصار هي الأعراف الحسنه التي يجذرها الأنبياء، فمن مله إبراهيم (عليه السلام) التوحيد الحنيف لذا لا نتصور نسخ المله في جملة من مواردها لأنّ المله تتضمن أعرافاً حسنه مسلمه عند كل الأنبياء فلا تقبل النسخ في تلك الموارد، فالنبي إبراهيم (عليه السلام) بنى أعرافاً تبقى حتى لو فرضنا نسخ ما جاء به من شريعته، كما أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بنى أعرافاً لم يكن النبي إبراهيم (عليه السلام) قد بناها، وعليه فللنبي محمد (صلى الله عليه وآله) مله أيضاً، ولكنها ليست مله أخرى غير مله إبراهيم (عليه السلام) بل هي مكمله ومتممه لها، حيث يقول سيد الرسل (صلى الله عليه وآله): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)، فإنّ المجتمع آنذاك كان لديه الكثير من الأعراف الحسنه التي ورثها عن إبراهيم (عليه السلام)، ثم جاء نبي الرحمه ليجذرها ويكملها ويتممها فيكون هو النبي الخاتم بحق حيث أكمل كل المحاور الستة في منظومه علاقته المخلوق بالخالق.

فعندما يقال: إن النبي محمّداً (صلى الله عليه وآله) على مله إبراهيم أي ليست ملته مخالفه لمله إبراهيم لأنها مله واحده جاء ببعضها إبراهيم (عليه السلام) ثم تممها سيد الرسل (صلى الله عليه وآله)، وإلا فإن إبراهيم (عليه السلام) تابع لدين محمد (صلى الله عليه وآله).

ص: ٢٩٧

١-١) جامع أحاديث الشيعة/ السيد البروجردى ٢١٤: ١٤/ الباب ٦٣ باب مكارم الأخلاق/ ح ٢٣٠٩ (٢٥)؛ مجمع البيان ٩ و ٣٣٣
١٠:، روى عن النبي قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

المحور الثالث: الشريعة:

الشريعة هي عبارته عن تفاصيل أحكام الأصول كتفاصيل أحكام الصلاة وتفاصيل أحكام الصوم... وهذا المعنى مناسب جداً لأصل معنى اللفظه لغيره.

قال تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاً وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١) فكل نبي له شريعه تخصه يبين فيها ما يناسب قومه من تفاصيل أحكام الدين وينسخ ما لا يناسبهم من تفاصيل الأحكام التي بينها من سبقه من الأنبياء، فتسمى تلك التفاصيل شريعه وتنسب لذلك النبي وتسمى باسمه فيقال شريعه موسى وشريعه عيسى وشريعه محمد (صلى الله عليه وآله).

فإذن حجية الرسول محدوده في الشرائع وليست في فرائض الدين، فليس للنبي أن يبدل فرائض وضرورات دين الله، وإنما يشبها أولاً ثم يغير في تفاصيل الأحكام بما يناسب قومه، أي ينسخ الشريعه السابقه ويأتي بشريعه جديده، وهذا من صلاحيات وشأن الأنبياء (عليهم السلام).

المحور الرابع: المنهاج:

المنهاج هو ما يخطه الأوصياء تبعاً لشرائع الأنبياء وقد مرّ قوله تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاً (٢)، لذلك نقول في دعاء التوجه: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملة

ص: ٢٩٨

١ - (١) المائدة: ٤٨.

٢ - (٢) الآية السابقه.

إبراهيم ودين محمد (صلى الله عليه وآله) وهدى على _ وفي بعض النقول _ ومنهاج على» (١).

المحور الخامس: الطريقه:

الطريقه هي الاستقامه على تلك المحاور الأربعة قال تعالى: «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (٢)، فالدين لله والشريعه للأنبياء والمنهاج للأوصياء والأئمه.

المحور السادس: الحكمة:

اشاره

وهي حسن التدبير في تطبيق كليات الفرائض والشرائع على الموارد الجزئيه كما في قوله تعالى: «ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ» (٣)، وقوله تعالى: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (٤).

مساحات التشريع:

ليس من صلاحيات الأنبياء نسخ الأديان أو تغييرها، بل إن الدين واحد مطلقاً، ولهم نسخ الشرائع السابقه والاتيان بشريعه جديده. وليس من صلاحيات الأوصياء نسخ الشرائع، نعم لهم بيانها ومنهجتها.

ص: ٢٩٩

١- ١) ذكر الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد في فصل في سياقه الصلوات في (ص ٣٦) ١٤/٤١: ثم يكبر تكبيرتين أخيرين على ما وصفناه ويقول: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم ودين محمد ومنهاج على حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

٢- ٢) الجن: ١٦.

٣- ٣) الإسراء: ٣٩.

٤- ٤) البقره: ١٢٩.

ومن باب التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى وبيان علاقته المساحات التشريعية في الدين والشريعة والمنهاج نذكر هذا المثال، وهو علاقته وارتباط التشريعات الدستورية ثم النيابية ثم الوزارية ثم البلدية حسب ما هو موجود في القوانين الوضعيه، فهذه المراتب التشريعية الأربع في القانون الحديث لا يحصل فيها تجاوز ونسخ من الدانى للعالى، فالتشريع النيابى فى ضمن هيمنه التشريع الدستورى والتشريع الوزارى فى ضمن هيمنه التشريع البلدى فى ضمن هيمنه التشريع الوزارى، فالتشريع النيابى امتداد وانحدار وتنزل للتشريع الدستورى، والتشريع الوزارى امتداد وانحدار للتشريع النيابى وهكذا، فطبيعه علم القانون وعلم الأحكام طبيعه توالديه تنزليه انحداريه تشعيه أى تتشعب كلما انحدرت وتنزلت فهى عبارته عن معادلات ودوائر تتوالد منها دوائر ومعادلات أخرى.

فالدين هو فرائض الله، يأتى بعده سنن الأنبياء وشرائعهم، وهى ليست بديلته ولا رافعه ولا ناسخه لتشريعات فرائض الله بل هى امتداد وانحدار وتوالد وتنزيل لفرائض الله لمرتبته أقرب للمصاديق، ثم تأتى منهاج الأوصياء ويعبر عنها سنن وطرائق الأئمة وهى أيضاً تشريعات تأتى بالمرتبته الثالثه بعد تشريعات الله والأنبياء.

فتشريعات الأنبياء محكومته ومحدوده وفى ظل هيمنه التشريعات الإلهيه، وتشريعات الأئمة محدوده وفى ظل هيمنه التشريعات الإلهيه وتشريعات الأنبياء وسننهم.

ومن هنا نفهم لِمَ ينسب دين الإسلام وهو دين الله للنبي محمد (صلى الله عليه و آله) لأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) أكمل كل تلك المحاور الستة، فأثبت

كل ضرورات وفرائض الله وأكمل تجذير جميع الأعراف الحسنه أى أكمل المله هذا فضلاً عن إكمال شريعته كما أن أوصياءه (عليهم السلام) أكملوا المنهاج والطريقه.

فلما كانت أمه سيد الرسل (صلى الله عليه و آله) خاتمه الأمم فشريعته بمقتضى ذلك لا بد أن تكون خاتمه الشرائع ولا بد أن تكون تفاصيل الأحكام المبينه من قبله (صلى الله عليه و آله) تناسب هذه الأمه التى وصل فيها العقل البشرى والكمال الإنسانى إلى أعلى مراتبه من حيث الاستعداد والقباليه, فلا بد أن تعطى هذه الأمه أحكاماً تامه كامله موصله لغايه الكمال الفعلى من خلال القرب الإلهى بما تبين من أحكام فى الشريعه الخاتمه, وبناءً على ذلك فإن المنهاج والطريقه لأوصياء سيد الرسل (عليهم السلام) لا بد أن تتناسب مع تلك الشريعه الكامله فتكون مناهجهم أكمل وأرقى وأعلى المناهج, من هنا نفهم لم ورد على لسان سيد الرسل (صلى الله عليه و آله): «علماء أمتى خير أو أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» (1) لأن علماء أمه محمّد (صلى الله عليه و آله) اتبعوا أكمل الأحكام فى الدين وفى الشريعه الخاتمه وأتوا وطبقوا أكمل المناهج وهو منهاج أهل البيت (عليهم السلام), لذا حصلوا على الكمال والقرب الإلهى ما لم يحصل عليه غيرهم فى بقيه الأمم من الأنبياء فضلاً عن غيرهم حيث صار سير أمه محمّد (صلى الله عليه و آله) وعملهم فى المحاور الستة _ الدين, المله, الشريعه, المنهاج, الطريقه, الحكمه _ على أكمل وجه وأعلى مرتبه لأنه

(صلى الله عليه و آله) أكملها وتممها.

ص: ٣٠١

١-١) المزار/ الشيخ المفيد: /٦ قال رسول الله: «علماء أمتى أفضل من أنبياء بنى إسرائيل».

قد يتوهم البعض أن هذه الفرائض في الدين والسنن إنما شرعت لتناسب زمان وظرف خاص وليس هذا زمانها فلا يصح للمسلمين الاهتمام بتلك الفرائض والسنن, نعم لا بأس بالحفاظ عليها كموروث ديني لا لأجل العمل بها, وبالتالي نحتاج لتشريعات جديدة تناسب هذا الزمان وهذا الظرف.

وهذه في الحقيقة هي بعض شبهات العلمانيين، وقد تسربت لمدعى المهدويه، بل مع الأسف هناك من الأقلام الرخيصة في الوسط العلمي من يشيع هكذا شبهات، ولكنها ترتفع بالتأمل والالتفات لحقيقته الحجج فإنّ دين الله تعالى من فرائض وسنن شرعها الله تعالى بمقتضى علمه بما يصلح البشر ولما كان علمه تعالى أبدأً سرمدياً وليس علماً مؤقتاً، فإنّ ما يشرعه لا بدّ أن يكون فيه صلاح وإصلاح البشر في جميع الظروف والأزمان والأحوال، فإنّه تعالى خالق البشر وهو اللطيف الخبير العليم الذي لا يعزب عنه شيء إلاّ ويعلم بما يصلح البشر عبر كل الأجيال إلى يوم القيامة، فإنّ علمه لا محدود، فكيف تكون شريعته وفرائضه محدوده، فمن يحد ويحصر فرائض الله في ظرف محدود ليس ذلك منه إلاّ لقصور عقله عن إدراك حقيقته حججه الله تعالى، وإما لجحده ومكابرتة وتبنيه لمثل تلك الأفكار البائده والأراجيف، وإلاّ كيف يكون البشر وهم خلق الله يستطيعون في سعيهم في العلوم التجريبيه اكتشاف أشياء تناسب وتنفع البشر لا يعلمها خالقهم، قال تعالى: أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (١).

ص: ٣٠٢

فما ذلك إلا هلوسات وإيهامات يحاولون الاستهزاء بها على العقول القاصره إذ كيف نتصور خالق الكون والدنيا والآخرة والجنّة والنار و... لا يعلم ويشرع تشريعات وقتيه؟!

فإنّ فرائض الله وسننه مبنيه على عدم مخالفه البديهيّ العقليّ، وقد حرم الله تعالى الزنا واللواط والسحاق والربا والسرقه والقتل وسفك الدماء والاعتداء...

وأوجب الصلاه والصوم وصله الرحم والاحسان والرفاه والمحبه و...

وهذه كلها يحكم العقل بثباتها وعدم تغييرها، فهي تناسب طبيعه الإنسان على مدى أجياله المتعاقبه، وفيها إصلاح الفرد والمجتمع الإنساني وتنظيم حياته، نعم هناك في الإنسان جوانب متغيره كما أن فيه جوانب ثابتة، وهذه الأحكام والتشريعات كانت بمقتضى الجوانب الثابته، فإنّ الإنسان على مدى أجياله المتعاقبه لا يختلف من جهة حاجته للأكل والنكاح والروابط والعلاقات الاجتماعيه و... وما شرعه الله تعالى مناسب لهذا الجانب.

أما العلمانيون فيتشبثون بأمر متغيره، ويدعون الحاجه لنسخ تلك الأحكام من خلال بحوثهم في العلمانيه الحديثه أو الحداثويات من الفلسفات الغربيه فيحاولون القفز والتمرد على ثوابت الشريعه المقرره لثوابت الطبيعه الإنسانيه والبيئيه المحيطه، سواء أكان ذلك بواسطه الفرق الضاله أم نشر أفكار علمانيه أم فكر حداثوى مستورد و...

وقد تأثر بهذه الشبهات البعض وصار يدعو لتحديث الشريعه ونسخ ما جاء به الأنبياء، وغفل أو تغافل أن تلك التخرصات من العلمانيين لأجل نشر ثقافتهم فحسب ونشر الفساد والاباحيه و... وإلاّ

كيف يعقل أن تفشى انتشار الزنا واللواط والسحاق فيه حياه المجتمع ورفى الفرد الإنسانى بحسب دعواهم بالنسبه للمجتمعات الحديثه مع أن الله تعالى حكم وكذا العقل بأن هذه الأمور من الفساد والاباحيه فيها هلاك المجتمعات، إذ الاباحيه تفتك بالمجتمعات وتفقدتها تنظيمها، سواء أكانت فى الماضى أم الحاضر أم المستقبل، ولكنهم لم يعرفوا الله ولم يعرفوا الرسول، فإنهم لو عرفوا الله وصفاته من قدره والعظمه والعلم والسناء... لما وقعوا فى هذه التوهامات قال تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١) فإنه تعالى يعلم بخلقه وأجيالهم وأطوارهم وقد شرع كل ما فيه الصلاح والخير والبناء.

ولكنهم قصرت معرفتهم بالله فقصرت معرفتهم بتشريعاته، فظنوا أن عقولهم كامله ويستطيعون نسخ شريعه الله والياتان بشريعه جديده، فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، وانخدع معهم بذلك السذج والبسطاء فوقعوا فى الفتنة والضلال، وما ذلك إلا لعدم انضباط منظومه الحجج وعدم الوعى فى البصيره والمعرفه فبوغثوا وغدرو بعقولهم ومعرفتهم.

ص: ٣٠٤

١-١) نوح: ١٣ و١٤.

الفصل الثالث: فتنه البصيره

فتنه البصيره أشد الفتن:

الامتحان الإلهي للعباد عموماً وللإنس والجن خصوصاً هو حكمه إلهيه بالغه ليتكاملوا به في خطى لقاء الله (عز وجل)، والتبجح في رحاب جناته.

وهذا الامتحان لا ريب أنه على أشكال وأنواع وألوان، إذ يختلف شدة وضعفاً بحسب موازين وضوابط معينه ومحدوده.

وربما يخالجننا أن الامتحان والافتتان الذى يتتاب البشر فى جانب الشهوات والغرائز والنزوات وبقية صفات النفس ونزعاتها أمر عصبى شديد.

ولكن المشاهد فى لسان القرآن الكريم ومنطقه الحكيم أن الفتنه والامتحان فى البصيره هى من أشد الامتحانات وأشد الفتن، فربما تكون النزوات شديده، والغرائز ملحه، والقوى التى يزود بها الإنسان تأخذه يميناً وشمالاً وتتجاذبه بشده، حتى البيئات المختلفه المحيطه بالإنسان تتجاذبه يميناً وشمالاً، ومن الشهوات والنزوات ما ربما فيها عاصفه جارفه للإنسان، ولكنها حسب بيان ومفاد الآيات القرآنيه الكثيره هى فى كفه أو فى جانب والفتنه والامتحان فى البصيره، وفى معرفه الإنسان لطريق الهدايه فى جانب وكفه أخرى.

وبعباره أخرى أنه فى جملة من الآيات الكريمه أن الامتحان فى البصيره، وفى معرفه من أعظم وأشد الامتحانات ومن أثنها وأثمرها، حتى أن البشر بل المعصومين من الأنبياء والرسل يتفاضلون فى نفاذ

البصيره وإن كان المعصومون من الأنبياء والأوصياء لا كلام في عصمتهم وسدادهم، إلا أنهم يتفاضلون في درجات السداد وفي درجات الحكمه، قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١) فإذا كان المعصومون خاضعين لقانون الامتحان والاختبار والافتتان وأنهم يتفاضلون بذلك فكيف بغير المعصومين، فهم خاضعون لذلك بلا ريب، وإن كانت درجات الافتتان والاختبار متفاوتة وليست على وتيره واحده!

فالامتحان في البصيره وفي المعرفه أمر بالغ الأهميه، بالغ الصعوبه تفتتن به الأمم ويفتنن به الأفراد، ويأخذ ألواناً وأشكالاً عديده وكثيره.

ومن ثم أن البنيه المعرفيه أو البنيه في البصيره هي دعامة الإيمان والفلاح والنجاح وحسن العاقبه، ولأجل هذا تكرر في القرآن الكريم قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٢)، لأنه بلحاظ نفس حكمه ومركزيه الامتحان في المعرفه وفي البصيره يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم بهذا اللحاظ قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)، حيث يحدثننا القرآن الكريم أيضاً أن المخاطب في الرعيل الأول في القرآن الكريم هم ذوو الأبواب قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٤) أو الذين يعقلون، قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)، فالمخاطب في القرآن الكريم هم أولوا الأبواب أو

ص: ٣٠٨

١-١) البقره: ٢٥٣.

٢-٢) الزمر: ٩.

٣-٣) المجادله: ١١.

٤-٤) البقره: ٢٦٩.

٥-٥) النحل: ١٢.

الذين يعقلون أو الذين يعلمون أو الذين آمنوا وغيرها من التعبيرات في آيات عديده تشير إلى نفس المركز ونفس النقطه والناحيه وهى أن المسار فى المعرفه مسار خطير كما ورد (١) فى تفسير قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٢). أى ليعرفوا حكمه الخلقه, فالمعرفه قيمتها العاليه وسنامها الرفيع, يعنى الامتحان فى الحكمه وفى المعرفه.

وما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) دللوا عليه بالبرهان فقوله: لِيُعْبُدُونِ , بمعنى ليعرفون؛ لأن العباده ليست شأن البدن فقط, فالعباده أيضاً تخص وتتأتى من الروح وتخص وتتأدى من النفس وتخص وتصدر من كل قوى الإنسان بما فيها العقل كما تقدم فى الفصل الأول, فبيان أهل البيت (عليهم السلام) هو على مفاد برهانى بديهي واضح.

وبعبارة أخرى أن الامتحان فى المعرفه, والفتنه فى المعرفه والبصيره هو من أعظم مراحل الامتحان الإلهي.

إذ يحدثنا القرآن الكريم عن ملاحم خطيره فى الأمم أشدها فى افتتان الأمم وانحرافها أو استقامتها هى فى البصائر والتبصر, أى فى الفتنه المعرفيه.

تفاوت البصائر:

مما لا شك فيه أن عقول الناس وبصائرهم وإدراكاتهم مختلفه وليست على مستوى واحد, وبالتالي إدراك الحجج أيضاً يختلف تبعاً لذلك.

ص: ٣٠٩

١-١) تفسير البحر المحيط / أبى حيان الأندلسي ٦٦٠: ١.

٢-٢) الذاريات: ٥٦.

فمثلاً في واقعه الطف كل من الحر الرياحي وحبيب بن مظاهر الأسدي أدرك حجيه الحسين (عليه السلام) وأنه على حق، ولكن الحر لم يدرك ذلك إلا بعد كلام الحسين (عليه السلام) وإلقاء الحجج عليهم وما ذكره من بيان، في حين أن حبيباً رضوان الله عليه أدرك ذلك لمجرد أنه الحسين (عليه السلام).

لذا فبعض البصائر تحصل لها يقظه وإبصار ولو من حجج نازله بل ويحصل لها تمييز الحجج العاليه من المتوسطه والنازله فضلاً عن التمييز للمزيف من الحجج، في حين أن هناك بصائر لا يحصل لها إدراك والتفات إلا مع الحجج القويه، وليست لها قدره إدراك الحجج المتوسطه أو النازله بل قد تنخدع بالمزيف منها.

لذا نجد من أوصاف أبي الفضل العباس (عليه السلام) أنه نافذ البصيره (١) كما وصف بعض أصحاب الحسين (عليه السلام) بأنهم ذووا بصائر.

لذا فإن اختلاف الفتن وشدتها تختلف باختلاف البصائر، فإن الله لا يكلف إلا بمقدار قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٢)، من هنا لا بد أن يكون الدعاء لله تعالى بأن يفتح بصائرنا وأن يمكننا من تخطي ما نبتلى به من فتن، فقد ورد أن رجلاً قال عند أمير المؤمنين (عليه السلام): أعود بالله من الفتن، فقال له الإمام (عليه السلام): «لا- تقل ذلك، الفتنه لا بد منها، الله خلق الإنسان ليختبره ويفتنه ويمتحنه»، قال الرجل: إذن ما أقول يا أمير

المؤمنين؟ قال: «قل: أعود بالله من مضلات الفتن، فاستعن بالله واستجر

ص: ٣١٠

١- ١) جاء في كتاب سرّ السلسله العلويه لأبي نصر البخاري قال المفضل بن عمر: قال الصادق (عليه السلام): «كان عمنا العباس نافذ البصيره صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً».

٢- ٢) البقره: ٢٨٦.

بالله» (١) أى اللهم نور بصيرتى لثلاث- أضل فى الفتن, وإلا نفس الفتن لا بدّ منها, نعم يكون الدعاء لتنوير البصيره أو أن تكون الفتن بحسب بصائرنا.

اليهود وفتنه العجل:

من امتحانات وفتن البصيره التى ذكرها القرآن الكريم قصه قوم موسى (عليه السلام) قال تعالى: «وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ * وَ لَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يُغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢)» , فَإِنَّ السامرى كان من حوارى النبى موسى (عليه السلام) وليس من سقطه الناس أو عادى البشر، بل كانت له مكانه وجاه، وكان ذا مهارات وذا فنون وكان صائغاً من الصاغه الماهرين والمتمرسين, ومن شده درايه السامرى أنه عندما سأله النبى موسى (عليه السلام) ماذا صنعت حتى فتنت القوم؟

قال قبضت قبضه من أثر الرسول, قال تعالى: «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَ كَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي (٣)»

ص: ٣١١

١- ١) فى جامع أحاديث الشيعة/ البروجردى ٣٣٥: ١٥/ باب ما ورد فى الدعاء بقوله: «اللهم اجعلنى ممن تنتصر به لدينك»/ ح ١٠٧٦؛ نهج البلاغه: ح ١١١٧/ قال (عليه السلام): «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنه لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنه ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإن الله سبحانه يقول: وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» وفى حديث آخر تحت الرقم ١٠٧٥ أمالى الشيخ ١٩٢: ٢/ فيه: قال وسمع أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتنه، قال: «أراك تتعوذ من مالك وولدك يقول الله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ولكن قل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن».

٢- ٢) الأعراف: ١٤٨ و ١٤٩.

٣- ٣) طه: ٩٦.

أخذت تربه من أثر الرسول فنبتتها في جسد العجل الذى صنعته وكذلك سولت لى نفسى.

ولكن السؤال فى المقام: ما هى قصه أثر الرسول؟ وما المراد بالرسول؟

المراد بالرسول هو جبرئيل (عليه السلام) إذ لما أراد جبرئيل (عليه السلام) أن ينجى بنى إسرائيل من بطش فرعون وسار بهم فى البحر يبساً كان جبرئيل (عليه السلام) على فرس من الملكوت كما فى الروايات (١)، وطبيعه عالم الملكوت عندما يماسس عالم المادة أنه يفرز لها ينبوع الحياه، ويشير القرآن الكريم لذلك فى قوله تعالى: **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (٢)** يعنى أن عنفوان الحياه هناك فى الآخرة وليس هنا فى الدنيا، وهذا شبيه ضعف الطاقه وقصر الطاقه، ونحوه وشبيه الممات، فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا (٣).

فالسامرى شاهد أن ذلك الفرس الملكوتى كلما يماسس أرضاً

فإنّ التربه تنبع منها الزراعه والأشجار أى الحياه فى نفس الآن، أى فى نفس زمان المماسه، كما تحدّثنا روايات ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) أن

ص: ٣١٢

١-١) وذكر هذا المعنى العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان ١٩٥: ١٤ إذ قال: (ففسره الجمهور وفقاً لبعض الروايات الوارده فى القصة أن السامرى رأى جبرائيل وقد نزل على موسى للوحى أو رآه وقد نزل ركباً على فرس من الجنّه قدام فرعون وجنوده حين دخلوا البحر فاغرقوا فأخذ قبضه من تراب أثر قدمه أو أثر حافر فرسه ومن خاصه هذا التراب أنه لا يلقي على شىء إلاّ حلت فيه الحياه ودخلت فيه الروح فحفظ التراب حتّى إذا صنع العجل ألقى فيه من التراب فحى وتحرك وخار، فالمراد بقوله: **بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ابصاره جبرائيل حين نزل راجلاً أو ركباً... فَفَبَصُرْتُ قَبْضَهُ... من تراب أثر جبرائيل أو من تراب أثر فرس جبرائيل والمراد بالرسول جبرائيل).**

٢-٢) العنكبوت: ٦٤.

٣-٣) قال الإمام على (عليه السلام): «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» عوالى اللاتالى / ابن أبى جمهور الاحسائى ٧٣: ٤.

الرقى البشرى والازدهار فى عهد دولته (عليه السلام) يصل إلى هذا الحد يعنى أنه تتفجر الحياه بينوع وعنفوان (١).

وهذا بيان قرآنى لتكوينيه التوسل والتبرك، وأنه أمر له حقيقه وله واقعيه، حيث يستفاد ذلك من نفس الآيه الكريمه فقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يعنى التراب الذى وطأه فرس جبرائيل له هذا الأثر، فتراب فرس جبرائيل وليس جبرائيل وليس فرس جبرائيل بل تراب فرس جبرائيل، فكيف بتراب سيد الرسل، أو كيف بتراب بضعه الرسول، أو تراب أخى الرسول على بن أبى طالب، أو تراب سبط الرسول، وهذا بحث آخر يأتى الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأخذ السامرى هذا التراب وعرف أن فيه كبريتاً وإكسير الحياه، ومن ثم نبذه فى العجل الذى صاغه كجسد مجسم، فأصبح لذلك الجسد

ص: ٣١٣

١-١) قد ورد فى جملة من مصادرنا أن عصر الإمام المهدي (عليه السلام) يتسم بالتكامل الفكرى للبشر والرقى العلمى وتسخير قوى الطبيعه للإمام (عليه السلام) فمما جاء فى بيان هذا المضمون ما رواه الشيخ المفيد فى الاختصاص (ص ٣٢٦) عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله تبارك وتعالى خير ذا القرنين السحابتين الذلول والصعب فاختر الذلول وهو ما ليس فيه برق ولا رعد ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك لأن الله ادخره للقائم (عليه السلام)»؛ ومن ذلك ما رواه قطب الدين الراوندى فى الخرائج والجرائح ٨٤١: ٢، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «العلم سبعة وعشرون جزءاً فجميع ما جاءت به الرسل جزئان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزئين فإذا قام القائم أخرج الخمسه والعشرين جزءاً فبثها للناس وضم إليها الجزئين حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً»؛ وفى بحار الأنوار للعلامة المجلسى ٣٩١: ٥٢، عن أبى عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذى بالمغرب وكذا الذى بالمغرب يرى أخاه الذى بالمشرق». وغيرها من المضامين التى تدل على أن القائم (عليه السلام) يضع يده على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم ويكمل بها أحلامهم.

خوار أى (صوت) كأنما بعثت فيه شبه الحياه، فافتتن به بنوا إسرائيل، قال تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمَّ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (١).

ثم فى كلام النبى موسى (عليه السلام) مع الله تعالى قال: ربي الفتنه بدأت من السامرى لكن من أحدث الصوت فى العجل إن هى إلا ففتنتك تُضِلُّ بها مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ (٢)، فإن الله تعالى أراد بذلك الامتحان والافتتان لبنى إسرائيل ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء.

فأين وقعت هذه الفتنه؟ وقعت فى البصيره والمعرفه، فرؤيتهم الجسد ينطق وله صوت ليست فتنه فى شهوه، وليست فى غرائز، وليست فى نزوات، بل هذه الفتنه فتنه فى المعرفه وفتنه فى البصيره، وهى أعظم فتنه مرت على بنى إسرائيل كما يحدثنا بها القرآن الكريم. فما هى الحكمه من ذلك؟

الحكمه من فتن البصائر:

مما لا شك ولا ريب فيه أن الله تعالى ميز الإنسان عن بقية المخلوقات بنطقه العقلى أى بعقله الذى هو أعظم شىء فى وجود الإنسان، قال تعالى: الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ (٣)، فإن استبيان المعلومات والادراك من أعظم الميزات التى أتحف الله (عز وجل) بها الإنسان عن بقية المخلوقات ومن ثم تكون أعظم

ص: ٣١٤

١-١ (١) طه: ٨٨.

٢-٢ (٢) الأعراف: ١٥٥.

٣-٣ (٣) الرحمن: ١ - ٤.

الامتحانات هي من نصيب العقل الإنساني وهو امتحان المعرفة و امتحان البصيره فهذه ميزه مهمه.

فما يسطره لنا القرآن الكريم من تشابه الدلائل وتشابه البيئات من محكم ومتشابه كى يُصَحِّح بصيره الإنسان، فالقرآن الكريم نور البصيره فى الإنسان فيجب على الإنسان أن يتبع نور البصيره.

وبعبارة أخرى يجب أن يُفَعِّل الإنسان قوه عقله وقوه دركه وقوه تمييزه ويكون فى يقظهِ تامه دوماً دؤوباً وبشكل مستمر كى لا تجذبه الفتن يميناً ويساراً ويقع فى الزيف والضلال.

فالعقل أعظم تحفه أنالها الله (عزوجل) الإنسان، فلا يمكن أن تظل معطله راكمه، بل يجب أن تكون دوماً مُفَعَّلَه كبرج مراقبه.

ولذلك فالامتحانات كثيره لهذه القوه، وهى قوه العقل فى الإنسان وبأشكال وألوان وتلوينات وصور قد لا يكون الإنسان عهدا من قبل.

وإنما يتم النجاح فى الامتحان والافتتان مثمراً وناجحاً إذا كان الإنسان دوماً فى حاله إعداد لنفسه، قال تعالى: **وَاعْتَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (١)**.

وحتى الشعوب تفتتن وتضل وتُعمى، وذلك من خلال الهجوم الثقافى أى التضليل الثقافى والغسيل الثقافى، يعنى أن الشعوب تستقوى

أو تستضعف من خلال الثقافه والمعرفه.

والمنهج القرآنى والإسلامى ومدرسه أهل البيت مفعمه بمحوريه البيان والبرهان والدلائل والتعقل فهى حكمه مهمه، وهذا ما لم يُعهد

ص: ٣١٥

عند بنى إسرائيل ومع ذلك امتحنهم الله به، ألم يخاطبهم الله (عز وجل): أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (١) أن هذا لا يرجع لكم قولاً- أى جواباً، وإن سمعتم منه صوتاً ولكن بقيه كمالات الالوهيه غير موجوده فيه. كيف إذاً استجبتم مع أنه نوع من الطلسم الملكوتى ونوع من المسحه الخلايه ونوع من التشويش فى الادراك.

ولذا اتت بنى إسرائيل الفتنه، مع أن الله (عز وجل) أعطى كل بنى البشر قدره تمييزه، فلماذا لم يميزوا؟ فهو امتحان فى أصعب وأحلك بحوث الادراك.

النصارى وفتنه قتل عيسى (عليه السلام):

مثال آخر يذكره لنا القرآن الكريم امتحن الله به النصارى وبنى إسرائيل وهى قضيه قتل النبى عيسى (عليه السلام), قال تعالى: وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (٢).

فى كلمات المفسرين كالفخر الرازى صاحب التفسير الكبير والآلوسى وغيرهما، وحتى مفسرى مدرسه أهل البيت عندما يصلون إلى هذه الآيه التى فيها ملاحم معرفيه خطيره جداً فإنهم يتسائلون ماذا يريد

ص: ٣١٦

١- (١) طه: ٨٩.

٢- (٢) النساء: ١٥٧.

أن يسطر لنا القرآن؟، هل يريد أن يقول: إن الحس ليس بحجه؟! حيث أن النصارى أو بنى إسرائيل بتوسط إدراك الحس والبصر رأوا شبيه النبي عيسى (عليه السلام) باعتبار أن الله (عز وجل) جعل شبه النبي عيسى على أحد أنصاره كما فى روايه أهل البيت (١)، أو على عدوه يهوذا كما فى روايات المدارس الإسلاميه الأخرى (٢)، أياً ما كان فإنّ البارى تعالى شبه النبي عيسى (عليه السلام) على شخصٍ آخر، فقتل ذلك الشخص الآخر أمام مرأى وعين اليهود والنصارى.

واليهود هم الذين قاموا بتدبير هذه المؤامرة. قال تعالى: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ... *وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (٣).

القرآن يقول بأن الاعتقاد بقتل النبي عيسى وعدم الاعتقاد بحياه النبي عيسى هذا كفرٌ وضلالٌ.

هذا الامتحان فى العقيدة الذى امتحن الله (عز وجل) به النصارى واليهود مع أنهم استندوا إلى الحس والحس من البديهيّات، كما أن الأجيال المتأخره لليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقتل النبي عيسى (عليه السلام) وصلبه بحسب ما نقل إليهم بالتواتر، فكيف القرآن يفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

ص: ٣١٧

١-١) راجع: تفسير كنز الدقائق/ الميرزا محمّد المشهدى ٦٧٤: ٢، تفسير الآيه ١٦٠-١٦٤ من سوره النساء.

٢-٢) عمده القارئ/ العيني ٣٥: ١٢، حيث صرح العيني بأن اسم شبيهه عيسى يهوذا.

٣-٣) النساء: ١٥٣ - ١٥٧.

والمفسرون تلبلوا هنا تلبلاً وحات أفهامهم وأبحاثهم فى هذه الآيه، ماذا يريد أن يسجل ويسطر لنا القرآن الكريم فيها؟ يعنى أن المفسرين الإسلاميين فى حاله حيص ويص فى تبيان مفاد هذه الآيه، إذ كيف القرآن الكريم يذم ويندد استناد بنى إسرائيل والنصارى إلى الحس؟ فلم يعطوا جواباً شافياً عن هذه الأبحاث، وكأنما الآيه لا زالت من ضمن الطلسمات فى نظام المعرفه أو نظام البصيره أو نظام المنهج المنطقى الذى يريد أن يسطره وينظمه القرآن الكريم بحيث يدين انحرافاً رئيسياً أساسياً عند النصارى واليهود وكأنه مبتنى على نوع من الغموض، وحاشا لله أن يغمض الحجه البالغه.

ولكن المقصود أن هذا الامتحان يحتاج إلى نوع من البصيره ويحتاج إلى نوع من نفاذ المعرفه ونافذه الادراك، وهذا الجواب موجود فى ذيل هذه الآيه بحسب روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولو راجع المفسرون من الفريقين النكات المعرفيه فى روايات أهل البيت فى التفسير لرأوا أن الأجوبه موجوده.

فروايه أهل البيت تشير إلى أن الموازنه فى الامتحان المعرفى الذى هو من أعظم الامتحانات التى امتحن بها اليهود والنصارى فى هذه الواقعه هى أن النبى عيسى (عليه السلام) قد أتى بالمعجزات والبينات وأخبر اليهود والنصارى أنه باقى حتى إلى دوله الإمام الثانى عشر (عليه السلام) وسوف يكون وزيراً من وزرائه ويصلى خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحي والمعجزات التى ظهرت على يديه، وهم تركوا تلك المعاجز واستمسكوا بالحس، والحس لا ينهض ولا يناهض المعجزه.

فالقرآن يفند الحس إذا كان ينكر ما ثبت بالمعجزه، فتلك الأمم

بأتباعها الحس كبنى إسرائيل وعباده العجل أو النصارى وشبهه قتل وصلب عيسى (عليه السلام) وغيرها استندت إلى يقين محدود داني فيه سفلى وتركهم لما فيه علو، وهذا افتتان وامتحن ويا له من امتحن وافتتان

صعب غامض دقيق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بيّنه أبين من الشمس ولكن الإنسان عندما تعتوره الكدورات نتيجه الأعمال والأفكار المنحرفه يقع في اللبس والغموض.

ولا- يقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس يكون خروجاً عن طاقه البشر، وذلك: لأن الله (عز وجل) زوّد الإنسان بقوه العقل وهى قوه جباره يقدر بمقتضاها تمييز الأبتلاءات الإلهيه من مثل هذه الامتحانات الكبيره.

الفتنه محك البصيره:

يقول منبع السبراهين والبيانات والدلائل على بن أبى طالب (عليه السلام) عن ما جرى فى حرب الجمل وصفين والنهروان فى إحدى خطبه (عليه السلام): «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليحراً عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيبتها واشتد كلبها فاسألونى قبل أن تفقدونى» (١)، لنفهم ماذا يريد أن يقول (عليه السلام).

ولو تأملنا جيّداً لعلمنا أنه يقول: إن حرب الجمل أو حرب صفين أو حرب النهروان فتحت فتوحات فى بصائر ووعى الأُمّه الإسلاميه وأسست فتوحاً بيّنه فى وعى الأُمّه الإسلاميه وما كان لغير أمير المؤمنين ليجتري على فتح تلك الأبواب العظيمه فى البصيره ووعى الأُمّه.

ففى حرب الجمل مثلاً- كان الطرف الآخر ربما يتوهم أنه يتمتع ببعض الأوصاف القرآنيه التى يُحسب أنها تعطيه صلاحيات كبيره والتى من خلالها يريد أن يوسع أو يؤسس صلاحيات له فى مشروع الدين

ص: ٣١٩

الإسلامى على طول التاريخ، فَمَنْ الذى أيقظ فى الأُمَّه ذلك الوعى وقال: إن تلك الأوسمه القرآنيه ليس لها مؤدى إعطاء الصلاحيه لذلك الطرف أبداً؟ وكذلك مواجهه من يرفع شعاراً حقاً لكنه يؤسس لبناء باطل كالخوارج، أو مقاتله من يتمترس بالانتماء إلى الإسلام لكنه يبغي على ولى الحق كما فى صفيين. ومن كان يستطيع أن يُوجِدَ وينبى فى وعى الأُمَّه مثل هذه البصائر لولا- على (عليه السلام)، ولولا- ما قام به فى حرب الجمل، أو حرب صفيين أو حرب النهروان، من كشف الاغتشاش والالتباس، والايهام، واللبس، والتشابه الواقع فى وعى البشر نتيجة التباس ما ليس بحجه مع ما هو حجه، أى إلتباس ما ربما له درجه من درجات الحجيه مع ما له درجه حجه كبيره.

وكذا الخوارج الجدد _ التكفيرون _ تركوا محكمات القرآن ومحكمات السُّنَّه وضروريات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنيه واهيه وجعلوها محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمه إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

التوسل بالنبي وآله من الاختبارات فى البصيره:

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبي وأهل بيته (عليهم السلام) قال تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ**

تَوَاباً رَحِيماً (١) لنرى ماذا تقول الآيه هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول فجاءوك باللغه

ص: ٣٢٠

الدارجه تعنى: (دخيلك يا رسول الله) أى القرآن يقول التجيء, لذل, استعدذ بالنبى (صلى الله عليه و آله) و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم (١) فالرسول و أهل بيته (عليهم السلام) معاذ, ولواذ, و أمان بصريح الآيه, وهذه فريضه عظيمه من فرائض الدين, ومع ذلك فإن الخوارج الجدد يحرّمونه ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به, يقول الله تعالى فى وصف المنافقين: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ (٢) فنرى الدعوه تعالوا إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا, بمن؟ يقول الله تعالى: يستغفر لكم الرسول.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بينه على فريضه ومشروعيه التوسل, بل الآيات تدلل على ركنيه التوسل, ولكن الجاحدين يتشبهون بالمتشابه ضالين مضلين, وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هدايه ولا نور وعدم رؤيه منظومه الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح, فالتوجه والالتجاء للرسول (صلى الله عليه و آله) ولأهل البيت (عليهم السلام) من الامتحانات والاختبارات المهمه فى البصيره يمتحن الله بها الأمم على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمم قسيم الجنه والنار (عليه السلام) فرّق بين الحق والباطل فبين الحق للأمم, فإن واقعه صفين والنهروان رسمت فى وعى الأمم أن المسلمين أرادوا أن يفككوا فى التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق, ولكن

فاروق الأمم فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسّس _ والله الحمد _ فى وعى الأمم أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبه, والتفكيك فى التمسك بالقرآن الصامت وترك القرآن الناطق ليس إلا ضلالاً.

ص: ٣٢١

١- (١) الأنفال: ٣٣.

٢- (٢) المنافقون: ٥.

فصرف كون الشيء دليلاً لا يكون مبرراً لاتباعه منعزلاً عن بقيه الأدلة إلا أن يكون ضمن كتله ومجموعه دلائل ومراتب تحفظ حقيقه الدليل، فاتّباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغوايه، واتّباع المجموع ضمن المراتب هدايه.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا أن يرتب الأدله كمجموعه واحده لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحد من المسلمين في اتّباع بعض الكتاب وترك الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئه والتفكيك، قال تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (١) أى لم يجعلوا القرآن كمجموعه وكتله واحده.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدله بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هر مى منظومى يشرف فيها الحججه والدليل الأقوى على الحججه والدليل الأضعف، قال تعالى: أَلَمْ تَكْفُرُوا بِالْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ (٢)، فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقه.

فلو أراد فقيه أن يحكم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظره التجزيئه كما ابتليت بذلك هذه الأئمه والأمم السابقه لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيره:

ومن ذلك الظاهره الواقعه فى المسار العلمى لدى أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل حتّى المذاهب الإسلاميه الأخرى وهو ما يعرف

ص: ٣٢٢

١-١) الحجر: ٩١.

٢-٢) البقره: ٨٥.

بالنزعه الإخباريه والنزعه الأصوليه _ ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف _ إلا- أن هاتين الظاهرتين خلقت حاله توازن فى النظره العلميه, فأصحاب المسلك الإخبارى كانت لديهم تحفظات وكذا المسلك الأصولى فخلق هذا نوعاً من النضج فى الرؤيه المتكامله وإن استهلكت جهوداً وطاقت بل ربما فتن اجتماعيه, وكذا أصحاب النظره الفلسفيه والكلاميه والعرفانيه والصوفيه فى قبال نظره الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكريه شديده, فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثره فى الفكر والرؤيه ولكنها خلقت نظره متوازنه محيطه ومجموعيه وسطيه, وولدت رؤى متكامله لمجموع دلائل الدين كما ورد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الدين متين فأغلوها (فأوغلوا) فيه برفق ولا- تكرهوا عباد الله إلى عباد الله, فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفراً انقطع ولا ظهراً أبقى» (1) فالدين بحر غير متناهى والايغال فيه بسرعه وبحدده ودون نظره متوازنه متكامله فيه خطوره وإضلال للبصيره, كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوى وينضج البصائر.

فالمعادله المهمه جداً هى الاستفاده من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهيه لزياده الوعى والبصيره وإعمال القواعد العقليه وتحكيمها ووضع الأمور فى مواضعها, لئلا نقع فى الضلال والزيغ.

نوع الآيات امتحان للبصائر:

لننظر تعبير القرآن الكريم فى سوره آل عمران: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

ص: ٣٢٣

١- ١) شرح أصول الكافى / المولى المازندرانى ٢٧١ : ٨/ باب الاقتصاد فى العباده.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (١) فَإِنَّهُ يَصْنَفُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةَ إِلَى آيَاتِ لَهَا أَمُومَةٌ وَمَحُورِيَةٌ وَمُرَكِّزِيَةٌ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ لَيْسَ لَهَا أَمُومَةٌ، فَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَذَمُّهُمْ الْقُرْآنَ لِاتِّبَاعِهِمْ هَذَا، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ حُكْمِهِ الْقُرْآنَ أَنْ يَذْمُ اتِّبَاعَ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَحِيًّا عَلَى نَبِيِّهِ لِتَكُونَ قُرْآنًا خَالِدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا لِمَطْلُقِ الْإِتِّبَاعِ بَلْ لِاتِّبَاعِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ حَيْثُ جَعَلَتْ لَهَا الرِّيَادَةَ وَالْقِيَادَةَ وَالْأَمُومَةَ وَالْمُرَكِّزِيَةَ، فَإِنَّ جَعْلَ ذَلِكَ لَهَا فِيهِ إِضْلَالًا، فَإِذَا كَانَ الْقُرْآنَ يَذْمُ اتِّبَاعَ تِلْكَ الْآيَاتِ فَمَاذَا نَتَّبِعُ؟

نَتَّبِعُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أَمُ الْكِتَابِ أَى أَمُومَةٌ وَمَحُورِيَةٌ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ، وَإِلَّا فَاتِّبَاعُ الصَّنْفِ الدَّانِي دُونَ اتِّبَاعِ الصَّنْفِ الْعَالِي الَّذِي لَهُ الْمَحُورِيَةُ يَضِلُّ الطَّرِيقَ وَالْمُنْهَاجَ، فَالْقُرْآنَ يَقُولُ بِأَنَّ اتِّبَاعَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ دُونَ الْمُحْكَمَاتِ يَكُونُ إِضْلَالًا.

وَهَذَا مِنْهَجُ قُرْآنِيٍّ يَبِينُ لَنَا مَعَادِلَهُ خَطِيرَهُ وَعَظِيمَهُ، وَهِيَ أَنَّ مَنَظُومَةَ الْحَجَجِ مَنَظُمَةٌ فِي دَرَجَاتٍ وَسَلَّمَ هَرَمِيٌّ يَجِبُ أَلَّا يَفْقُدَ الْأَعْلَى بِاتِّبَاعِ الْأَسْفَلِ، فَيَجِبُ التَّمَسُّكُ بِالْأَعْلَى فِي ظِلِّ وَهَيْمِنَةِ الْعَالِي، فَإِنَّ اتِّبَاعَ الدَّانِي فِي غَيْرِ هَيْمِنَةٍ مَا هُوَ أَعْلَى يَكُونُ إِضْلَالًا، لِأَنَّ طَبِيعَةَ الْقُرْآنِ عِبَارَةٌ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَمَنَظُومَةٍ مَتَمَّاسِكَةٍ وَلَيْسَتْ مُتَشَتَّتَةً وَمَبْدُودَةً، وَإِنْ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهَةِ

دُونَ الْإِسْتِمْسَاكِ بِالْمُحْكَمِ تَبْدِيدٌ لِمَنَظُومَةٍ وَحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَفْتُوْمُونَ بَبْغُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُورُونَ بَبْغُضِ (٢) فَالْحِفَافُ عَلَى تِلْكَ الْمَنَظُومَةِ مَتَمَّاسِكَةٌ هِيَ إِبْقَاءُ هَيْمِنَةٍ

ص: ٣٢٤

١-١ (١) آل عمران: ٧.

٢-٢ (٢) البقرة: ٨٥.

ومحوريه ما هو أقوى حجيه على ما هو أضعف, فإنّ رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفه تنشأ بسبب فقد البصيره فى هذه المعادله المهمه, وهى أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محوريه المحكمات والأمهات ومراتب الدلائل.

ومن هذا الذم ذم النصارى واليهود فى اتّباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البديهي, لأنهم اتّبَعوا الدانى وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذى بينه القرآن الكريم على يد النبى عيسى (عليه السلام) حيث أخبرهم أنه سيبقى حيّاً ويكون وزيراً وتابِعاً للإمام الثانى عشر الخليفه والوصى لخاتم الأنبياء, فتركوا ما هو أكثر برهانيهً و يقيناً ودلاله واتّبَعوا ما هو أضعف يقيناً, ومما يشهد لتراتبيه الحجج ما نلمسه ونشاهده من إعداد وتعبئه للقاعده الجماهيريه المهدويه من خلال تجنيد الكوادر الأيمانيه الملتهبه والمثلهفه فى مسار أهل البيت لا ما روى فقط من أن الإمام المهدي (عليه السلام) هو الذى ينصر الإمام الحسين (عليه السلام), فإنّ سيد الشهداء (عليه السلام) كما روى أيضاً هو السفينه الأوسع والأسرع فى لجج البحار وهداياه القاعده الجماهيريه لتحقيق دوله العدل الإلهيه دوله ابنه الإمام المهدي (عليه السلام), هذا التجنيد الحسينى للبشر فى كل مكان وحتّى من غير المسلمين تهوى قلوبهم انعطافاً وانجذاباً لقضيه سيد الشهداء, ولهذا فإنّ التألُّؤ الشفاف والجمال لسيد الشهداء (عليه السلام) هو الذى يعد العده لابنه وهو الذى ينصره.

أصحاب الكساء ركن المهدويه:

فإنّه لا تقوم للإمام المهدي قائمه دوله ولا عمود دوله بلا سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد مشروع سيد الشهداء, فالذى يعد وينبى ويحفظ قاعده وأساس دوله الإمام المهدي (عليه السلام), هو قضيه سيد الشهداء (عليه السلام), فمعنى أفضليه الإمام الحسين على الإمام المهدي, بل وأفضليه

الخمسة أصحاب الكساء على الإمام المهدي هو أن مشروع الإمام المهدي (عليه السلام) العظيم والعالمي لا يمكن فيه استبعاد سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد الخمسة أصحاب الكساء.

فلا يمكن لأدبيات الدولة المهديويه العالميه أن يستبعد فيها منهاج وهدي ونور على بن أبي طالب ونور الزهراء ونور الحسن المجتبي ونور الحسين (عليهم السلام).

فهذه هي البصيره في مراتب الحجج, فالدين كتله واحده متماسكه إن حَكَمَ ما هو أعلى إلى ما هو أدون رست وانضبطت وتمنهجت منظومه الدين ككتله واحده وكجسم واحد.

فالفتن والامتحانات على اختلاف أشكالها وأنواعها وشدتها توقض في الأمة الوعي والبصيره، وبالنتيجه يتبين من خلالها البصيره المستقيمه والوعي العالى كما تتبين الانحرافات والزيغ والافمن دون توسط الفتن والامتحانات لا مائز بين أنحاء البصائر ومراتب الوعي فالفتن محك البصيره.

طريق تخطى فتن البصائر:

من الأمور المهمه جداً والمصيريه والحساسه أن نعرف طريق

التخطى والتخلص من زله الافتتان والنجاح في امتحان البصائر أو انزلاق الافتتان في المعرفه.

وهو بنحو إجمالى الركون إلى الدليل وإلى ما هو حجه, وأما بنحو تفصيلى فالأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والمحاسبه إذ كيف يميّز الإنسان بين ما هو دليل وحجه وبين ما ليس هو دليلاً وحجّه

وهذا الأمر يتطلب تثبتاً وتحريماً ودراسةً ومعرفةً وسعيًا فكرياً حثيثاً لأن الالتباس والزيغ والتشابه إنما ينجم ويحصل من تشابه ما ليس بدليل في مرحله ما مع ما هو دليل في نفس تلك المرحلة، وتشابه ما ليس بحجه في مرتبه ما مع ما هو حجه في نفس المرتبه، وكما مرت بعض الأمثلة من تشابه الأدله في مراحلها المختلفه كاعتماد الحس في قبال الإعجاز وغيرها مما استعرضها لنا القرآن الكريم، وليس هذا التشابه بالتشابه السهل اليسير.

حقيقه التباس الحجج:

ربما لا يتصور البعض كيف يتشابه ويلتبس الدليل مع ما ليس بدليل أصلاً؟

وفي الحقيقه ليس الأمر كذلك، فكثيراً ما يتشابه ما يكون دليلاً في بعض الأحوال وفي بعض المراتب وفي بعض المراحل مع ما هو دليل بدرجة أرفع ودرجه أعلى وأقوى بلحاظ نفس تلك الأحوال والمراتب والمراحل.

أما تشابه الدليل مع ما ليس بدليل أصلاً أى ما ليس فيه شأنه واقتضاء الدليليه فهذا ليس بالأمر الصعب وليس بالأمر الشائك ولا بعسير

التمييز وإنما الصعوبه تكمن وتنجم من التباس ما هو دليل في بعض حالاته وليس بدليل في بقيه الحالات مع ما هو دليل بدرجة أرفع وأعلى، فينجم الاشتباه والالتباس والتعميه بين ما هو دليل من درجه دانيه مع ما هو دليل من درجه عاليه، ويحصل الالتباس بين ما هو دليل بدرجة متوسطه وضعيفه، مع ما هو دليل من درجه قويه وشديده وعاليه،

فيستبدل الضعيف بالشديد, ويستبدل الداني بالعالى وهذا هو الذى يقع فيه الالتباس.

فليس المنقذ من ظلاميه الفتن والاثارات فى البصيره والمعرفه هو فهم ومعرفه أصل حجيه الحجه بل هو معرفه منظومه الحجج وترتيبها ومرتبته كل حجه فى تلك المنظومه.

وربما يقال: كيف يكون الدليل الضعيف ليس بدليلٍ بقولٍ مطلق, والدليل الذى هو بدرجة متوسطه كيف لا يكون دليلاً بقولٍ مطلق؟

ما هو دليل بدرجة دانيه أو دليل بدرجة وحجه متوسطه لو جعل فوق مرتبته لكان فيه غوايه وإضلال وعمايه.

إذ بعض الظلم والمسارات المظلمه لا- يكفى فيها نور خفيف, بل لا- بدّ من نور مجهز مسلح ونور شديد, فإنّ بعض الظلم والمتاهات الحالكه شديده الستار وشديده الظلمه لا يمكن أن يقتحمها إلاّ نور شعشعانى شديد, وهو الحججه القويه والبرهان القوى بحيث أن الاهتداء بالنور الضعيف يتسبب بالغوايه والضلال والزيغ عن الصراط المستقيم فلأنه نور ضعيف فهو يُشبهه ويشبّهه ويلبس الطريق, فإنّ النور الضعيف يرى ما ليس بجاده جاده ويرى ما ليس بطريق طريقاً فيلبس المسار

ويعمى السائر!

اتباع بقيه الأنبياء فى زمن سيد الرسل ضلال:

فى روايه رواها الفريقان أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء, فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلوا, وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق, وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما

ص: ٣٢٨

حل له إلا أن يتبعني» (١). وفي بعض الأحاديث: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا أتباعي» (٢). وفي حديث آخر أنه (صلى الله عليه وآله) قال: «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى (عليه السلام) ثم أتبعتموه وتركتموني لضللتكم» (٣). فإن موسى فى هذه الفقرة الحساسه «لما حلّ له إلا أن يتبعني»، «لضللتكم» فإنه نبي من أولى عزم كيف لا يتبع ما يوحى إليه، بل أتباعه ضلال إذا لم يكن ضمن ما يوحى لسيد الرسل (صلى الله عليه وآله)!

فهو معصوم ومرسل ونبي وليس فى الأنبياء زلل ولا خطل فلا ريب أن الأنبياء متبعون ولكنهم هل يتبع بعضهم بعضاً؟

جميع الأنبياء على دين الخاتم:

بعبارة أخرى يذكر المختصون أن الأنبياء بعد إبراهيم (عليه السلام) كانوا على ملّة إبراهيم (عليه السلام)، والكثير يبحث أن سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) من أوّل حياته إلى الأربعين من عمره على أىّ ملّة كان؟

يذهب البعض أنه (صلى الله عليه وآله) كان على ملّة إبراهيم (عليه السلام) وهذا التعبير مجحف

فى حق سيد الأنبياء فكل الأنبياء كانوا على دين محمّد (صلى الله عليه وآله) وليس هو (صلى الله عليه وآله) على دينهم بل هم على دينه، قال تعالى: وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤). فالرسل أوّل ما يبلغون امهم بعد توحيد

ص: ٣٢٩

- ١-١) مسند أحمد ٣٣٨: ٣؛ سنن البيهقي ١١: ٢؛ كنز العمال ٢٠٠: ١.
- ٢-٢) تفسير ابن كثير ٣٨٦: ١، الرواية مرويه عن الشعبي عن جابر.
- ٣-٣) المصدر السابق.
- ٤-٤) البقرة: ١٣٢ و ١٣٣.

الله نبوه سيد الأنبياء ووصايه سيد الأوصياء, هذا البحث دلت عليه آيات فضلاً عن الروايات, وقد أشار إليها أهل البيت (عليهم السلام) أن جميع الأنبياء بُلغوا بنبوه سيد الأنبياء وبوصايه سيد الأوصياء, فكانت الأنبياء جميعاً على دينه (صلى الله عليه وآله), وأول أصل من أصول الدين الذى بلغت به الأنبياء هو التوحيد, وثانى أصل ليس الاقرار بنبوتهم بل الاقرار بنبوه سيد الأنبياء وبوصايه سيد الأوصياء ثم بنبوتهم, فلا- يستبدون بما يوحى إليهم عن أتباع سيد الأنبياء, لذا جاء هذا التعبير فى الحديث الشريف: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا أتباعي» (١) إذ كان ما يوحى إليهما فى الواقع يقودهما إلى أتباع سيد الأنبياء.

هذا يرسم لنا أن حجيه سيد الانبياء تعلقو وتعظم حجيه موسى وعيسى (عليه السلام) بل حجيه جميع الرسل، وفى إحدى الزيارات لسيد الشهداء (عليه السلام) (٢) والأدعية وأيضاً بعض الزيارات لأمر المؤمنين أن الحكمة أقرت بنبوه سيد الأنبياء قبل أن تثبت وتدل المعاجز على نبوته, والتعبير بالدعاء يعنى برهانيه وبيانيه ودلائل نبوه سيد الأنبياء, وهى بدرجه مفعمه ومركزه من قبل البارى تعالى بحيث لا يستطيع أى حكيم

أو عاقل أن ينكرها، فإنه يشاهد المعجزات من سيد الأنبياء ودلائل نبوته ذات مساحه عظيمه جداً قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٣).

والمستفاد من الأدله كما سيأتى بيانه أن للحجج مراتب بحيث لو استعملت حجيه _ التى هى فى دائرتها المحدوده حجه _ خارج تلك المحدوديه والدائره ووضعت فى غير مكانها لكانت ضلالاً, ولكانت

ص: ٣٣٠

١- ١) فى مجمع الزوائد/للهيثمى ١٧٤: ١/ باب أتباعه فى كل شىء, جاء فيه للنبي أنه قال: «والذى نفسى بيده لو أن موسى كان فيكم حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى».

٢- ٢) تفسير ابن كثير ٣٨٦: ١.

٣- ٣) الأنبياء: ١٠٧.

تسريعاً محرماً، ولكانت بدعه فى الدين، نعم لو أزيلت وأقصيت عن مقرها ومنطقتها وعن درجاتها لكانت خطأ أيضاً، فإنه لا إفراط ولا تفريط فى الحجج بل كل من الحجج بحسب مرتبتها.

هذا هو عصب البحث وبيت القصيد، فالحجج كمجموعه لها منظومه تسلسليه ذات حلقات ودرجات إن لم يحافظ ويتحفظ عليها تكون الفوضويه فى تلك المنظومه، ويختل نظامها فإن أحد الاشتباهات الكبيره والعميقه التى وقع فيها الخوارج _ خوارج ذلك الزمان معروفون وخوارج العصر هم التكفيريون _ هو تمسكهم ببعض الحجج ذات المراتب الدانيه، وتركهم الحجج العاليه، وهذا يسبب ضلالاً ويا له من ضلال، فهم رفعوا شعاراً (لا حكم إلا لله) وهو شعار صحيح ولكن كيف يدبلج ويترجم ليكون تطبيقه فى محله، فإن حاكميه الله فى التشريع هى الاقرار بالنبوه وحاكميه الله فى السياسه والقياده هى الاقرار بالإمامه، لأن الإمامه عباره عن توحيد الله فى الحاكميه فإننا نقول بأن الإمام شخص منصوب من قبل الله تعالى يتلقى أولاً بأول برامج الحكم والإمامه عن الله (عزوجل)، وحيث أنهم تمسكوا بظاهر الكتاب وتركوا كثيراً من المحكمات ضلّ بالخوارج الطريق.

فلكى نكون فى خلاص ومأمن من الفتن فى البصيره ولا نقع فى

التباسات وتخالطات الحجج لا بد أن تكون منظومه الحجج لدينا واضحه ومفهومه ومرتبّه بالترتيب الصحيح، كما لا بد من الالتفات إلى مدى حجيه كل حجه، أى مساحه حجيتها، لكى تحكم فى تلك المساحه وتحكم غيرها فى مساحه أخرى، وهكذا، فحينئذ نكون فى مأمن من الفتن ولا نقع فى الزيغ والعياذ بالله.

الفصل الرابع: حقيقه ومراتب الحجج

حقيقه معرفه الحجج:

الحكمه هى وضع الشىء فى محله وموضعه, وهذا فرع معرفه محل وموضع ذلك الشىء وإلا لما أمكن وضعه فيه, وبعد معرفه موضع ومحل الشىء فإن الحق هو عدم مخالفه ذلك وعدم التقصير والغلو فيه, فإن الغلو آفه كما أن التقصير آفه أيضاً, فكل من الافراط والتفريط زيغ.

إذا لا- بدّ من معرفه أصل حجيه الحجج ولا- بدّ من معرفه مرتبه حجيه الحجج فى منظومه الدين وهذه من المعادلات المصيريه المهمه فى دفع غائله الافتتان فى البصيره والمعرفه وهو معرفه مراتب الحجيه, وأن معرفه مراتب الحجيه هو فى الحقيقه مساوٍ ومساوق لأصل معرفه حجيه الحجج, فإن معرفه أن الشىء حجه من الحجج غير كافٍ للاعتماد والاستناد عليه كدليل وحجه, بل لا- بدّ فى حقيقه معرفه حجيه الحجج معرفه مرتبه حجيتها من بين منظومه الحجج, يعنى هل أنها فى مرتبه حجيه أولى أم ثانيه أم ثالثه... وحقيقه ذلك _ أى حقيقه معرفه مرتبه الحجج _ أن يُعلم أن كل دليل ودلاله وحجه هى حجه فى مرتبتها ولا- ترقى لتكون دلاله وحجه فى المراتب الصاعده, فهى ليست بحجه فى غير مرتبتها.

فمثلاً حجه وبينه من المرتبه الرابعه لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبه الثالثه, أو لو كانت من المرتبه الثالثه لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبه الثانيه وهلم جراً, وما ذلك إلا لأن مراتب الحجيه فى الحقيقه هى

من قوام ذوات الحجج نفسها.

وبعبارة أخرى إن مراتب الحجج تساق وتساوى أصل اعتبار حججه الحجة ضمن منظومه الحجج.

مثلاً خبر الآحاد حجه من الحجج، ولكن مرتبه حجيته لا تنهض في الحججه لمقاومه الخبر المستفيض لأن الخبر المستفيض أقوى حججه، أى أن الخبر المستفيض ذو مرتبه أعلى من خبر الآحاد في الحججه وإن كان خبر الواحد صحيحاً، وكذلك الخبر المستفيض لا ينهض ولا يمكن أن يتصاعد في حجته لمقاومه ومناوضه ومجاذبه الخبر المتواتر لأن الخبر المستفيض ذو مرتبه أدون من مرتبه الخبر المتواتر، في الحججه وهلم جراً، وهذا معنى تراتبيه الحجج.

معنى المتشابه:

ومن هذا القبيل وصف القرآن التمسك بالمتشابه بأنه زيغ أو سبب للزيغ لأن التمسك بالمتشابه في مرتبه حججه المحكم هو تصاعد بالمتشابه إلى مرتبه أعلى وهي مرتبه المحكم.

ربما يُظن أن المتشابه هو الذى ليس لديه دلالة أو حججه في نفسه، مع أن الحال ليس كذلك فإنّ التمسك بالمتشابه هو تمسك بالحججه الأضعف في مرتبه دليل وحججه أقوى.

وبعبارة أخرى إن نبد الدليل في مرتبته والعمل بدليل وحجه من مرتبه أدون هو تمسك بالمتشابه، إذن المحكم والمتشابه أمرٌ نسبي وليس أمراً ذاتياً، فالمحكم هو كل دليل وحجه أقوى ومهيمنه ومشرفه على حجه أضعف وأن التمسك بالمحكم هو العمل بالحجه والدليل في

مرتبته والتمسك بالمتشابه هو عمل بالحجه والدليل فى غير مرتبته أى فى مرتبه أعلى من مرتبته.

فدم القرآن النصارى لتمسكهم بالحس مع أنهم رأوا قتل وصلب النبى عيسى (عليه السلام) لأن الحس لا يناهض ولا يصاعد به لمقاومه الاعجاز، فالتمسك بالحس فى قبال الاعجاز هو تمسك بالمتشابه فى قبال المحكم.

ومن أتباع المتشابه ما وقع فيه بنوا إسرائيل من أتباعهم للحس وهو العجل الذى له خوار وتركهم للبديهه العقلية اليقينية وهى أن الإله لا يكون جسماً ولا يكون مغلوباً على أمره وأنه مؤثر مطلقاً، وإن كان الحس يقينياً إلا أن المحسوس مؤثراته ضعيفه فى قبال مؤثرات المعلوم من الأوليات والفطريات العقلية.

الحس يقين وظن:

بل إن القرآن الكريم يعبر عن الحس فى مثل ذلك بالظن وهذا من الظرائف العلميه للقرآن الكريم إذ كيف يصف القرآن الحس بأنه ظن مع أن الحس من البديهيات واليقينيات؟

وما وصف القرآن للحس بأنه ظن إلا- لأنه صوعده به إلى درجه أعلى من مستواه فيعبر القرآن الكريم عنه حينئذ بأنه تمسك بالظن.

ثم يقول القرآن الكريم إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١) فالقرآن الكريم سماه اتِّبَاعاً للظن مع أنهم رأوه بأَمِّ أعينهم مقتولاً مصلوباً.

ص: ٣٣٧

نعم الحس يقين ضمن دائرته المحدوده، وأما لو حاولنا توسيع هذه الدائره لتمسك بالحس في تلك الدائره الوسيعه فحينئذ يكون التمسك تمسكاً بالظن وليس تمسكاً باليقين.

وبمثال حسى مقرب لو كان عندنا مصباح ذو درجه (١٠٠ واط) فإذا أريد له أن يضيء فإنّ إضاءته في دائرته المحدوده إضاءه جيده، ويمكن أن تستعلم الأشياء في ضمن تلك الدائره بذلك الضوء، أما إذا أريد له أن يضيء مساحه أكبر ودائره أوسع فإنّ نوره يكون متشابكاً مع الظلام فيضعف نوره والنور عندما يضعف يصير كالظلمه، فالاستصباح بمصباح ليس ذا قوه شديده لا يرى إلا مساحه قريبه، أما البعد الشاسع فلا يرى بالنور الضعيف، ونفس ذلك النور يلبس ويشبه الأشياء في البعد الشاسع والدائره الأوسع، بل في دائرته المحدوده أيضاً لو أريد الإبصار به للأشياء النواعم الظريفه لكان خارج عن قدرته وصلاحيته.

إذاً المتشابه في المفهوم القرآنى للحجج ليس بمعنى أن الشىء بما هو هو ليس بحجه، وليس الظن المريب بالمفهوم القرآنى وأن الشىء بما هو هو ليس بيقين، إنما الشىء في نفسه ليس بحجه أو ليس بيقين إذا كان التمسك به في مقابل حجه أقوى منه فيكون ظناً ويكون متشابهاً أى يجعل الحقائق متشابهه، كما أن النور الضعيف يشبه الأشياء عندما يستضاء به في طريق يحتاج لنور قوى لنفس النكته وهى الحفاظ على تراتبيه الحجج.

لا تقاطع ولا إقصاء في الحجج:

منظومه الحجج هى مجموعه من الحجج مرتبه ومنظمه بشكل خاص ووفق موازين خاصه وبهندسه إلهيه محكمه، ولهذه المنظومه

عده خصائص وميزات من أهمها أن لكل حجه مساحه خاصه تكون هي المحكمه فيها دون غيرها من الحجج الأخرى, وبالتالي فاعطاء الحجيه لحجه ما لا- يعنى سلب الحجيه عن أخرى، ولا- يعنى أنهما قد يتقاطعان أو يتضاربان، بل بمقتضى هذا النظم الخاص فى الحجج ليس هناك إقصاء لأى حجه وإن كانت هناك حجه أعلى منها, وما ذلك إلا لتعدد المساحات.

فمثلاً- حجيه النواب الخاصين لا- تقضى حجيه الفقهاء أو النواب العامين، فضلاً عن كونها لا ترقى ولا تعلق حجيه المعصوم, فالسفراء الأربعة للإمام المهدي (عليه السلام) وهم العمرى وابنه والحسين بن روح ومحمد بن على السمرى (رض) كانت لهم حجيه بلا إشكال وهذه الحجيه تأتي بعد حجيه الإمام فهم الباب للإمام وهذا واضح.

ومما يشهد لعدم التقاطع والإقصاء ما ذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه حيث قال: (أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعه الفقهاء بها وقال لهم: أنظروا فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شىء يخالفكم؟

فكتبوا إليه إنه كله صحيح, وما فيه شىء يخالف إلا قوله: فى الصاع فى الفطره نصف صاع من طعام, والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع) (1).

فإنّ النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) كتب مجموع الروايات التى رواها عن رواه أصحاب الأئمه فى الفقه فى كتاب ثم

ص: ٣٣٩

عرضها على فقهاء ورواه ومحدثي قم، لأنّ قم كانت مركزاً للأشاعره الذين نزحوا من الكوفه بايعاز من الإمام الصادق (عليه السلام) كي تكون هناك تعدد دوائر ومنايع لمدارس أهل البيت (عليهم السلام).

وبعد عرض كتابه عليهم خطأوه فيما رواه في زكاه الفطره، حيث روى أن زكاه الفطره نصف صاع، فقال فقهاء قم له: إن الفطره في مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هي صاع وليست نصف صاع.

وهذه الروايات التي جمعها النائب الثالث في كتابه وعرضها على رواه ومحدثي قم لم يكن قد نقلها عن الإمام الثاني عشر (عليه السلام)، وإنما هي مجموع الروايات التي رواها عن أصحاب الأئمه السابقين، وإلاّ فما ينقله عن الإمام الثاني عشر كيف يصححه غيره، فهو سفير الحججه ولا يعقل عرض روايات الإمام الثاني عشر على غير السفير ليصححها، وإنما تلك الروايات نقلها عن الرواه والصحابه للأئمه السابقين، ومن هذه الجبهه أي كون النائب الثالث يؤدي عن رواه الأئمه فإنّه كشأن بقيه الرواه قد يصيب وقد يخطئ لذلك خطأه فقهاء قم.

وهذا حصل من النائب الثالث لأن دائره حججه النواب والسفراء في دائره ومساحه لا تتقاطع مع دائره حججه الفقهاء ولا تلغيها، كما أن حججه الفقهاء في الغيبه الصغرى لم تكن تتقاطع وتتنافى وتتصادم مع حججه السفراء والنواب الأربعة فكل له دائرته ومساحته، فمساحه حججه النواب مساحه غير مساحه حججه الفقهاء ولا تلغى إحداهما الأخرى ولا تقاطعها.

كما أن حججه النواب لا تعلق المساحه والدائره المحدوده الخاصه بهم، فهم وإن كانوا نواباً خاصين بحق وصدق لا بزيف كما هو الحال في الدعوات الباطله إلاّ أن دائره حجيتهم محدوده.

والكثير ربما تسوّل له نفسه أن حجيه الفقهاء ملغاه فى دوله الظهور للإمام المهدي (عليه السلام)، وهو تفكير عجيب وغريب!!

فإنّ صلاحيات الفقهاء وحجيتهم وإن كانت محدوده لكنها تبقى فى ظل وهيمنه دائره حجيه المعصوم، لذا لم يكن دور الفقهاء ملغياً فى دوله الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنّ قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١) تشير إلى دور ومنصب الفقهاء فى زمن دوله الرسول (صلى الله عليه وآله)، والرسول (صلى الله عليه وآله) أعظم من الإمام، فإذا لم يبلغ دور الفقهاء فى دوله الرسول (صلى الله عليه وآله) كيف نتصور إلغاءه فى دوله المهدي (عليه السلام).

وهكذا لم يبلغ دور الفقهاء فى دوله أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أعظم من الإمام المهدي (عليه السلام)، ولم يبلغ دور الفقهاء فى دوله الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وهو أعظم من المهدي (عليه السلام)، وهكذا جميع الأئمه من الإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنه إلى الإمام الحسن العسكري (عليهم السلام) لم يكن هناك أىّ إلغاء وإقصاء لدور الفقهاء، فكيف نتصور إلغاء أو إقصاء فى دوله الإمام المهدي (عليه السلام)، فإنّ الكوفه فى عهد الإمام الصادق (عليه السلام) كانت تعج وتضج بالفقهاء، بل ويكثر فيها بيوت المرجعيه كزراره حيث كان بيتاً من بيوت المرجعيه فى الكوفه، وهكذا محمّد بن مسلم وعمّار بن موسى الساباطى وهشام بن الحكم

ص: ٣٤١

وبريد بن معاوية العجلي، فإنّ الباقر (عليه السلام) يقول لأبان بن تغلب: «إني أحب أن يُرى في أصحابي مثلك، أجلس في المجالس وافت الناس» (١).

فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) والمعصومين (عليهم السلام) عموماً وإن كانوا على أعلى مستويات العصمة والقيادة والعلم و... ولكنه بحكم الحياه البشرية لا يرتبطون حساً مع كل فرد بشري من أفراد المجتمع؛ لذا لا بدّ من جهاز وذراع وأيدي لاتصالهم بالقواعد الجماهيرية، وهذا الجهاز قد حدّده الله تعالى وهو الفقهاء، فهم أيدي وسواعد المعصوم، فمن يتفقه للدين ويكون ورعاً تقياً فهذا هو دوره بنص وفريضة من الله، أى يجعل عوناً من أعوان المعصوم وإصبغاً من أصابع المعصوم وخادماً من خدام المعصوم، وهذا فرض من الله (عزوجل) وأن هذه الآيه _ آيه النفر _ لا تنسخ بل ستظل خالدته إلى يوم القيامة، فمن ذا الذى تسوّ له نفسه أن يقول: إن هناك قطيعه بين الفقهاء الصالحين العدول وبين مسار المعصومين، وإلا لو لم يعتمد المعصوم على الفقهاء والعلماء و... فمن يكون المعين له ومن يكون ساعده وذراعه وواسطته للناس؟! أيعقل أن يكون الجهال والعياذ بالله هم سواعد المعصوم وربطته بالناس، وإنما أمره الله تعالى

ص: ٣٤٢

١- ١) قال الحر العاملي في وسائل الشيعة ١١٦: ٢٠: أبان بن تغلب بن رياح أبو سعيد البكرى، ثقة جليل القدر، عظيم المنزله فى أصحابنا، لقي على بن الحسين، والباقر، والصادق (عليه السلام) وروى عنهم وكان له عندهم خطوه وقدم، وقال له أبو جعفر (عليه السلام): «أجلس فى مجلس المدينة وافت الناس فإنى أحب أن أرى (يرى) فى شيعتى مثلك»، وكان قارياً فقيهاً لغويّاً قاله النجاشى والشيخ والعلامة، وزاد النجاشى: وكان مقدماً فى كل فن من العلم فى القرآن والفقه والحديث والأدب واللغه والنحو وله كتب، وروى أنه روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) ثلاثين ألف حديث، وروى فى مدحه أحاديث كثيره ووثقه علماء المخالفين أيضاً.

باتخاذ العلماء ومن يكون ذا كفاءه فى الفقه والتفقه لا الجهل والجهاله أمناء على شريعتهم ودين الله.

لذلك قال جعفر بن محمد (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وعفاريتته, يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا, وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب, ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مره, لأنه يدفع عن أديان محبيننا, وذلك يدفع عن أبدانهم» (١). أى ثغور المعرفه وثغور البصيره, فلا يستطيع أصحاب الدجل والعداء والحيل والزيف والباطل أن ينفذوا إلى حومه الدين ما دام جنود المعصومين موجودين وهم الفقهاء, فإنهم وإن كانت حجيتهم نقطه فى محيطات سماء المعصومين (عليهم السلام) ولكن هذه النقطه هى نظام جهاز المعصومين بهندسه وتخطيط من الله (عزوجل), لأن الله (عزوجل) أراد لهذا الجهاز أن لا يخترق وأن يكون حصيناً, لذلك قال أئمه أهل البيت: «الفقهاء حصون الإسلام» (٢).

فالمعصوم لا بد أن يتخذ حصناً وأعواناً له يعينوه بنص الآيه الكريمه _ آيه النفر _ قال تعالى: وَ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

ص: ٣٤٣

١- ١) الاحتجاج/ الطبرسى ١٥٥: ٢.

٢- ٢) روى الشيخ الكليني فى ٣٨: ١/ باب فقد العلماء من الكافى/ ح ٣, محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن على بن أبى حمزه قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكه وبقاع الأرض التى كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التى كان يصعد فيها بأعماله وتلم فى الإسلام ثلمه لا يسدها شىء لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينه لها».

يَحْدُرُونَ (١) لذلك لم تلغ حجيه الفقهاء في الغيبه الصغرى وفي ظل نيابه السفراء الأربعة, إذ هو نظير الدائره أو الوزاره فيها مدير ورؤساء شعب وموظفون وعمال وكل له دائره عمل خاصه لا تتقاطع مع دوائر عمل الآخرين, أو نظير الوزارات والدوائر المتعدده تحت ظل رئاسه موحدّه للوزراء.

فإنّ السفراء الأربعة في الغيبه الصغرى نظير الوزير والوزاره فلهم مسؤوليات معينه لا تتقاطع مع مسؤوليات الإمام (عليه السلام) ولا تتقاطع مع مسؤوليات الفقهاء الباقين, فإنّ حجيه النواب والسفراء في الغيبه الصغرى لم تكن حجيه مطلقه بل هي محدوده, أما في الغيبه الكبرى فقد قامت الدلائل والبراهين على بطلان كل مدعى للسفاره والنيابه الخاصه, وإن كان للمهدي (عليه السلام) في دوله الظهور ولاه ونواب خاصون وهم أصحابه الثلاثمائه والثلاثه عشره كما سيأتى بيان ذلك.

وهكذا الفقهاء الباقون من غير السفراء سواء كانوا في الغيبه الصغرى أو الكبرى, وحتى في زمن الظهور فإنّ لهم مهاماً ومسؤوليات غير مهام ومسؤوليات الإمام (عليه السلام) وغير مسؤوليات السفراء, ولا يتصور إلغاء أى من الحجج لحجه أخرى, فكما لا تقاطع في النظم الإداريه كذلك لا تقاطع في مراتب الحجيه وتراتب الحجج.

ولذلك نلاحظ ترحم الإمام المهدي (عليه السلام) على بن بابويه والد الصدوق (رض) وعلى غيره من الفقهاء مع أنهم لم يكونوا سفراء ولا نواباً خاصين وإنما كانوا فقهاء فحسب.

ص: ٣٤٤

وهكذا لم نلاحظ أحداً من السفراء (رض) حاول إلغاء دور الفقهاء، بل على العكس كما لاحظنا موقف الحسين النوبختي (رض) في عرض كتابه على فقهاء قم، وما ذلك إلا لعدم تقاطع الأدوار والمسؤوليات والحجج وأن الفقهاء وزراء معينون من قبل الله تعالى كخدام وأنصار للأئمة (عليهم السلام)، إذ لما كان الأئمة (عليهم السلام) يحتاجون للمعين والناصر في نشر وإرساء الدين الإسلامي، فمما لا ريب فيه أن يكون الناصر والمعين لهذه المهمة من الشرفاء النجباء الحلماء العلماء الاتقياء الصالحاء... لا من أى جنس ونوع كان، قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١).

امومه بديهيات العقل فى المعرفه:

نعم، لو قلبت المقاييس وألغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمة من المفضولين والجهال...

ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أى كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتى بعدالتى وعدم مخالفتى لبديهيات العقل! فكيف نلغى العقل ونعمل خلاف الموازين العقلية فى اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمة (عليهم السلام) فى نشر دين الله تعالى؟!، وإلا فإن جعل أعوان الإمام (عليه السلام) من غير الفقهاء بأن يكونوا جهالاً هو عين المخالفه لبديهيات العقل، إذ العقل حاكم بوجوب تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبره والنخبه ووجوب الاعتماد على الفقهاء فى نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجه البعض المتشبت بمتشابه دلالة الروايات

ص: ٣٤٥

والتي لا سند لها، حيث يقول بأن المهدي المنتظر (عليه السلام) عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء... (١) فهو ظن في ظن وتخبط لعدم معرفه الحجج،

وبالتالي فهو زيغ وضلال.

ص: ٣٤٦

١- ١) جاء في كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥١؛ وفي بحار الأنوار ٥١: ٧٠، وكذلك ٢٧٧: ٥٢ واللفظ لكمال الدين كما في باب نص الله تبارك وتعالى على القائم (عليه السلام) وأنه الثاني عشر من الأئمة (عليه السلام) / ح ١، حيث جاء فيه: وكثر القراء وقلّ العمل وكثر القتل وقلّ الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة والخونه، وقد جاء في أحاديث أخرى كما في الغيبة للنعماني والكافي للكليني وغيره من المصادر الأخرى وأن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاثلونه عليه، وجاء في روايات أخرى على ما في الكافي للشيخ الكليني ٣٠٨: ٨ حديث عيسى بن علي وأبي جعفر المنصور / حديث رقم ٤٩ قال رسول الله: «سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه يسمعون به وهم أبعد الناس منه مساجدهم عامره وهي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود»، وجاء في بعض المصادر: أعدائه مقلده العلماء أهل الاجتهاد، وجاء في كتاب مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١٤٣ - لولا - أن السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله. وهذه النصوص على اختلافها في البيان وتعدد مصادرها لم نقف فيها على إسناد معتبر يقاوم ما ثبت من دليل حجيه الفقهاء في عصر الأئمة وما بعده بل وحتى في عصر الإمام (عليه السلام)، فإنّ هذه الأخبار التي حاولنا استقصاء ألفاظها فضلاً عن أن دلالتها لا تفيد علماً بل ولا حتى ظناً في قبالة نص آية النفر ومتواتر الحديث في دور الفقهاء إلى يوم القيامة، إلا أنها لا تدل على ما يرمى إليه البعض من أن الإمام المهدي (عليه السلام) يقصى الفقهاء ويمر السيف عليهم بل إن أقصى ما تدل عليه أن هناك جملة ممن يتسمون بالفقهاء يجرى فيهم حكم الإمام العادل (عليه السلام) وهناك عده محامل يمكن أن نحمل عليها هذه الأخبار إذا قلنا باعتبارها وهو (بعيد) فمن هذه المحامل: ١ - أنها تحمل على فقهاء العامه. ٢ - أنها تحمل على فقهاء السوء دون فقهاء الهدى بقريته النص الأول. ٣ - أنها تحمل على من يسمى نفسه فقيهاً ويحصل اعتياد على ذلك لدى السذج كما هو المشاهد في أيامنا هذه ممن يزج أنفه في نوادي العلم والفاقه ويسمى نفسه فقيهاً. وعلى أي حال فإنّ الروايات غير ثابتة سنداً ومجملة دلالة فهي لا تفيد ظناً فضلاً عن علم.

كما يتضح اندفاع توهم المتوهم بأنه مع ظهور الإمام (عليه السلام) لا تبقى حاجه ولا دور للفقهاء ولا للاستنباطات الظنيه لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصيل العلم بالأحكام الواقعيه من الإمام (عليه السلام) مباشرة، لاسيما وأن الإمام (عليه السلام) يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامل علوم الناس وعقولهم فذلك لا- يعنى كونهم أنبياء كما لا يعنى أن الطريق الذى يتلقون منه العلم هو قناه الوحي كما لا يعنى صيرورتهم فى مستوى علمى واحد، بل يبقى بينهم تفاوت وفوارق فى المستوى العلمى والعقلى حتى مع حصول تطور علمى وتكنولوجى هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعه بحيث يكون بإمكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرة ليأخذ الحكم الشرعى القطعى الواقعى منه، فإنه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلميه والعقليه بين الناس، ومن ثم لا يكونون كلهم بدرجه حوارى وأصحاب الإمام (عليه السلام) ال- (٣١٣) وإذا وجدت الفوارق العلميه والعقليه بين عموم الناس فبالتالى يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطه ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أى ليكون واسطه بينهم وبين الإمام (عليه السلام) لا يصلح الأحكام ونحوها.

كما أن الشئنه التكوينيّه لقيام دوله الظهور ودوله الرجعه ليست قائمه على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناه واحده، بل تبقى القنوات الظنيه على حالها ويبقى الدور المناسب فى كل مجال لأهل التخصص والخبره، وبالتالي يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعباره أخرى إن قوله تعالى: **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا**

نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

ص: ٣٤٧

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١) لا يطرأ عليها النسخ، فهي تبين ترسيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا - نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢)، فلا- بدّ للإمام من جهاز عمل وواسطه بينه وبين الناس، وإلا بمقتضى طبيعه البشر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشخص واحد على درجه واحده من الارتباط والفهم والتلقى. نعم تحدد قنوات تشعبه تنازليه الأكثر علماً فى الأعلى ثم الأقل فالأقل ويكون الإمام (عليه السلام) على رأس الهرم. وهذا التنظيم فى الشريعة لا ينسخ حتى عند ظهور الإمام (عليه السلام) لاسيما أن مفاد آيه النفر فى سورة التوبه متطابق مع مفاد آيه الحكم: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرِّبَاثُونَ وَ الْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوُا اللَّهَ وَ لا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٣). فى سورة المائده كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٤) فإن مفاد هذه الآيه أشار إلى نفس هذا الحكم العقلى الفطرى.

فإن الناس بالتالى يأخذون من الفقهاء الأحكام التى تكون

ظاهريه بلحاظ علم الإمام (عليه السلام) لأن ما عند الإمام (عليه السلام) أكثر واقعيه، وقد

ص: ٣٤٨

١- (١) التوبه: ١٢٢.

٢- (٢) النحل: ٤٣.

٣- (٣) المائده: ٤٤.

٤- (٤) الزمر: ٩.

ثبت في محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان في رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعي أكبر يكون ظاهرياً (1).

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئذٍ حكم واقعي في رتبته ولكنه ظاهري بلحاظ ما عند الإمام (عليه السلام)، وهكذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنه تقدم أن اليقيني بلحاظ يقيني أعلى يكون ظناً _ كما أن الحس يقيني واعتبره القرآن ظناً في قبال المعجزه في فتنه بنى إسرائيل والنصارى _ فما بينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقيني في مرتبته ولكنه ظني بلحاظ ما عند الإمام (عليه السلام).

فما دام هناك تفاوت وفوارق في استقاء العلم فلا محاله يبقى لأهل التخصص والاختصاص دور وشأن، وهذا من ضروريات طبيعه الحياه والنظام الاجتماعي والنظام المعيشي البشري في عيشه العلمي والمعلوماتي.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلا لأجل

استهدافهم وبالتالي استهداف النخبه في الدين لتحصل الفوضى فيه وهو

ص: ٣٤٩

١ - ١) يقسم الأصوليون الحكم إلى واقعي وظاهري والأول ما كان ثابتاً للشيء لا في ظرف الشك بخلاف الثاني الذي يثبت للشيء في ظرف الشك والحكم الظاهري ينقسم بحسب ملاكه ودرجه كشفه إلى أقسام ثانويه أخرى وكل حكم منها له ملاكه الخاص من قوه الكشف والمنكشف، وكل حكم من هذه الأحكام بلحاظ ما هو أدون منه مرتبه يكون واقعياً وبما هو أعلى منه يكون ظاهرياً، وهناك تقسيم آخر حاصله أن الحكم الواقعي إذا كان أعظم وأهم ملاكاً فإنه يكون حكماً واقعياً فعلياً بخلاف الحكم الواقعي لنفس الموضوع ولكن ملاكه أضعف فإنه يكون في هذه الحاله ظاهرياً، فالواقعي والظاهري هنا ليست بلحاظ ثبوت الحكم للشيء في ظرف الشك أو عدمه بل هي بلحاظ الملاك الأهم، فالحكم الواقعي في الملاك الأقل أهميه من حكم واقعي آخر يكون ظاهرياً بهذه النسبه وإن كان واقعياً بلحاظ نفسه.

مراد الأعداء, إذ من الطبيعي أن استهداف أى مجال من مجالات الحياه إنما يكون بالنيل من المتخصصين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بذلك الاستهداف, فمثلاً من يريد النيل من مجال الطب لتعم الفوضى فيه وبالتالي يستغل الموقف فى تحقيق مآربه إنما يبدأ باستهداف الأطباء الماهرين وبذلك يكون الطب فوضى, وهكذا فى مجال الهندسه لمن يريد أن تحصل الفوضى فيها وذلك بالنيل من المهندسين الماهرين, وهكذا الكلام فى بقية المجالات, لأنه فى كل مجال من هذه المجالات هناك ترتب ونظم متسلسله, وبمقتضى هذا النظم والتراتبية تحصل حمايه من التسويف واللصويه والتدجيل.

فإنّ الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص فى كل مجال هو من فطره البشر وضمن حدود معينه, وإلا فالبديهيّات محافظ عليها فى كل المجالات.

وعليه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبيل, إذ يسلك الأعداء هذا الطريق لتحصل الفوضى فى الدين والمناصب الدينيه ليكون بإمكانهم الدجل والاختراق والتلصص فى مناصب الدين, لذلك نجد أن أهل البيت (عليهم السلام) وضعوا قوانين خاصه وضوابط فى تحديد المرجعيّات والمناصب الدينيه لا يمكن تجاوزها إذا حافظنا على أصول ثقافه الدين بالشكل الصحيح ونشر هذه الثقافه بين أتباع أهل البيت, وإلا فمن البساطه جدّاً التدجيل على الجهال وخداع السذج.

أنواع الحجج مفتاح البصائر:

مما لا ريب ولا شكّ فيه أن العاصم والمانع من التأثر بالشبهات

وأن قوام استكشاف البصيره فى الفتن المعرفيه أو العقائديه هو بمعرفه

ص: ٣٥٠

مراتب الحجج ويجب أن تكون مبيّنه ويبيّنه لدى المكلف والمؤمن، فإنّه إذا استبانّت واتضحّت مراتب الحجج فسوف يفوّت الفرصه على الشبهه والمتشابهات، فإنّما تدب وتنتشر الشبه والاستناد للمتشابهات إذا ضاعت والتبست مراتب الحجج ومدارجها وتسلسلها، لذا تقدم أن المنقذ من ظلاميه الفتن والاثارات في البصيره والمعرفه هو معرفه مراتب الحجج ومنظومه الحجج، ولا يكفى معرفه أصل حججه الحججه.

ثمّ بعد معرفه أصل حججه الحججه ومعرفه مرتبه تلك الحججه في منظومه الحجج لا- بدّ من قواعد رقايبه استكشافيه تبين علاقته الحجج بين بعضها البعض ونظامها ومحدوديه كل حجه وأن تلك الحججه لا زالت في مرتبتها وحدودها، وأيضاً تكشف زيف وبطلان المدعى لحججه حجه في غير مرتبتها.

أما منظومه وسلسله الحجج ففي أعلى مراتبها بديهيات وضرورات العقل، ثمّ توحيد الله تعالى، ثمّ بعده لسيد الأنبياء، ثمّ لسيد الأوصياء، ثمّ الأئمّه (عليهم السلام)، ثمّ الفقهاء والنواب بالنيابه العامه أو الخاصه، فهذه السلسله الهرميه لكل منها حججه في مدى وحدود معينه ومساحه خاصه.

فمن روائع القرآن الكريم أنه يجذر ويبنى ويؤسس مثل هذه النظم في منهج المعرفه، فكم من الأمم تضلل وتغش عقليتها ويصادر وعيها إذا حسبت أن الحججه حجه بالاطلاق والتعميم، يعنى بالاعتماد على الحجج بنحو اطلاقى غير محدود بحدود، فالآفه تنجم وتنشأ من ذلك الاطلاق والتعميم.

مراتب الحجج:

نقرأ في الدعاء في الحديث الشريف: «اللهم عرفنى نفسك، فإنّك

ص: ٣٥١

إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفنى رسولك، فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك، فإنك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن ديني» (١)، فهذه أربعه محاور وليست ثلاثه:

١ _ معرفه الله (عزوجل).

٢ _ معرفه النبي (صلى الله عليه و آله).

٣ _ معرفه الحججه والإمام (عليه السلام).

٤ _ معرفه الدين.

فمعرفه الدين وليده لمعارف ثلاث متراتبه متسلسله متدرجه، والذى لا تستتب ولا تتم لديه معرفه الله تعالى بشكل توحيدى سديد وصائب لا تتم لديه معرفه النبي (صلى الله عليه و آله)، فإنه إذا لم تعرف قدره وحكمه وعظمه وصفات الله سبحانه وتعالى لم يعرف مقام النبوه والرساله لأن مقام النبوه والرساله ليس مقام خلافه وتبليغ عن مخلوق ما، بل هو مقام خلافه وتبليغ عن خالق جبار متكبر عظيم

حكيم عزيز...، فبقدر معرفه عظمه الله سبحانه وتعالى نستطيع أن نتفهم من ينسب وينتسب إليه فى الخلافه والتبليغ.

ص: ٣٥٢

١ - ١) فى الكافى للشيخ الكلينى ٣٣٥: ١/ باب فى الغيبه، عن على بن إبراهيم، عن الحسن بن موسى الخشاب بن عبد الله بن موسى، عن عبد الله بن بكير، عن زراره قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن للغلام غيبه قبل أن يقوم»، قال: قلت: ولم؟ قال: «يخاف» - وأوماً بيده إلى بطنه - ثم قال: «يا زراره وهو المنتظر، وهو الذى يشك فى ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا- خلف ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بستين، وهو المنتظر غير أن الله يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، يا زراره إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللهم عرفنى نفسك فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفنى رسولك فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك فإنك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن ديني» ثم قال: «يا زراره لا- بد من قتل غلام بالمدينه»، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: «لا ولكن يقتله جيش آل بنى فلان يجيء حتى يدخل المدينه فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله».

فمن الجهالات التي ترى في جملة من الرؤى في المدارس الإسلاميّة حول مقام النبوه ما يكون منبعها جهالات في معرفه الله، لأنه لو عظم الخالق في كل شيء عظم من يستخلفه، لأنه يبلغ عن نصبه وأرسله، فإذا عرفنا وعظمتنا صفات المرسل عرفنا عظم صفات المرسل.

وإذا عرفنا عظمه وصفات المرسل والخليفه والمبلغ ومقاماته العظيمة وشؤونه العاليه فلا محاله سوف نعرف عظمه الإمام وخليفه الرسول.

فهذه المعارف الثلاث متراتبه يعنى لا يمكن أن تتم معرفه النبي بسداد وصواب إلا بعد معرفه الله سبحانه وتعالى بسداد وصواب، فمعرفه الله تعالى متقدمه على معرفه النبي (صلى الله عليه وآله)، ومعرفه النبي متقدمه على معرفه الإمام، أى أن مراتب الحجية متراتبه متسلسله متدرجه، ولذلك نلاحظ أن البيئات والحجج العقلية وغير العقلية على توحيد الله تعالى أكثر بياناً وبرهاناً وجللاً من البراهين والحجج التي على نبوه الأنبياء أو على نبوه سيد الأنبياء، وكذلك البراهين والبيئات والحجج القائمه على نبوه سيد الأنبياء أكثر من البراهين والبيئات القائمه على إمامه ووصايه سيد الأوصياء، وكذلك البراهين والبيئات والحجج القائمه على إمامه سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) أكثر من البراهين والبيئات القائمه على إمامه الحسين (عليه السلام)، والبراهين القائمه على إمامه الحسين (عليه السلام) أكثر من البيئات والبراهين القائمه على إمامه الأئمه

التسعه من ولد الحسين (عليهم السلام). نعم، الإمام المهدي (عليه السلام) أفضل التسعه المعصومين كما في بعض الروايات، وكذا في خطبه الغدير للنبي (صلى الله عليه وآله): «...»

تاسعهم هو باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم...» (1)، فيكون مقام الإمام المهدي (عليه السلام) بعد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام)، لأن الأدلة على إمامته أكثر من الأدلة القائمة على إمامه التسعة (عليهم السلام)، فلا بد من الالتفات لتلك المراتب، فإنه كلما ازدادت البيانات ازدادت الحجية فإن الحجية تشتد وتضعف تبعاً لزيادة البيانات والدلائل وقلتها، وكلما ازدادت شدة ودرجه الحجية ازداد وارتفع وعلا- مقام تلك الحجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفضائل والصلاحيات مختلفه أيضاً، ولذلك فإن سيد الرسل (صلى الله عليه وآله) هو إمام أيضاً إلا أنه إمام للأئمة الاثنى عشر، فإن لسيد الرسل مقام النبوه والرساله والإمامه، لذا فإن الأئمة تابعون مطيعون مسلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كما أنه (صلى الله عليه وآله) تابع ومطيع ومسلم لله تعالى.

يقول الإمام الرضا (عليه السلام): «... لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليحرم ما أحل الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وقول الله (عز وجل): إِنْ أَتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوحَى

ص: ٣٥٤

١- ١) ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني في كتابه الغيبة: /٧٣ باب ما روى بأن الأئمة اثنا عشر إماماً وأنهم من الله وباختياره/ ح ٧، أخبرنا محمد بن همام قال: حدّثنا أبي وعبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدّثنا أحمد بن هلال، قال: حدّثنا محمد بن أبي عمير سنة أربع ومائتين، قال: حدّثني سعيد بن غزوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليه السلام) قال: قال رسول الله : «إن الله اختار من كل شيء شيئاً فاختر من الأرض مكّه واختار من مكّه المسجد واختار من المسجد الموضع الذى فيه الكعبه واختار من الأنعام اناثها ومن الغنم الضأن واختار من الأيام يوم الجمعة واختار من الشهور شهر رمضان ومن الليالى ليله القدر واختار من الناس بنى هاشم واختارنى وعلياً من بنى هاشم واختار منى ومن على الحسن والحسين وتكملة اثنى عشر إماماً من ولد الحسين تاسعهم باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم وهو قائمهم».

إِلَى (١) فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرساله»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما ليس بالكتاب وهو في السُّنَّة ثم يرد خلافه، فقال: «وكذلك قد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أشياء نهى حرام فوافق في ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى، ووافق في ذلك أمره أمر الله تعالى، فما جاء في النهى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاّ لعلّه خوف ضروره، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو نحرم ما استحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا يكون ذلك أبداً، لأننا تابعون لرسول الله» (٢).

فهذه السلسله محفوظه، فلا- يمكن للرسول (صلى الله عليه وآله) - والعياذ بالله - أن يرد على الله تعالى أو يتخلف عن تبعيه أو امره تعالى، فالأسس والأساس في التشريع من الله (عزوجل) وسُنَّه النبي (صلى الله عليه وآله) تابعه لفرائض وأوامر وتشريعات الله وليست هي في عرض تشريعات الله بل هي تابعه وتأتى في الدرجه الثانيه لفرائض الله، ولا يمكن أن نتصور ونفرض بأن سنن النبي ترفع فرائض الله، وكذلك سنن المعصومين (عليهم السلام) من أئمة أهل البيت تابعه لسنن النبي (صلى الله عليه وآله) وفرائض الله تعالى،

ولا يمكن حينئذٍ أن تكون سنن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) رافعه أو مضادده لسنن النبي (صلى الله عليه وآله) وفرائض الله - والعياذ بالله -.

وكذلك فتاوى الفقهاء تابعه وفي كنف فرائض الله وسنن النبي وسنن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن لفتاوى الفقهاء أن تخرج عن

ص: ٣٥٥

١-١ (١) الأنعام: ٥٠.

٢-٢ (٢) وسائل الشيعه ١١٤: ٢٧/ باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفه وكيفيه العمل بها/ ح ٢١.

فرائض الله ولا- عن سنن النبي ولا عن سنن الأوصياء, فإنّ جميع فقهاء مدرسه أهل البيت يذكرون أن التقليد واتباع الفقيه في الفتاوى إنما هو في غير الضروريات المعلوم حكمها من فرائض الله وسنن النبي وسنن الأوصياء.

يعنى أن فتوى الفقيه لها دائره محدوده معلمه ومخطوطه بخطوط حمراء، وتلك الخطوط الحمراء هي ضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبي وضرورات سنن الأوصياء, وبالتالي ما علم أنه من فرائض الله بالضروره وما علم أنه من سنن النبي بالضروره وما علم أنه من سنن الأوصياء بالضروره لا يمكن للفقيه أن يتجاوزه، فهو يستنبط ويستكشف ما هو نظرى في دائره النظريات من أحكام الله وأحكام الرسول وأحكام أئمه أهل البيت، كل ذلك في كنف فرائض الله وسنن النبي والأوصياء، ولا تخرج تلك الاستنباطات عند الفقهاء عن دائره تلك الضروريات.

وربما يتوهم البعض وجود تهافت في كلام علماء الأصول، حيث إنهم من جهه يقولون: إن إجماع الفقهاء من غير دخول المعصوم فيه ليس بحجه، ومن جهه أخرى يقولون بأن فتوى الفقيه حجه، فكيف تكون فتوى الفقيه منفرداً حجه مع أن مجموع الفقهاء من غير المعصوم لا قيمه له في الحجيه، فهل هذا تهافت أم ماذا!؟

ويرتفع توهم التهافت إذا دققنا في مساحه حجيه الفقهاء، فإنّ

فتوى الفقيه إذا كانت في غير العقائد وغير الضروريات وكان الفقيه مستنداً للموازين الشرعيه المقرره في مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أى إذا كانت فتواه وفق الموازين الشرعيه وفي مجال النظريات والمتشابهات من الفقه فإنّ فتواه حجه.

أما فتوى الفقيه بل لو أجمع الفقهاء على الافتاء فيما يخالف الضروريات أو العقائد الأصلية أو ما لم يكن على الموازين بحسب البحث الاستدلالي لدى فقيه آخر فحينئذ فتواهم ليست بحجه، فإن هكذا قضايا وموازن ليست ضمن مساحه حجه الفقهاء ولا لأهل الخبره وإنما لا بدّ من إعمال البراهين والرجوع للبداهيات والضروريات، والتميز بين هاتين المساحتين واضح وسهله مع وجود الوعي فى البصيره.

فلا- يمكن لفقيه أن يرفع فرضاً كوجوب الصلاه بل حتّى لا- يمكن للنبي (صلى الله عليه و آله) أن يرفع مثل هذا الوجوب لمحدوده سنن النبي وكونها فى كنف فرائض الله، فإنّ أصل وجوب الصلاه والصوم وباقي الفرائض الضروريه هى من فرائض الله، كما أن زياده الركعتين فى الصلاه الرباعيه عند كل المسلمين من سنن النبي (صلى الله عليه و آله)، فهذه سنّه للنبي فى كنف وظل وتابعيه فريضه من فرائض الله وهى وجوب الصلاه، وكذلك سنن الأئمّه المعصومين (عليهم السلام) هى فى كنف وظل فرائض الله وسنن النبي، يعنى أنها لا تتجاوز وجود الفرائض الإلهيه والسّنن النبويه، كذلك فتوى الفقهاء فى حرمه الزنا وحرمه اللواط والربا مثلاً لا تتجاوز فرائض الله وسنن النبي ومناهج الأئمّه.

ومن لم يحافظ على هذه التراتبيه والمحدوده وقع فى زيغ وفهم خاطيء لبعض الروايات كروايه الدين الجديد، حيث قال أبو جعفر (عليه السلام): «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلاّ السيف، ولا يستتیب أحداً، ولا تأخذه فى

الله لومه لائم» (١) حيث فهم أن الإمام المهدي (عليه السلام) عند ظهوره يأتي بدين جديد وقرآن جديد ويدعو إلى شيء غريب... فيفهم أن الإمام _ والعياذ بالله _ يرفع وجوب الصلاة ووجوب الزكاه والحج ويرفع حرمه الفواحش والربا ويأمر بقطع الرحم... الخ, وهذا مستحيل، لأنّ صلاحيات الإمام لا تخرج عن صلاحيات الله وصلاحيات رسوله.

بل إن هذا هو معنى الغلو لأنّ معنى عدم الغلو في الأئمة أن لا نعتقد أنهم يأتون بشريعه جديده تناهض وترد على شريعه الرسول _ والعياذ بالله _ بل نقول هم مسلمون وتابعون ومطيعون لله ولرسوله (صلى الله عليه و آله), فالاعتقاد الصحيح بإمامه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنهم أئمة منصوبون من الله تعالى وهم خلفاء الله ورسوله ومرتبون بالغيب وليسوا بأنبياء، فلا يأتون بشريعه غير شريعه الرسول، ولا يخرجون عن دائره شريعه سيد الرسل وخاتم الأنبياء.

كيف نتصور أن شخصاً يتشبه بروايه أو روايتين أو حتى عشره أو مئه, ويتوهم بحسب هذا الفهم والتفسير الخاطيء أن المهدي (عليه السلام) يأتي بدين جديد بمعنى أنه يأتي بدين غير منضبط ضمن قوالب الحجيه، وأنه _ والعياذ بالله _ يأمر باستباحه المحرمات التي حرمها الله

تعالى ورسوله (صلى الله عليه و آله) ويأمر بترك الواجبات التي فرضها الله تعالى, كيف يتصور ذلك وأيّ عاقل يقبل به.

بل حتى لو فرضنا أنه يأتي بدين جديد فلا بدّ أن يكون ذلك الدين منظماً ومنضبطاً ضمن مراتب وقوالب الحجيه، وإلا كان الضلال

ص: ٣٥٨

والاضلال كما هو الحال فى الفرق الضاله والمنحرفه والمدعيه للزيغ فى الغيبه الصغرى, كما يذكرها الشيخ الطوسى (١) فى كتاب الغيبه كاشلمغانيه والشريعيه وغيرها, وما ذلك إلا لاختلاط وعدم ترتب منظومه الحجج عندهم فضلوا وأضلوا جماهيرهم بتصويرهم أن حجيه الإمام (عليه السلام) فوق حجيه الرسول (صلى الله عليه وآله).

وكيف نتصور أو يعقل أن تأتى مدرسه من المدارس الإسلاميه بخبر أو روايه حتى لو فرضنا صحتها ينسبونها للرسول (صلى الله عليه وآله) فيها ردّ على القرآن الكريم وتحريم ما أوجبه الله تعالى فيه, فمثلاً بعد أن ثبت أن القرآن الكريم يدعو إلى التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) ويجعله من الأركان ومن أصول الإيمان فى قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٢) فىأتى البعض ويحرم التوسل اعتماداً على روايات ينسبها للنبي (صلى الله عليه وآله) مع أن التوسل باب معنوى لطلب الاستغفار من الله تعالى، بل التوسل بالنبي وآله من أركان الدين كما تقدم بنص القرآن حيث يأمر: توسلوا وتوجهوا بالنبي (صلى الله عليه وآله)، فقوله: جَاءُوكَ معناه بالعاميه الدارجة

(دخيلك يا رسول الله) فهو توجه وتوسل بالله تعالى، لكن لا مباشرة، بل من طريق الباب وهو الرسول (صلى الله عليه وآله)، لذا يأمر القرآن بالتوجه والتوسل ولو عن بعد المسافات، أليس كل المسلمين يقولون فى صلاتهم: (السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته) مخاطبين الرسول بذلك، و(الكاف)

ص: ٣٥٩

١-١) غيبه الطوسى: ٢٦٧ وما بعدها/ ط / ١ ت على أكبر الغفارى.

٢-٢) النساء: ٦٤.

فى اللغة العربيه للمخاطب الحاضر، وهو تشريع فى ضرورى من ضروريات المسلمين، بل فى فعل توحيدى وهو الصلاه، حيث شرع فيها خطاب وتوسل وتوجه للنبي (صلى الله عليه و آله).

كما أن فقهاثنا كالشيخ الطوسى والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والشيخ الحلبي والشيخ ابن إدريس والشيخ ابن زهره والشيخ سلار وكافه القدماء (رح) يفتون باستحباب السلام على الأئمه (عليهم السلام) بعد التسليم على الرسول (صلى الله عليه و آله) وقبل (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) حيث يقولون: يستحب أن تقول: (السلام على الأئمه الراشدين المهديين من آل طه وياسين) (١).

إذن كافه المسلمين يتوجهون فى الصلاه بالتسليم على النبي وهم لم يخرجوا من الصلاه وهذا من ضروريات المسلمين فقوله: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعَفَرُوا اللَّهَ (٢) يعنى لا يتوجهون إلى الله إلا بأن يطرقوا باب الله الأعظم وهو الرسول (صلى الله عليه و آله)، فطرق الباب أولاً ثم التمکن من الولوج فى الساحة الربويه، قال تعالى: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣) والنبي (صلى الله عليه و آله) هو باب الله الأعظم، وباب الرسول (صلى الله عليه و آله) هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما تواتر عنه: «أنا مدينه الحكمه وأنت يا على بابها» (٤)، فمن أراد المدينه والحكمه فلا بد أن يأتيها من بابها.

ص: ٣٦٠

١-١ (١) فقه الرضا: ١١٥.

٢-٢ (٢) النساء: ٦٤.

٣-٣ (٣) البقره: ١٨٩.

٤-٤ (٤) الأمالى / الصدوق: ٤٧٢.

فمن وفودنا على وصى النبي نستطيع أن نفد على النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن وفودنا على النبي (صلى الله عليه وآله) والتجائنا وتوجهنا وتوسلنا ولو اذنا به نكون قد وفدنا على الساحة الربوبية وتوجهنا إلى الله (عز وجل).

وأيضاً فى قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (١)، فلم يقل: تعالوا إلى الله مباشرة، إذ البارى لا يباشر ولا يتباشر ببشره، بل لا بد من الوفود على الرسول (صلى الله عليه وآله) أولاً فهو الشافع المشفع، ولكن ما هو فعل المنافقين؟ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، فالقرآن الكريم يبين أنهم ليسوا موحدين، بل هم مستكبرون.

والاستكبار صفة وسُنَّه إبليس اللعين إذ استكبر ولم يسجد لآدم (عليه السلام) حيث يقول: قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٢) فسُنَّه إبليس الاستكبار عن التوسل والتوجه.

قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُ عَلَى

ذِكْمٍ إِضْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٣) هذه الآيات من سورة آل عمران يحدثنا القرآن فيها أن نبوات الأنبياء نالوها بشفاعه سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله).

وهكذا الآيات من سورة الأعراف: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

ص: ٣٦١

١- (١) المنافقون: ٥.

٢- (٢) الإسراء: ٦١.

٣- (٣) آل عمران: ٨١ و٨٢.

الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١) تبين لنا بأنه من دون التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) لا يدخل المسلم الجنة ولا ترتفع لديه عقيدته، حيث يقول: كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أَى تَكْذِيبَ وَاسْتِكْبَارَ وَاسْتِكْبَارَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، وَهُمْ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ (٢) وأكبر وأعظم آيات الله هو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ثم إن القرآن عبر: اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ولم يعبر: (استكبروا عليها), فما الفرق بين استكبروا عليها وبين استكبروا عنها؟

ذكر في كتب الأدب واللغة أن فعلاً ما قد يضمن معنى فعل آخر ثم يؤتى بأداه تناسب المعنى المتضمن, فالمعنى حينئذ استكبروا وصدوا عنها, فيقول القرآن: إن أولئك استكبروا وصدوا عن التوسل والتوجه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولووا رؤوسهم ويصدون وهم يستكبرون, أى كما فعل إبليس اللعين إذ استكبر عن آيات الله.

وأكبر آيات الله هو الرسول (صلى الله عليه وآله), فالتوجه والتوسل والخضوع لآيات وحجج الله شرط وركن ركين كى تنفتح أبواب السماء لعملك ولعقيدتك مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصِيرُ الْعُدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٣) فالصعود والرفع مشروط بالخضوع والتوجه والتوسل لنبي الله (صلى الله عليه وآله) ولحجج وآيات الله.

ص: ٣٤٢

١-١) الأعراف: ٤٠.

٢-٢) المؤمنون: ٥٠.

٣-٣) فاطر: ١٠.

والمستكبر عن آيات الله محال أن يدخل الجنة كما يعبر القرآن حتى يَلْتَجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ (١) إذن لا ننجو ولا يقبل ولا يصح إيماننا إلا بالآيات بفريضه إيمانيه من فرائض القرآن الكريم وهى التوسل والتوجه للنبي (صلى الله عليه وآله).

إذن لا- بد أن نقرأ روايه الدين الجديد الذى يأتى به المهدي (عليه السلام) فى ظل هذه المسلّمات، يعنى فى منطقه غير الضروريات من فرائض الله تعالى وسُنَّه النبي (صلى الله عليه وآله) ومنهاج الأئمّه (عليهم السلام) أى فى تلك المنطقه الوسيعه وهى منطقه النظريات التى اكتنفها تشابه وريب واختلاط عبر القرون، ومع ذلك لا يأتى (عليه السلام) فى تلك المنطقه إلا بما هو حق حقيق.

لذا نقرأ فى دعاء الندبه:

«أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعاده المله والشريعه، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محى معالم الدين وأهله» (٢).

وكذا فى دعاء العهد:

«واجعله اللهم... ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك (صلى الله عليه وآله)» (٣).

وهكذا فى دعاء الافتتاح أيضاً:

«اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» (٤).

ص: ٣٤٣

١- (١) الأعراف: ٤٠.

٢- (٢) دعاء الندبه، مفاتيح الجنان: ٥٣٧/ الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-) / ستاره قم.

٣- (٣) دعاء العهد، مفاتيح الجنان: ٥٣٩/ الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-) / ستاره قم.

٤- (٤) دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان: ١٧٩/ الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-) / ستاره قم.

وهكذا فى دعاء يدعى به فى زمن الغيبه والمرورى عن صاحب الزمان (عليه السلام): «... ووجد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من حكمك وعُيِّر من سُنتك حتى يعود دينك به وعلى يديه غضاً شديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعه فيه» (١).

وغيرها من الأدعية.

ففى دعواتنا والتزاماتنا وتوجهاتنا أنه (عليه السلام) يحى دين الله ويعمل بكتابه وسُنَّه رسوله ويسير على نهج الأئمة السابقين، لا كما يذكر من الفهم المعوج المزعوم استظهاره من آحاد الروايات _ والعياذ بالله تعالى وحاشاه (عليه السلام) _ من أنه يमित القرآن وسُنَّه النبى ونحو ذلك.

فبالاعتماد على انحفاظ تراتبيه الحجج ومعرفة مراتب الصلاحيات نفهم الروايه بالفهم الصحيح، أما إذا اختلطت علينا مراتب الحجج ودلائل الدين وصارت فوضى وفوضويه فى البصيره والمعرفة نصل لفهم واستنتاج خاطئ ومعوج ونترلق فى متاهات وظلمات ونخرج من الدين.

إذاً هناك تراتبيه فى منظومه الحجج لا يمكن هدمها ولا تقديم شىء منها على غيره، فإنَّ توحيد الله تعالى إنما يتم وفق الموازين العقلية

وبديهياته فتكون بديهيات العقل فى أعلى مراتب الحجج ثمَّ توحيد الله، وأن نبوه أى نبى لا بدَّ أن تكون من خلال توحيد الله، فنبوه الأنبياء لا بدَّ أن تكون فى كنف وظل وهيمنه توحيد الله، وهكذا إمامه أى إمام بالنسبه لنبوه الأنبياء، وهكذا بالنسبه للفقهاء مع الأئمة (عليهم السلام)، فتكون الحجج مرتبه بالترتيب الهرمى هكذا بديهيات العقل ثمَّ توحيد الله تعالى ثمَّ نبوه الأنبياء ثمَّ وصايه الأوصياء ثمَّ النواب الخاصون والنواب العامون.

ص: ٣٦٤

(١- ١) دعاء يدعى به زمن الغيبه، مفاتيح الجنان للقمى.

وسيتضح هذا الترتيب جلياً من خلال بيان كيفية إعمال القواعد الرقابيه فى الفصل الآتى (الخامس).

تراتب حجبه الأئمه:

قد يستفهم البعض عن لابدّيه الضبط والانضباط فى الحجج ضمن نظام خاص ومنظومه خاصه؟

ولكن بالالتفات لما تقدم والاعراض والحكم التى لأجلها أوجد الله تعالى هذا الخلق العظيم فإنه تعالى أراد لهذا الخلق التكامل والسير فى طرق تحصيل الرضا منه تعالى.

ولما كان الشيطان قد وضع حبائله وعمل بأساليبه الخبيثه لايجاد طرقٍ مزيفه لإضلال الناس وإيقاعهم فى الزيغ ليتركوا الطريق الذى رسمه الله تعالى لهم.

من هنا جاءت الحاجه لطريق وقناه اتصال بالحق وبالعالم الغيب ولابدّ أن تكون قناه يقينيه الصدق وهى قناه المعصومين (عليهم السلام) فكان سيد الرسل محمّد (صلى الله عليه و آله) القناه الوحيد الذى له القدره على الاتصال بعالم

الحق ومن خلاله يتصل عالم الإمكان بعالم الحق تعالى, فإنّ ما يتلقاه سيد الرسل عن الله تعالى يعظم حتّى ما يتلقاه جبرائيل (عليه السلام) ليوصله للنبي ويعظم ما يتلقاه روح القدس ليوصله للنبي, وهذا مؤيد ومدلل عليه بروايات عنه (صلى الله عليه و آله) حيث نقل أنه (صلى الله عليه و آله) تعرضه الغشيه, وفى بعض الروايات أن ذلك حينما لا يكون بينه وبين الله تعالى ملك ولا وسيط, وكما ورد عنه (صلى الله عليه و آله): «لى مع الله حالات لا يسعها لا ملك مقرب ولا نبي

مرسل» (١) وفي بعض الروايات (لنا) بدل (لى) أى أن قناه الاتصال من العظمه والشأن بحيث لا يتحملها إلا محمّد وأهل بيته (عليهم السلام).

ومما يؤيد ذلك ما ورد فى آيه الإسراء وروايات أهل البيت (عليهم السلام) أن النبى (صلى الله عليه وآله) رأى فى المنام بنى أميه وبنى مروان يتزور على منبره فغم الرسول (صلى الله عليه وآله) لذلك، فنزل عليه جبرائيل وسأله عن سبب اغتمامه فأخبره الرسول بما رأى، فقال جبرائيل: إن ذلك شىء لم أعلمه فعرج إلى الله تعالى فأنزل هذه الآية من قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (٢) أى أن هناك من عالم الحق وعالم الغيب ما يوصله الله تعالى للنبى (صلى الله عليه وآله) مباشرة من دون المرور بجبرائيل ولا غيره.

لذلك تقدمت حجيه الرسول (صلى الله عليه وآله) وصارت بعد حجيه الله تعالى،

ثم جاءت حجيه الأئمه (عليهم السلام) بعد حجيه الرسول وقبل حجيه جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ويشير لذلك ما فى الزياره الجامعه «... حتى لم يبق نبى مرسل ولا صديق... إلا عرفتهم جلاله أمرهم حتى لا يطمع...» (٣) من هنا تبين قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «نزهونا عن الربوبيه وقولوا فينا ما شئتم» (٤). وما عن الصادق (عليه السلام) قال بعد أن سئل

ص: ٣٦٦

١- ١) فى بحار الأنوار ٣٦٠: ١٨/ الباب ٣ من أبواب أحواله من البعثه إلى نزول المدينة/ باب إثبات المعراج ومعناه قوله: «لى مع الله وقت لا يسعه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

٢- ٢) الإسراء: ٦٠.

٣- ٣) الزياره الجامعه، مفاتيح الجنان للقمى.

٤- ٤) مشارق أنوار اليقين: ١٠١.

ما أنتم: «خزان علم الله وتراجمه وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجج البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» (١).

فحججه الرسول بعد حججه الله، ثم حججه الأئمة (عليهم السلام)، ثم حججه الفقهاء، ولكن حججه الأئمة أيضاً لها تراتبيه خاصه بحيث لا يمكن للإمام اللاحق تجاوز

حججه الإمام السابق، فإنهم (عليهم السلام) قناه واحده متصله ذات تراتب طولى يبتدئ بالرسول الأعظم وينتهى بالمهدى المنتظر (عليه السلام).

فإنه ورد فى الكافى: «لا- يتنزل شىء من الله تعالى إلا- ويتنزل أولاً- على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ثم على على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم الحسن، ثم الحسين حتى الإمام المهدى سلام الله عليهم أجمعين» (٢).

ص: ٣٤٧

١ - ١) فى الكافى ٢٦٩: ١/ باب فى أن الأئمة (عليه السلام) بمن يشبهون ممن مضى وكراهيه القول فيهم بالربوبيه جاء فى الحديث السادس عن سدير قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): إن قوماً يزعمون أنكم آلهه يتلون بذلك علينا قرآناً وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله فقال: «يا سدير سمعى وبصرى وبشرى ولحمى ودمى وشعرى من هؤلاء براء وبرء الله منهم ما هؤلاء على دينى ولا على دين آبائى والله لا يجمعنى الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم» قال: قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرأون علينا بذلك قرآناً يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إننى بما تعملون عليهم فقال: «يا سدير سمعى وبصرى وشعرى وبشرى ولحمى ودمى من هؤلاء براء وبرء الله منهم ورسوله ما هؤلاء على دينى ولا- على دين آبائى والله لا يجمعنى الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم». قال: قلت: فما أنتم؟ قال: «نحن خزان علم الله، نحن تراجمه أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجج البالغة على من دون السما وفوق الأرض».

٢ - ٢) عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «ليس يخرج شىء من عند الله حتى يبدأ برسول الله، ثم بأمر المؤمنين (عليه السلام)، ثم بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا». الكافى ٢٥٥: ١/ باب لولا أن الأئمة (عليه السلام) يزدادون لنفد ما عندهم/ ح ٤.

فهم (عليهم السلام) قناه واحده ويكون الإمام الأخير فيها له الإمامه الفعلية فقد روى عن الصادق (عليه السلام) قال: «حب ولايتي لجدّي على بن أبي طالب أحب إليّ من نسبي إليه» (١) ونظيره روى عن الكاظم (عليه السلام), يعني أنه (عليه السلام) يتولى الطاعة لأمير المؤمنين والولاية له مع أن كلاً منهما حجه وإمام معصوم.

وبالتالى فإنّ هرم القيادة والإمامه والولاية تبقى محفوظه فى هذه السلسله فإنّ إمامه وقياده وولايه وحجيه الأئمه السابقين مفعله دائماً كما أن حجيه الله تعالى مفعله حتّى مع وجود الأنبياء والأوصياء فكذلك الأئمه السابقون, وهذه قاعده فى الحجج, فإنّ الحجه الأعلى تبقى مفعله دائماً حتّى مع فعلية الحجه الأقل والأدون.

من هنا يندفع توهم البعض بأنه كيف يتفق فى دوله الرجعه رجوع أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) مع أن الإمامه الفعلية للمهدى (عليه السلام), إذ من المعلوم أن أمير المؤمنين والحسين أفضل من المهدى (عليه السلام), فكيف نتصور وجود الأفضل مع أن الإمامه الفعلية للأقل فضلاً؟

فإنّ هذا مندفع إذا التفتنا إلى أن كون الإمامه الفعلية هى للإمام المهدى لا يعنى عدم إشراف أمير المؤمنين والحسين (عليهم السلام) على إمامه المهدى, وذلك لما قرر فى جملة من الروايات وغيرها من الدلائل القرآنيه أن ولاية الرسول (صلى الله عليه و آله)

ص: ٣٤٨

١ - ١) جاء فى مشكاه الأنوار لعلى الطبرسى: ٥٧٥/ الفصل الرابع نواذر الحب والبغض والتوفيق, قال الصادق (عليه السلام): «ولايتى لأبائى أحب إليّ من نسبي وولايتى لهم تنفعنى من غير نسب ونسبى لا- ينفعنى من غير ولايه», وفى بحار الأنوار ٢٩٩/ ٣٩: فيما رواه ابن أبى الحديد فى شرحه/ ح ١٠٥, الروضه: قال الصادق (عليه السلام): «ولايتى لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) أحب إليّ من ولادتى منه لأن ولايتى لعلى بن أبى طالب فرض وولادتى منه فضل».

وولايه أمير المؤمنين والحسنين لم تنقطع بانتقالهم إلى البرزخ وعالم الآخرة، فسلسله مراتب الولايه محفوظه وأن طاعه الرسول لزومها فعلى على كل إمام من الأئمه (عليهم السلام) كما ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «كأنى أنظر إلى القائم (عليه السلام) على منبر الكوفه وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثه عشر رجلاً عده أهل بدر، وهم أصحاب الألويه، وهم حكام الله فى أرضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهد معهود من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيجفلون عنه إجمال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلاّ الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى ابن عمران (عليه السلام)، فيجولون فى الأرض ولا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه، والله إنى لأعرف الكلام الذى يقوله لهم فيكفرون به» (1).

وهذا نظير التشكيلات الحكوميه فى هذه الأزمنه فإنّ رئيس الوزراء هو المباشر للقياده الفعلية والإداره، مع أن رئيس الجمهوريه يعد رسمياً له المنصب الأعلى ولا بدّ لرئيس الوزراء أن يطيعه، بل إن قرارات رئيس الوزراء لا تسرى ما لم يقرّها رئيس الجمهوريه.

لذا لا بدّ أن نفهم الإمامه بمعنى الجهاز المنظومى وليس بمعنى الفرد الواحد البشرى، بل هى كتله جهاز واحد متكامل عباره عن سلسله حجج مرتبه الأعلى فالأعلى، وأن الإمام المباشر والفعلى لا يعنى كونه الأفضل، بل يكون للإمام الأعلى حجيه ودور الإشراف فى مرحله فعلية إمامه الأقل حجيه.

* * *

ص: ٣٤٩

بعد أن علمنا أن هناك أنواعاً من الحجج وأنها مرتبه ومنظمه وفق هندسه إلهيه خاصه، وأن من الحجج ما هو محكم ومنها ما هو متشابه، وأن المحكم والمتشابه فى الحجج أمر نسبي وليس ذاتياً لها إذ العمل بالحجه فى مرتبتها محكم والعمل بها فى غير مرتبتها متشابه، وعليه فإنه من ضمن هندسه إحكام منظومه الحجج لا بدّ من ضوابط وقواعد معينه يعرف من خلالها أن العمل بتلك الحجه هل هو فى مرتبتها ليكون العمل بها عملاً بالمحكم، أم صوعد بها لغير مرتبتها فيكون العمل بها عملاً بالمتشابه؟

وهذه القواعد هى نفس تحديد مرتبه كل مرتبه من تلك الحجج بحيث إن نفس تلك الحجه من جهه العمل بها فى مرتبتها يكون عملاً بالمحكم، ومن جهه هيمنتها على الحجه الأدون منها تكون قاعده رقابيه تبيّن لنا نوع العمل بغيرها من كونه عملاً بالمتشابه.

ولذا يمكن أن تكون عندنا القواعد الرقابيه التاليه:

بديهيات العقل أولى القواعد:

أولى القواعد الرقابيه هى بديهيات العقل، فلا- يمكن لله تعالى أن يطالبنا بخلاف تلك البديهيات، فإنه تعالى حيث يخاطبنا ويطالبنا بالتوحيد إلا أن ذلك ليس خلافاً لبديهيات العقل، فإنه تعالى يقول: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (١) فَإِنَّ اللَّهَ

ص: ٣٧٣

تعالى يرشد العقل السليم إلى بديهه من بديهياته وأنه لا- بدّ لهذا الكون والعالم من إله واحد وإلا لوقع الاضطراب والتنافر وبالتالي يقع الفساد، فإنه تعالى بهذه الآيه لا يستدل على وحدانيته لأن الوحدانيه من البديهيات وقد ثبت فى محله أن البديهى ينه عليه ولا يستدل له.

وهو بديهيه عقليه كما أنه تعالى لا يأمر بالظلم ولا ينهى عن العدل والاحسان التى هى بديهيات العقل فقول الله تعالى: وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١)، وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (٢)، وَ مَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (٣)، فَلَمْ يَنْفَى اللَّهُ (عز وجل) عن نفسه الظلم ولم يدافع عن نفسه؟ فهل يقع الريب أو الشكّ فى الله تعالى أو فى أماتته أو لكى يبين لنا أن بديهيات العقل لا يخالفها من قبح الظلم ونحوها؟

إنما ذلك منه تعالى لكى يبين لنا أن قبح الظلم وحسن العدل قواعد رقايبه معرفيه لمعرفه إلهيته تعالى فيقول: لا تقصوا ولا تغلقوا ولا- تلغوا عقولكم فإنّ بديهيات العقل صرح مشيد لا- يمكن تجاوزها، وأن أوامر الإله لا يمكن بحالٍ أن تتجاوز ذلك الصرح، فإنّ مساحه شأن صلاحيات الله وحجيته لا تناقض ولا تتعدى بديهيات العقل فى إدراك الكمال لذا قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٤)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِهِ وَيُحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥).

ص: ٣٧٤

١-١ (١) الحج: ١٠.

٢-٢ (٢) فصلت: ٤٦.

٣-٣ (٣) ق: ٢٩.

٤-٤ (٤) الأنعام: ١٤٩.

٥-٥ (٥) الأنفال: ٤٢.

من هنا يتضح أن من يدعى الإلوهيه والربوبيه لا بد أن لا يتجاوز بديهيات العقل السليم وإلا لو تجاوز أى بديهيه منها فذلك كاشف عن بطلان دعواه, بل إنه بمجرد ثبوت إلهيه الله تعالى ببديهيه العقل لا بد أن يكون الإله واحداً, فتضاف حينئذٍ بديهيه لبديهيات العقل وهى بطلان دعوه أى مدعى للإلوهيه.

ضروريات دين الله ثانى القواعد:

وثانى القواعد الرقابيه يُبينها لنا القرآن الكريم من أن الرسول (صلى الله عليه و آله) وكل الرسل وكل الأنبياء حجيتهم وإن كانت مطلقه بالنسبه إلى من دونهم إلا أنها بالنسبه إلى حُجيه الله هى محدوده لأن حجيه البارى تعالى فوق حجيه الأنبياء بل إن حجيه الأنبياء متفرعه على حجيه الله, فحجيه الأنبياء لا بد أن تقع تحت ظل وهيمنه حجيه الله تعالى, قال الله تعالى: ما كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ التَّوْبَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ (١) فمضمون الآيه وعده آيات أخرى تبين حدود طاعه أى رسول من الرسل ونبي من الأنبياء بأنها محدوده باطار وقانون ونظام التوحيد, قال صادق آل محمّد (عليه السلام): «لم يبعث نبي إلاّ بتحريم أصول المحرمات» (٢) فالمحرمات والفواحش لا- يمكن لنبي أن لا- يحرمها كما لا يمكنه أن لا يوجب الواجبات كالصلاه والصوم فهذه أصول لا- يمكن لنبي أن يتجاوزها ولا- يمكن له أن يرفعها لأنها من فرائض الله وأن دين الله واحد, فلو افترضنا جدلاً _ وإن كان محالاً

ص: ٣٧٥

١- ١) آل عمران: ٧٩.

٢- ٢) أبواب الأطمعه المحرمه / باب ١.

وحاشى لساحه الأنبياء والرسول ذلك _ أن نبياً من الأنبياء أو رسولاً من الرسل دعا الناس إلى ما يخالف وحدانيه الله تعالى أو لمخالفه ضروره من ضروريات دين الله تعالى لسقطت حججه والذى يكشف عن عدم نبوته أساساً أى يكون مدعياً للنبوه كذباً وليس هو بنبي حقيقته، فإن توحيد الله قاعده رقايبه معرفيه على حججه الرسل كما أنه لو فرضنا أن نبياً أباح محرماً إلهياً أو لم يوجب واجباً من ما قد فرضه الله تعالى فى أصول الديانه فهو أيضاً كاشف عن سقوط حججه وبالتالى عن عدم نبوته أساساً أيضاً لأن ذلك ليس من صلاحيات الأنبياء والرسول.

فالقرآن الكريم وبديهيات العقل تضع لنا نصاباً وضابطه لحججه الرسل والأنبياء وذلك أن مشروعيه الرسل ورساله الرسل وشرائع الرسل يجب أن لا- تخرج عن التوحيد والتنزيه والتعظيم لله تعالى، وأن منتهى العلو والعلياء إنما هو للبارى تعالى لا غيره وأن المبدأ والمعاد إليه جلّ وعلا، فضروريات الدين قاعده رقايبه على الرسل وعلى حججه الرسل لو تخطوها _ وحاشاهم ذلك _ لانكشف أنهم ليسوا برسول ولسلبت صلاحياتهم من النبوه والرساله وبهذه القاعده الرقايبه نميز ونفرق ونستكشف صدق الرسول المحق من زيف المدعى للرساله كمسيلمه الكذاب، فمن خلال تجاوزه لحدود توحيد الله أو لضرورات دين الله اتضح بطلان ما يدعيه لنفسه من النبوه.

فالرسل وإن كانوا معصومين ومنزهين يصطفاهم الله تعالى فى غابر علمه إلا أن الله تعالى يقول: لا تلغوا ولا تقصوا عقولكم، بل إن الرقابه والفحص مستمر ولا بدّ منها، لأن دين الله هو دين النور والهدايه ودين المناهج والشرائع المنضبطه ودين البصائر لا دين العمايه، فحججه الرسل تتلو حججه الله (عزوجل) فهى محدوده بحججه الله.

وحجبه الرسل بدورها ضابطه وقاعده رقايبه لمعرفه الناس لإمامه الأئمه (عليهم السلام) أى أن حجبه الأئمه لا تخرج من هيمنه حجبه سيد الرسل, فهم (عليهم السلام) لا يتجاوزون ضروريات سنن الرسول (صلى الله عليه وآله), لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين (عليه السلام): «إني قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل أنت يا على على تأويله» (١) فإن الأمير (عليه السلام) لم يكن ليتجاوز شريعته سيد الرسل بل مطبق لها وسائر على نهجها فهو حارب على تأويلها أى على تطبيق ما جاء به سيد الرسل.

لذا نقرأ فى زياره أمين الله: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه...» (٢) فهو (عليه السلام) تابع لضرورات فرائض الله وعامل بكتابه تعالى ومطبق لسنن سيد الرسل (صلى الله عليه وآله), فمن العلامات الكبرى لحقانيه سيد الأوصياء أنه عمل بسننه النبى (صلى الله عليه وآله) وليس مبدلاً لها.

وهكذا كثير من الزيارات لأمر المؤمنين (عليه السلام) فيها نعوت كثيره

ص: ٣٧٧

١-١) بحار الأنوار/ المجلسى ٣٧٥: ٣١/ باب ٢٦ الشورى والاحتجاج.

٢-٢) ذكر الشيخ عباس القمى فى كتابه مفاتيح الجنان هذه العبارة ضمن مجموعته زيارات أمير المؤمنين (عليه السلام) المطلقة وعنوانها بعنوان الزيارة الثانية هى الزيارة المعروفه بأمر الله وهى فى غاية الاعتبار ومرويه فى جميع كتب الزيارات والمصايح وقال العلامة المجلسى أنها أحسن الزيارات متناً وسنداً وينبغى المواظبه عليها فى جميع الروضات المقدسه وهى كما روى باسناد معتبر عن جابر, عن الباقر (عليه السلام) أنه زار الإمام زين العابدين (عليه السلام) أمير المؤمنين (عليه السلام) فوقف عند القبر وبكى وقال: «السلام عليك يا أمين الله فى أرضه وحجته على عباده, السلام عليك يا أمير المؤمنين, أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه واتبعت سنن نبيه...» إلى آخر الزيارة وهى مرويه فى الصفحه ٣٥٠ من كتاب مفاتيح الجنان الطبعه الأولى.

ومتميزه لسيد الأوصياء (عليه السلام) بأنه منفذ متقيد تابع لضرورات الدين ولسُنَّه النبي (صلى الله عليه وآله).

فبديهيات العقل وضرورات الدين وسُنَّه سيد المرسلين قواعد رقابيه تكشف للأمة الإسلاميه من هو على (عليه السلام) ومن هو غيره, من هو إمام الهدى ومن هو إمام الضلاله, من سار على دين الله وسُنَّه نبيه ومن خالف وأحدث وبدل في السُنَّه الشريفه لسيد الرسل (صلى الله عليه وآله).

وكذا الزهراء (عليه السلام) وما أدراك ما الزهراء الصديقه الطاهره بضعه الرسول سيده نساء أهل الجَنَّة وهي تسود كل النساء الصالحات المؤمنات نزلت بحقها العديد من الآيات, التطهير, المباهله, وسوره الإنسان وما اسند إليها من صلاحيات الفىء وهي أقرب قربي النبي, والنصوص مفعمه فى حقها (عليه السلام) ومع كل ذلك فإنَّها فى خطبتها ومحاجتها مع السلطه لم تطلب شيئاً من ذلك, وإنما قالت: «أفخصكم الله بآيه أخرج أبى (صلى الله عليه وآله) منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبى من أهل مله واحده» (١) ومفاد ذلك منها (عليه السلام) أنها تقول للعقول: إن دين الإسلام ليس دين عماء وعمايه بل دين بصيره, فابصروا بعقولكم هل خرجت عن مله أبى كى لا أرثه, أى أنى لا زلت تحت القواعد

ص: ٣٧٨

١- ١) فى شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى ٣٧: ٣ ذكر تحت عنوان خطبه الزهراء جاء فيها هذا المقطع: «وزعمتم أن لا حظ لى ولا أرث من أبى أفخصكم الله بآيه أخرج أبى منها أم تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبى من أهل مله واحده أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به؟ فدونها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعود يوم القيامة وعند الساعه يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم».

الرقابيه الواجب على عدم تجاوزها فإنّي لم أتجاوزها فلم أخالف ضروريات الدين ولا سنّه سيد المرسلين.

إذا حجّيه الزهراء (عليه السلام) مع عصمتها وما لها من المقامات الأخرويه والتكوينية وعلو شأنها مع كل ذلك هي في ظل ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سنّته أبيها سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ومنهاج أمير المؤمنين (عليه السلام)، فحجّيه الله وحجّيه الرسول (صلى الله عليه وآله) وحجّيه سيد الأوصياء (عليه السلام) فوق حجّيه الزهراء أي أن حجّيه الزهراء منضبطه ضمن إطار حجّيه الله وحجّيه الرسول، فلحجّيه الله والرسول الهيمنه على حجّيه الزهراء والأئمّه الأطهار (عليهم السلام).

فمن هذا القبيل كلام سيد الشهداء (عليه السلام) يوم عاشوراء: «يا ويلكم أتقاتلونى على سنّته بدلثها أم على شريعته غيرتها...» (1) فإنّ معنى ومؤدى هذه العبارة من الإمام الحسين (عليه السلام) أن إمامته وحجّيته دون حجّيه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأن هناك قاعده رقابيه تحدده إذا تجاوزها، فللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاّله، وأما مع عدم تجاوزه دائرته وحجّيته وأنه ما زال ضمن مرتبته فلا يحق للغير من العامه والناس مُسائلته ومقاتلته، بل اللازم اتّباعه وطاعته، وتلك القاعده الرقابيه هي دين الله وشريعته سيد الرسل، فضرورات وفرائض دين الله وضرورات وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) قواعد رقابيه معرفيه للناس على استقامه أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر عظيم فالإمام الحسين لا يطالب الناس بالالتفات إلى عصمته وأنه ريحانه الرسول وأن الكثير من الآيات نازله بحقه وأنه سيد شباب أهل

ص: ٣٧٩

١-١) ينابيع الموده لذوى القربى للقندوزى ٨٠: ٣/ الباب ٦١ مقتل الحسين (عليه السلام).

الجَنَّةِ... فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مَفْرُوعٌ عَنْهُ وَلَا شَكَّ فِيهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَطَالِبْ بِالِاتِّفَاتِ إِلَى مَا نُصِّ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ، بَلْ طَالِبٌ بِالِاتِّفَاتِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَخَالَفِ الْقَوَاعِدَ الرَّقَابِيَّةَ الْمَعْرِفِيَّةَ وَهِيَ دِينُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ فَيَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَخْرَجْ عَنْ ضَرُورَاتِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَلَا ضَرُورَاتِ سُنَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي صِلَاحِيَّةٌ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَوْ خَرَجْتَ عَنْ ذَلِكَ لَأَسْتَحَلَلْتُمْ تَكْفِيرِي وَقَتْلِي وَسَفْكَ دَمِي.

فلننظر إلى الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت كم هو رائع، فإنه دين الثبوت والعقل والبصيرة لا دين العماءة، لو افترى على الله والعياذ بالله لأخذنا منه باليمين أو لقطعنا منه الوتين قال تعالى: لَأَخْذُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١).

لذا فإن حججه الأئمة (عليهم السلام) في ظل هيمنة حججه الله ورسوله وتابعه لها، كما يقول الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): «إن الله حرم حراماً وأحل حلالاً وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرم الله أو في تحريم ما أحل الله أو دفع فريضه في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ (٢) فكان (عليه السلام) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما ليس في الكتاب وهو في السنة ثم يرد خلافه، فقال: «كذلك قد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أشياء نهى حرام فوافق في ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك

ص: ٣٨٠

١-١ (١) الحاقه: ٤٥ و ٤٦.

٢-٢ (٢) الأنعام: ٥٠.

الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق في ذلك أمره أمر الله، فما جاء في النهي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا- نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا لعله خوف ضروره، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو نحرم ما استحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا يكون ذلك أبداً، لأننا، تابعون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) مسلمون له كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عز وجل): وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا (١) وإن الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافه وكراهه، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين، ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى إعافه أو أمر فضل فذلك الذى يسع استعمال الرخصه فيه، إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق يرويه من يرويه فى النهى ولا- ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقله فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والرد إليه وإلينا، وكان تارك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان فى كتاب الله موجوداً حلالاً- أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن فى الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فما كان فى السنيته موجوداً منهيّاً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمره، وما كان فى السنيته نهى إعافه أو كراهه ثم كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصه فيما عافه رسول الله

ص: ٣٨١

(صلى الله عليه وآله) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذى يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والإتباع والردّ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما لم تجدوه فى شىء من هذا الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا» (١).

فكما أن الدين قاعده رقايبه على حجيه الرسل، كذلك شريعه الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) وسننه سيد الرسل (صلى الله عليه وآله) قاعده رقايبه على حجيه الأئمة (عليهم السلام)، فليس من صلاحيات الأئمة تبديل ضرورات سنن سيد الرسل، لذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس حلالى حلال إلى يوم القيامة وحرامى حرام إلى يوم القيامة» (٢)، فالأئمة لما لم يكونوا أنبياء فهم لم يأتوا بشريعه غير شريعه سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، وهذه قاعده رقايبه أعطاها الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) للأئمة الإسلاميه لتميز الإمام المحق من الإمام الباطل المبطل.

وهذا معنى تراتبيه الحجج، أى أن بعض الحجج أكبر من البعض الآخر.

مواقف الزهراء (عليه السلام) رابع القواعد الرقابيه:

يقول النبى (صلى الله عليه وآله): «يا على أنا كالشمس، وأنت كالقمر، والزهراء كالزهرة، والحسنان كالفرقدين» (٣)، فهذا التشبيه والفوارق منه صلوات الله عليه يذكرها لبيان تراتبيه الحجج وأن بعض الحجج فوق بعض، فإن حجيه الرسول (صلى الله عليه وآله) فوق حجيه سيد الأوصياء، وحجيه سيد الأوصياء

ص: ٣٨٢

١-١) وسائل الشيعة / (الإسلاميه) ٨١: ١٨ و ٨٢/ ب ٩/ ح ٢١.

٢-٢) وسائل الشيعة للحر العاملى ١٦٩: ٢٧/ باب وجوب التوقف والاحتياط فى القضاء والفتوى.

٣-٣) فقد ورد قريب من هذا المضمون هذا النص: قال: «أنا كالشمس وعلى كالقمر وأهل بيتى كالنجوم» ورد ذلك فى عوالى اللآلى لابن أبى جمهور الاحسائى ٨٦: ٤.

فوق حجيه الزهراء, وحجيه الزهراء فوق حجيه الحسين (عليهم السلام), فلا- يمكن لسيد الأوصياء (عليه السلام) أن يتخطى مواقف الرسول (صلى الله عليه وآله), ولا- يمكن للزهراء (عليه السلام) أن تتخطى مواقف سيد الأوصياء (عليه السلام), ولا يمكن للحسين (عليه السلام) أن يتخطى مواقف الزهراء (عليه السلام) في الأحداث التي جرت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله), كما لا يمكن لإمام من أئمة أهل البيت الأحد عشر أن يتخطوا الزهراء (عليه السلام), لأن حجيتها فوق حجيتهم, كما ينسب إليه (عليه السلام): «... وجدّتنا الزهراء حجه علينا...» (١) وهو مضمون أن نورهم اشتق من نورها كما في روايات النور المستفيضة, ومضمون أن من مصادر علمهم (عليهم السلام) مصحف فاطمه (عليه السلام).

كما أن حجيه الحسين فوق حجيه الأئمة التسعة, فلا- يمكن أن نتصور وتتعقل ما قد يذكر من الفهم المعوج من أن الإمام المهدي يدعو لمعاداة آباءه من الأئمة وأنه يهدم قبورهم ومراقدهم وعدم تعظيمهم... (٢).

فإن ذلك خلاف صلاحياته ورتبه حجيته (عليه السلام) فلا يمكنه نبد أتباع روايات آباءه وسننهم وضرورات الدين وشيئته سيد المرسلين فله دائره حجيه لا يتعدها ولا يتجاوزها, ويؤكد ذلك ما يذكره الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة والشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين وما في كتاب الغيبة للنعمانى وغيرها من كتب الأصحاب أنه (عليه السلام) حينما وجهت إليه أسئلته على يد النواب الأربعة (رض) فإنه أكثر من تسعين بالمائه من الأجوبه

ص: ٣٨٣

١- ١) جاء في كتاب الأسرار الفاطمية للشيخ محمّد فاضل المسعودي: ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام): «نحن حجج الله على الخلائق وأمنا فاطمه حجه الله علينا».

٢- ٢) تقدم في (ص ٣٥٨) بيان وتوضيح الفهم المعوج لروايه الدين الجديد.

وتوقيعاته الشريفه كانت إرجاعات لضرورات سنن آباءه السابقين (عليهم السلام) من رواياتهم وتراثهم الشريف لأن ذلك التراث من آباءه يمثل ضرورات سنن الرسول والأئمة الصالحين الطاهرين, فهو (عليه السلام) بذلك يؤكد ويُشدد يد الناس عليها لأنها قاعده رقايبه معرفيه لاستقامه الإمام الثاني عشر (عليه السلام), لأن اعتقادنا بالإمام الثاني عشر فرع وتابع لاعتقادنا برسول الله ولاعتقادنا بالإمام علي بن أبي طالب ولأننا اعتقدنا بالزهراء ومظلوميتها (عليه السلام) ولأننا اعتقدنا بالحسين (عليه السلام), فكيف يتصور أن الإمام الثاني عشر (عليه السلام) يتخطى إمامه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم قاعده رقايبه علي معرفه حجيته.

وحتى لو فرضنا في عصر الظهور وبويع الإمام (عليه السلام) عند ركن الكعبه وحشدت أنصاره وهزم جيش السفيناني وأقام الإمام الدوله المباركه علي أرض العراق و... فهل يمكن الاستغناء عن تراث أهل البيت (عليهم السلام)؟

كلا وحاشي، لأن تراث أهل البيت (عليهم السلام) فيه ضرورات سُئِنه النبي (صلى الله عليه و آله) وضرورات سنن المعصومين, والإمام المهدي (عليه السلام) وإن كان في الحقيقه ينبوع كل شيء ولكن لا يمكن أن يستغنى عن ضرورات الدين وسنن النبي والأئمه, وهو لا يتخطى ذلك لأن ضرورات الدين وسنن النبي والأئمه من آباءه الطاهرين قواعد رقايبه علي حجيته.

فلو ادعى مدعى أنه الإمام المهدي، ثم تجاوز ذلك التراث لكشف ذلك عن زيف دعواه, فلا يتوهم متوهم أنه (عليه السلام) لأجل أن عنده علم كل شيء وبالتالي يتخطى ويقفز علي شريعته جده حاشاه ذلك، بل هو يحيى شريعته جده في دائره المتشابهات وما هو منسى من سننه النبي,

لذلك فإنَّ أحد المهام العظيمة للحوزات العلميه هو إبقاء دور الفقهاء كجهاز وأيدى وسواعد وأعوان للإمام المعصوم فى دوله الظهور ودوله الرجعه وإن كان للإمام فى دولته نواب خاصون.

ولا يتوهم أن الإمام (عليه السلام) بعد ظهوره حيث تتكامل العلوم والعقول فلا تبقى حاجه لتراث أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الاعتقاد بالإمام والإمامه وحجتيه لا تعنى الغلو بأن يعتقد بأن صلاحيه الإمام هي صلاحيات النبوه، لأن المجيء بشريعه جديده ناسخه لشريعته سيد المرسلين باطل بالضروره.

كما لا يعتقد فى الإمام الألوهيه بأن ينسخ ضروريات وفرائض الله تعالى وضرورات الدين الإلهي، فلا نسخ فى ضروريات الدين ولا- ضروريات سنن النبي (صلى الله عليه و آله) فضلاً عن بديهيات العقل، فلا- محاله تكون هذه الضروريات بمنزله قاعده يستكشف بها صدق الإمام وأنه إمام الحق الموعود.

فكيف يفرض ويتوهم رفعه لمثل تلك الضروريات وقد وصف (عليه السلام) فى كثير من الروايات أنه يحيى كتاب الله وسُنَّته النبي ومنهاج آبائه الأطهار لا أنه يُميتها، فمع هذه الأوصاف كيف يُتخيل أو يُتَعقل أنه يقصى ويشطب على تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى هو متضمن لضروريات الدين وسنن النبي وسنن الأوصياء ومناهجهم، وما أشبه هذا التوهم بتوهم من يتوهم أن القرآن يُقصى ويبعد ويستغنى عنه عند ظهور الإمام، فإنَّ المتوهم يُعلل ذلك بأنه مع وجود القرآن الناطق وهو الإمام فلا حاجه للقرآن الصامت، وكأن هذا المتوهم يحسب أن ارتباط كل الناس بالقرآن الناطق خط مفتوح على مصراعيه فى كل الأوقات والأحوال، ولو صح هذا التوهم لصرنا كلنا أنبياء! بوجود هذا الارتباط.

وكذلك الفقهاء والنواب سواء بالنيابة الخاصه أم العامه ليس من صلاحياتهم التعدى على سنن ومناهج الأئمه (عليهم السلام)، فإن حجيه الفقهاء متفرعه عن حجيه الأئمه، ولو جاز تعديهم لزيد الفرع على الأصل، إذا حجيه الأئمه ودائرته سنن وضرورات الأئمه (عليهم السلام) قاعده رقايبه معرفيه على حجيه الفقهاء.

لذلك لم تفتأ شيعه أهل البيت (عليهم السلام) من إعمال القواعد الرقابيه حتى على النواب الأربعة فى الغيبه الصغرى رغم ما نص عليهم من قبل الأئمه الأطهار (عليهم السلام) فإن القواعد الرقابيه والفحص والتثبت وإعمال العقل لم تلغ حتى فى معرفه الله تعالى وحتى فى معرفه الرسل والأوصياء فكيف تلغى بحق النواب والسفراء والفقهاء، وهذا لا ينافى احترامهم وتبجيلهم، إذ هذه القواعد ضوابط معرفيه فى معرفه الرسل والأوصياء فكيف بمن دونهم، وإنما ذلك لأن حجيتهم محدوده وواقعه تحت حجيه الأئمه (عليهم السلام) فإن خروجهم منها يكشف عن إلغاء حجيتهم.

وهذا من روائع الإسلام أنه لا يقصى المعرفه والعقل، فالقرآن الكريم يعرفنا بأن معرفه الله تعالى لو تخطت العدل والاحسان والعياذ بالله لكانت معرفتنا بالله باطله، وهكذا فى معرفتنا وتصديقنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه لا يخرج عن التوحيد، وإلا لو خرج بطلت حجيتيه ولا نكشف أنه مسيلمه الكذاب وأنه ليس رسولاً لله حاشاه من ذلك، ونحن إنما نذكر ذلك للتوضيح وإلا فالنبي (صلى الله عليه وآله) حجيتيه ثابتة ويقينيه ومعاذ الله أن نشكك فى ذلك.

وهكذا الإمامه لو خرج مدع لها وبدل سئنه النبي (صلى الله عليه وآله) لا نكشف أنه ليس بالإمام المحق، لذا لم يفتأ علماء الإماميه ومدرسه أهل البيت

(عليهم السلام) من تسجيل المؤآخذات على من بدّل سنّه النبي (صلى الله عليه و آله)، لأن ذلك ليس بالأمر المنفلت وغير تابع لضوابط وقواعد وإنما أمر عظيم ومنضبط، قال تعالى: وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١).

فإنّ تبديل سنّه النبي يعنى عدم التبعية للنبي (صلى الله عليه و آله) وخروج عن الحق وعن الصراط المستقيم، فليس الأمر خيارياً يعمل أو لا يعمل ويتبع أو لا يتبع، وإنما هو أمر محتوم قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٢) فهذا أمر موجه لكل بأن يطيعوا الله بما فيهم الرسول فى الدرجه الأولى والإمام فضلاً عن عامه الناس وقوله: أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه لكل بما فيهم الإمام فى الدرجه الأولى فضلاً عن عامه الناس، فأول من أطاع الرسول هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، كما أن أول من أطاع الله هو الرسول (صلى الله عليه و آله) وهو السابق على جميع الأنبياء والمرسلين والمخلوقين فى طاعه رب العالمين.

وعلى بن أبى طالب هو السابق لطاعه الرسول (صلى الله عليه و آله) فإنّ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه لكل بما فيهم أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)، بل ولعامه الأنبياء والمرسلين فى الدرجه الأولى، ثم لسائر الخلق من الجن والإنس.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣) فقوله: وَأَطِيعُوا أُولَى الْأَمْرِ أمر موجه لعامه الفقهاء والنواب الخاصين بل حتّى للنبي عيسى (عليه السلام)، أولاً يكون

ص: ٣٨٧

١-١ (١) النور: ١٥.

٢-٢ (٢) النور: ٥٤.

٣-٣ (٣) النساء: ٥٩.

عيسى وزيراً للمهدى (عليه السلام) ويصلى خلفه (١)؟ فإن هذه الآية عامه، والنبى عيسى (عليه السلام) حى وكذا الخضر حى، فهما مشمولان بوجوب طاعه أولى الأمر من أهل البيت (عليهم السلام).

منهاج الأئمة خامس القواعد الرقابيه:

فإن حجيه الأئمة (عليهم السلام) مهيمنه على حجيه الفقهاء، لذلك نجد فى أول الرسائل العمليه للفقهاء يقولون: إن صلاحيتنا فى الفتوى محدوده أى فى غير الضروريات وفى غير العقيدة، فإن العقيدة من الدين الذى لا يعبر باختلاف الآراء فهى ليست ضمن دائره حجيه الفقهاء.

لذلك نجد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد وتحت عامه الناس على متابعه ومراقبه النواب والفقهاء.

فإن ما تقدم ذكره من جمع الروايات فى كتاب من قبل النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) وعرضها على فقهاء قم تؤكد ذلك، فإن النائب وإن كان يحظى بمتزله خاصه وتبجيل الإمام الثانى عشر (عليه السلام) ولكنه من جهه روايته لروايات الأئمة السابقين (عليهم السلام) فهو

ص: ٣٨٨

١ - ١) ذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه: ١٩١/ باب الأخبار الداله على أن المهدي من ولد الحسين (عليه السلام) / ح ١٥٤ قال: وبهذا الإسناد عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد الأهوازي، عن الحسين بن علوان، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى فى حديث له طويل اختصرناه قال: قال رسول الله لفاطمه: «يا بنيه إنا أعطينا أهل البيت سبعا لم يعطها أحد قبلنا نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزه، ومنا من له جناحان خضيبان يطير بهما فى الجنه وهو ابن عمك جعفر، ومنا سبطا هذه الأئمة وهما ابناك الحسن والحسين، ومنا والله الذى لا إله إلا هو مهدي هذه الأئمة الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم».

خاضع للقواعد الرقابيه المعرفيه وهى عدم تجاوزه لضرورات سُنَّه الأئمه المعصومين السابقين، فحتى لو كان نائباً خاصاً يبقى تحت المراقبه والمتابعه ليعلم كونه ضمن دائره حجته ولم يتعداها وإلا سقطت حجته، وانكشفت عدم نيابته وسفارته أساساً.

فإن حجيه الأئمه قاعده رقابيه معرفيه على حجيه السفراء والفقهاء، وإن حجيتهم تحت ظل وهيمنه حجيه الأئمه (عليهم السلام)، بل إن حجيتهم قطره أو نقطه فى محيطات وسماء المعصومين (عليهم السلام).

لذلك فإن الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) كان يجعل مراقبين على كل وائ من الولاة الذين يولّيهم فى دولته، فأى وائ منهم يتجاوز أو يتخطى الاستقامه وطريق العدل ويرتكب جوراً والعياذ بالله فإنه (عليه السلام) يعزله مباشرة، لأن صلاحيات الوالى عن على بن أبى طالب (عليه السلام) لا تتجاوز حدود حجيه على بن أبى طالب (عليه السلام) ولا تتجاوز حجيه الرسول (صلى الله عليه وآله).

فهكذا هى منظومه الدين، وهكذا يجب أن نعيها ونعرفها ونبصرها كى لا- تشتبه وتلتبس علينا الفتن واللوابس، فإنها منظومه محكمه فى دين الله تعالى ودين رسوله (صلى الله عليه وآله) وفى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إحكاماً تاماً، لذا لم يُلغ دور الفقهاء فى الغيبه الصغرى ولن يُلغ فى دوله الظهور، لأن دوله الظهور هى دوله الإسلام الصحيح والتطبيق الواقعى لدين الله، فهى دوله العلم والعلماء لا- دوله الجهل والجهلاء، ودوله الفضل والفضيله لا- دوله الرذيله والرذائل، ودوله المكارم لا- دوله السفاسف.

فباعتبار أن أصعب الامتحانات والفتن _ كما مرَّ _ هى فى قوه العقل والفكر والبصيره فى الإنسان فلا- بدّ أن تلاحظ منظومه الحجج والأدله ومراتب الحجج وإلا كان الأمر صعباً مستصعباً.

فإن الله تعالى في قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١) يخبرنا بأنه لا- بد أن تكون لنا منهجية في التفكير وفي المعرفة والبصيره والأ- نتبع العشوائيه والفوضويه.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (٢) ليس خاصاً بالتوراه، بل هو من الدين الذي يعم كل بعثات الأنبياء ليحكموا بها حكم قضاء وسلطه تنفيذ وحكومته سياسيه وقضائيه وتشريعيه وفتوائيه، فقوله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ أَى الْأَنْبِيَاءِ، وَالرَّبَّائِيُّونَ أَى الْأَوْصِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ (عليهم السلام)، وَالْأَحْبَارُ أَى الْعُلَمَاءِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ رتبه الفقهاء تأتي بعد رتبه الأنبياء والأوصياء، وإن كان الفقهاء قطره من سماء الأنبياء ولا يقاسون بأحد من الأئمة ولكن هذا لبيان عدم إلغاء دور الفقهاء وأن لهم مرتبه حجيه على الناس وهذه المرتبه تحت ظل وهيمنه الأوصياء، وقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا أمر للأنبياء بحفظ كتاب الله، والحفظ يكون بالعمل به وتعليمه وإقامته في البشريه، وبالتالي فهو أمرٌ للأوصياء بذلك أيضاً أى بأن يحفظوا كتاب الله، وهكذا الأحبار العلماء، وهذه الآيه فريضه في كل الشرائع لأنها من فرائض دين الله (عزوجل) .

ص: ٣٩٠

١- ١) آل عمران: ٧.

٢- ٢) المائدة: ٤٤.

وإلا فإن أتباع المتشابه ونبذ المحكم وعدم الوعي في معرفه والبصيره مرض عقلى والعياذ بالله ناشئ من الانحراف فى السلوك والتطبيق، أى من ارتكاب المحرمات والفواحش، والتساهل فى واجبات دين الله.

الواقع والاستكشاف فى الحجج:

عندما نرتب وننظم هذه المراتب من الحجج ثبوتاً، أى ندرکہا ثبوتاً فإن لها ترتيباً ونظماً إثباتياً كذلك، والتفريق بين المقامين دقيق ويجب أن لا يكون هناك فصل إذ أن التغيرات بينهما تباير حيثى، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحثيتين.

فعندما نضع بديهيات العقل فى رأس الهرم لمراتب الحجج فإننا لا نفرط فيه ونجعله شاملاً حتى لنظريات ومتشابهات العقل، وإنما العقل حجه وله هذه المرتبه فى ضمن البديهيات من الأوليات والفطريات ونحوها.

فالبديهيات العقلية جعلت قاعده معرفيه استكشافية حتى فى معرفه التوحيد إنما ذلك إذا كانت فى دائره مسلمه وواضحه وهى البديهيات، وأما فى حدود الادراك العقلى النظرى والذى يكون محل اختلاف الأنظار فلا يمكن أن يكون العقل فى هذه الدائره قاعده محكمه ومحكمه وميزان فصل، لأن هذه الدائره من إدراكات العقل ليست مسلمه وليست واضحه وإنما هى محل اختلاف الأنظار!

وهكذا فرائض دين الله تعالى إنما كانت فى المرتبه الثانيه للحجج ثبوتاً إذا كانت فى دائره الضروريات، فهذه الدائره هى القاعده الاستكشافية والرقابيه لحججه الرسول وتمييز الرسول المحق ممن يدعى الرساله كذباً فذلك إنما يكون

فى حدود ما ثبت بالضرورة أنه من دين وفرائض الله تعالى، فلا يمكن لإله أن يأمر بغير العدل، لكن فى ضمن الدائرة الضرورية من العدل وليس فى الدوائر المتشابهة منه، فإن حجبه البارى تعالى وصلاحياته مهيمنه على حجبه الرسول (صلى الله عليه وآله) فى ظل دائرة ما أدركناه بالضرورة أنه من تشريعات الله، أما فى دائرة النظريات والمتشابهات من فرائض الله فإن حجبه الرسول محكمه، فالرسول هو المبين للتشريعات التى لم ندرکہا بالضرورة.

فإننا نستكشف الرسول المحق من المدعى كذباً من خلال تمرده وعدم تمرده على دائرة توحيد الله ودائرة ضروريات فرائض الله. وهكذا نستكشف إمام الحق ونميزه من إمام الجور من خلال اتباع سُنَّه الرسول (صلى الله عليه وآله) فى دائرة الضروريات، فليس للإمام تجاوز دائرة حجبه الرسل فضلاً عن دائرة حجبه العقل وضروريات فرائض الله تعالى.

فإن الإمام مشمول بقوله تعالى: **وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١)** لذا فالأئمة (عليهم السلام) فى مناهجهم وطرائقهم المعصومه من الزلل والخلل لا يتجاوزون ولا يتمردون على دائرة ضروريات سنن النبى (صلى الله عليه وآله)، هذا ثبوتاً وواقعاً، وأما إثباتاً واستكشافاً فمن خلال استمرار الرقابه والمتابعه للإمام وأنه فى دائرة حجبه ولم يتجاوز ضروريات العقل وضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (صلى الله عليه وآله)، وهذه المتابعه لأجل تصحيح وسداد معرفتنا للإمام المحق وزيادة الإيمان به ولنميزه عن إمام الجور، وبعبارة أدق نراقب معرفتنا للأئمة من أول حياتهم إلى استشهادهم هل كان عملهم ضمن دائرة حجبتهم ولم يتجاوزوا ضرورات العقل والدين وسُنَّه الرسول فهم أئمة حق وإلا فنعلم أننا لم نكن نتبع إمام حق، لذلك

ص: ٣٩٢

كانت من أبرز صفات أمير المؤمنين (عليه السلام) في أكثر الزيارات الواردة: «أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده وعملت بكتابه...» (١)، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك...» (٢). فإنّ علامه إمام العدل وإمام الحق أنه محيى لسنن النبي ومقيم لفرائض الله تعالى ولا يتمرد عليها والعياذ بالله.

أهميه الحورات العلميه الدينيه:

لذلك فإنّ من أحد الانجازات العظيمه للحوزه العلميه أنها تبقى وتحافظ على درجه الادراك الضرورى لضروريات الدين وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) ومنهاج أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، تبقىها على مستوى الضروره، لأنه بالنشر العلمى والتكريس والتركيز العلمى تبقى الأدله بديهيه ومعلومه ويّينه لدى عموم المؤمنين والمسلمين.

وأما لو طرأ النسيان والغفله والابتعاد والهجران للدين والكتاب والسنة حينئذٍ تعود البديهيّات والضروريات نظريات، وهذا أمرٌ خطيرٌ جدّاً، لأن حومه الدين تصبح فريسه وضحيه لكل عابث ومُتلصص، لأن الضروره صفه إدراكيه فى عقول البشر قد تتأثر بعوامل الزمن والهجران والنسيان وغيرها.

من هنا نفهم أن أعداء أهل البيت لماذا سعوا كثيراً لتدمير الحوزات العلميه واستهداف طلبه العلوم الدينيه، فإنّ هؤلاء يقومون بدور مهم ومسؤوليه خطيره وهى حفظ الدين فى بيئته الادراكيه لدى العقول والمحافظة على حياه الدين فهما ضمان لامتداد مسار وخط الأنبياء من خلال إبقاء الحاله العلميه

ص: ٣٩٣

- ١- ١) فى مصباح المتهدجد للشيخ الطوسى: ٧٣٨/ باب زياره أمير المؤمنين يوم الغدير.
- ٢- ٢) جاء فى دعاء الندبه المشهور كما فى صحيفه المهدي (عليه السلام) جمع الشيخ جواد القيومى: ٢٤٢، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك».

والادراكيه وحاله البدايه في البديهيات وحاله الضروره في الضروريات, وهذا سدٌ منيع عن عوامل التآكل وعوامل الهدم والإباده, فإنّ بقاء الدين ليس بوجوده الثبوتى الواقعى فى بطون الأدله, وإنما فى بقاءه الإثباتى الادراكى فى العقول أيضاً وبقاءه معلوماً لدى النسل البشرى إذ العلم يموت بموت أهله, وإن الأعداء يعلمون بخطوره بقاء الدين فى بيئته العلميه فضلاً عن بقاءه الثبوتى, فإنّ ما سنذكره لاحقاً من مفاد بعض التقارير الصادره من بعض الجهات الغربيه حيث صرحت بأنهم فشلوا فى إباده مدرسه أهل البيت وبالخصوص حوزة النجف الأشرف بحسب تصريحهم رغم ما قدموه من إمكانيات هائله للنظام البعثى (1) فى العراق, فإنّ المقصود من الفشل ليس الفشل فى إباده الأبنيه وتهديمها, ولا الفشل فى استئصال وتصفيه الأجسام والدماء, ولا غير ذلك, وإنما هم فشلوا فى إباده هذه الوجوديه العلميه من تراث أهل البيت, فإنّ بقاء الدين فى بيئته العلميه بفضل طلبه العلوم الدينيه فشلاً ذريعاً لهم لعلمهم بأن بقاء الدين بهذا

ص: ٣٩٤

١-١) حزب البعث العربى الاشتراكى: حزب تأسس فى دمشق فى سوريا فى عام (١٩٤٥م) و(١٩٤٧م) من قبل أشخاص متأثرين بثوره رئيس الوزراء العراقى الأسبق رشيد عالى الكيلانى ضد الانكليز والحكومته العراقيه وهذا الحزب هو الحزب الحاكم فى الجمهوريه العربيه السوريه الآن وهو الحزب الحاكم قبل انهيار النظام السابق فى العراق وسقوط أعتى دكتاتور عرفته البشرى بعد النازيه (صدام) وهذا الحزب تبنى المبدأ العلمانى إلا أنه يمزج بينها وبين الدين, وهذا الحزب هو حركه قوميه قادها ميشيل عفلق وصلاح بيطار من باريس إلى دمشق سنه (١٩٣٢م) ويتهم الحزب رغم أنه يرفع شعارات الحريه من القيود الغربيه والأوربيه إلا أنه ذو ولاء مطلق لهذه الدول خصوصاً حزب البعث العراقى الذى يعتبر من أهم الأحزاب ذات الولاء للنظام الغربى والأمريكى. لم يحقق الحزب أيّاً من أهدافه التى نادى بها بل جعل هذه الأهداف وسائل للابتزاز والسيطره, ويعيش الحزب الآن فى الأوساط العربيه والقوميه أزمه ثقه كبيره لأنه أعطى فرصه لم يعطها أى حزب من قبله إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً فى استقطاب الجماهير بل وحتى مؤيديه.

النحو يكون ذا حصون وقلاع تمنعهم من تمرير ثقافتهم الالحاديه والانحرافيه والماديه...

لأن هذه القواعد فى الحجج هى قواعد رقايبه استكشافيه تتقوم بجنبه ثبوتيه وبجنبه إثباتيه، أما الثبوتيه فهى واقع الدين، وأما الإثباتيه فهى كون الدين بحاله ادراكيه واصله إلى درجه الضروره والبدايه.

بين البصيره والتمرد:

من هنا فإنّ من اعترض وتمرد على النبى (صلى الله عليه و آله) فى عهده فذلك لا يمكن تبريره بأنه كان تحكيمياً لفرائض الله على سنن النبى، لأن ذلك الاعتراض والتمرد لم يكن فى دائره الضروريات، بل كان فى دائره المتشابهات والنظريات، وفى هذه الدائره ليس لأحد أن يحكم فهمه القاصر ويجتهد فى قبالة النص، فإنّ فرائض الله التى هى فى درجه النظرية أو الجزم النظرى فضلاً عن مراتب النظريات الأخرى لا يمكن أن تجعل محكمه للاعتراض والتمرد على النبى (صلى الله عليه و آله)، لذلك نحن ننتقد وندين أولئك الذين تمردوا على طاعه النبى (صلى الله عليه و آله) وعصوه وإن كانت ذريعتهم الاجتهاد أو تحكيم فرائض الله، لأن تلك الدائره التى اعترضوا فيها هى دائره المتشابهات والنظريات، والنبى أعلم بذلك فى تلك الدائره، فكما لا افراط فلا تفریط فى معرفه النبى (صلى الله عليه و آله) «المتقدم لكم مارق والمتأخر عنكم زاهق» (١) أى لا غلو ولا تقصير.

ص: ٣٩٥

١- ١) ورد فى كتاب المزار لمحمد بن المشهدى: ٤٠١/ الباب ١٦ تحت عنوان: ما يقال كل يوم منه/ ح ١، عن على بن الحسين (عليه السلام) جاء فيها: «اللهم صل على محمد وآل محمد شجره النبوه وموضع الرساله ومختلف الملائكه ومعدن العلم وأهل بيت الوحي، اللهم صل على محمد وآل محمد الفلك الجارى فى اللجج الغامره يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق...» إلى آخر قوله.

فإننا لا نقول بأن صلاحيات النبي تتجاوز ضروريات فرائض الله، وهذا معنى عدم الغلو إذ الغلو _ وهذا معنى جديد نذكره للغلو _ إعطاء صلاحيات فوق دائره حجيه تلك الحجه، فإنّ القائل بالغلو في النبي يعطى للنبي صلاحيات تغيير فرائض وضرورات دين الله، أما عدم الغلو في النبي وعدم التقصير فيه هو أنه لا يتجاوز ضرورات وفرائض دين الله وأنه تحت هيمنه وطاعه الله تعالى في دائره الضروريات، أما النظرية من فرائض وأحكام دين الله فتعلمها ونستبينها من النبي (صلى الله عليه وآله)، فمعنى عدم التقصير في حجيه النبي أن له الصلاحيه في دائره النظريات والامتشابهات.

وهذا رسم لحجيه النبي ثبوتاً وإثباتاً، فثبوتاً أنها بعد فرائض ودين الله وأنها محدوده ومهيمن عليها من قبل حجيه الله وصلاحياته، وإثباتاً أي أن حجيه النبي (صلى الله عليه وآله) محدوده بغير الضروريات الفطريه والأوليه وبغير الضروريات الدينيه التي اجتمعت عليها كل أديان السماء.

وهذا نظير قول الفقهاء في أول رسائلهم العمليه أنه لا تقليد في ضرورات الدين، لأنه لا حجيه للفقهاء أصلاً في دائره الضروريات.

فإنّ صلاحيات الأنبياء إنما في غير دائره الضروريات من فرائض الله تعالى بأن لا يتجاوزوا ولا يتعدوا على التوحيد والعدل وضرورات الفرائض من الصلاه والصوم... قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (١) وقال تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ

ص: ٣٩٦

رَسُولًا- مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) أى أن صلاحيات الأنبياء لا تمثل ولا تتسع لدائرته ضروريات وفرائض الله تعالى.

وهكذا حججه الأئمة تحدد إثباتاً وثبوتاً بما دون سننه (صلى الله عليه وآله)، فحججه الأئمة (عليهم السلام) تأتي بعد منطقته ودائرته ودرجه فرائض الله وسنن النبي (صلى الله عليه وآله).

وإثباتاً فحججه الأئمة (عليهم السلام) فى غير ضروريات سنن النبي (صلى الله عليه وآله)، أى فى النظريات والمتشابهات من سنن النبي (صلى الله عليه وآله).

لذلك فإن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يشرع شيئاً لم يشرعه الله، وهكذا الأئمة (عليهم السلام) لم يشرعوا شيئاً لم يشرعه الله ولا- رسوله (صلى الله عليه وآله)، بل إن الله تعالى يشرع أسساً، ثم الأنبياء يوالدوا ويشعبوا منها تلك المنظومات، ثم تأتي تشريعات الأئمة (عليهم السلام) امتداداً وتطبيقاً وتنزيلاً وتشعياً لها.

لذا فإن بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) هى قواعد محكمه استكشافيه للتمييز بين الإمام الحق وبين المدعى للإمامه باطلاً.

ولا يتوهم أن فى المقام دوراً، لأن كون بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبي قاعده استكشافيه لتمييز إمام الحق عن مدعى الإمامه فى دائره الضروريات، وأما فى نظريات العقل ونظريات ومتشابهات الكتاب ومتشابهات سنن النبي فإن المحكم فى ذلك هو نفس الإمام، فلإمام حججه وصلاحيه أن يبين مجهولات ومبهمات العقل ومجهولات ومبهمات الكتاب ومتشابهات ومبهمات سنن النبي (صلى الله عليه وآله)، من هنا جاءت

ص: ٣٩٧

الحاجه والضروره الملحه للاهتداء والافتداء بالإمام (عليه السلام)، فإنّ في كل مرتبه حجيه منطقتين منطقه ضروريات ومنطقه نظريات متشابهات، فمنطقه الضروريات تكون قاعده استكشافيه، رقابيه، ومنطقه المتشابهات تكون تلك الحجج الأخرى في المنطقه الضروريه محكمه فيها، بل بضميمه الضرورى من نفس الحجج أيضاً.

إذن من بركات هذه المعادله وهى لا بدّيه المحافظه على منظومه الحجج ووجوب تحكيم الحجج الأعلى على الأدون أنه لا بدّ من إعمال المراقبه فى طول الطريق وليس ابتداءً فقط، فمن يأتي بمعجزه ليثبت الحججه له لا يعنى ثبوتها مطلقاً، بل لا بدّ من كونه فى طول الطريق لا- يتجاوز الحجج الأعلى منه، وهذا هو الحاصل مع الأئمه (عليهم السلام)، فرغم ثبوت إمامتهم إلا أن الفقهاء والشيعة لم يفارقوا المتابعه والمراقبه لهم.

من هنا يتضح عدم التصادم مع روايه الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله): «على مع الحق والحق مع على يدور الحق معه حيثما دار» (١)، فإنّ المقصود بهذه الروايه أنه (عليه السلام) حق بالنسبه لما دونه فى الحجج فى دائره المتشابهات وليس بالنسبه لما فوقه من الحجج، فإنّ علياً (عليه السلام) هو يدور مدار حججه وأحقيه بديهيات العقل وضروريات دين الله وسنن نبيه (صلى الله عليه و آله) فهو تابع لهذه الحجج الأعلى، لا أن بديهيات العقل أو ضروريات الدين والسُننه تدور مدار على، بل لا بدّ لعلى أن يدور مدارها، ويشير إلى ذلك ذيل الحديث النبوى «لا- يفترقان حتى يردا على الحوض» فجعل (صلى الله عليه و آله) نفسه الشريفة مداراً ابتداءً منه الثقلان ومنتهى يصلان إليه.

ص: ٣٩٨

١- ١) فى الأمالى للشيخ الصدوق: ١٥٠: وقوله: «على مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض».

نعم، بالنسبة للدوائر الأخرى التي هي دون تلك الحجج العليا فإن الحق يدور مع علي (عليه السلام)، فهناك موازين ومقاييس لا يمكن تركها أو تجاوزها في تحديد الإمام، فإن الاعتقاد بالإمام نشأ من تلك الموازين والمقاييس.

إذاً في ثبوت إمامه الإمام لا بدّ من ملاحظه أمرين: أمر إثباتي إبتدائي كالمعجزه ونحوها، وأمر إثباتي بقائي استمرارى وهو عدم تجاوز الحجج الأعلى والبقاء في هيمنتها وظلها، والأمر الأوّل لا بدّ أن يكون واضحاً جلياً يفهمه عامه الناس كالصيحه بالنسبه لظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، ولا يحصل القطع بالإمامه إلاّ بتحقيق الأمرين معاً، لذا نلاحظ الفقهاء والشيعة بشكل عام يطبقون على الإمام الموازين والثوابت من البدايه إلى النهايه.

مما يدل على أن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يثبتون معرفه إمامهم دوماً عن بصيره وعلم وبرهان، ولا يكتفون بالإثبات الأوّلى دون الاستمرارى، فلا يمكن إلغاء الموازين العقلية لا في أوّل الطريق ولا في وسطه ولا في آخره، فالإمام لا بدّ أن يكون طهراً طاهراً مطهراً ليس فقط في أوّل الطريق بل على طوله، وهذا من إعجاز الدين الإسلامى في تبيان مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

وإلاّ- فلو ادعى مدّع الإمامه مع دليل إثبات ابتدائي كالمعجزه ولكن لم يتم دليل استمرارى، كأن خالف ضروريات العقل أو الدين أو سنّه النبى، فإنّ ذلك يكشف عن توهم المعتقد بإمامه ذلك المدعى.

وباختصار إن تحكيم الدلائل والبراهين حول أىّ شخصيه كمقام سماوى أو منصب من مناصب الدين يجب أن يظل تحت مجهر الموازين، وإن القرآن

والدين لا يسد عقل الإنسان عن تحكيم ورصد المجهر العقلي من أول الطريق إلى آخره، فلا يمكن مصادرته العقل ولا الثوابت ولا-الموازنين، بل لا بد أن تظل محكمه في كل صغيره وكبيره، من هنا نفهم لماذا نادى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عندما رآه البعض واقفاً مع امرأه في أحد الشوارع فنادى الناظر هذه صفيه زوج النبي (صلى الله عليه وآله) (1) فإنه (صلى الله عليه وآله) يعطى درساً للناس بأن المراقبة في المعرفه لا بد أن تبقى مستمره حتى على الأنبياء.

وكذلك من هذا البيان نفهم لم كان طغاه بنى أميه وبنى العباس يختبرون الأئمه (عليهم السلام) بالأسئلة العلميه والمناظرات، لأنهم كانوا يريدون التأكد من إمامتهم فضلاً عن أهدافهم الأخرى، فإنهم لما كانوا الأفضل والأعلم بمقتضى الإمامه، فلا بد أن تكون الأفضليه والأعلميه متحققه باستمرار وليس في أول الطريق فقط.

ثم تأتي في المرتبه الرابعه صلاحيات الفقهاء وهم الذين لهم نيابه عامه، أى ليس لهم ارتباط واتصال بأهل البيت إلا عبر الكتاب والسنة والمصادر الدينيه فلم ينب أحد منهم بالخصوص وإنما صارت له النيابة وفق شرائط وموازن بينها الله والنبي والأئمه، وهكذا فى نفس المرتبه أى الرابعه حجيه النواب بالنيابه الخاصه وهم السفراء، فإن الفقهاء والسفراء فى مرتبه واحده إذ تقدم أنه لا منافاه بين حجيه كل منهما ولا

ص: ٤٠٠

١-١) روى الحافظ الأصفهاني فى تاريخ أصفهان ٢١١: ٢ بسنده إلى على بن الحسين (عليه السلام) عن صفيه قالت: اعتكف رسول الله ، فجئت لأحدثه، فخرج رسول الله ليقلبنى (ليودعنى)، فلمّا بصر كان فى بعض الطريق بصر برجلين من الأنصار، فدعاهما فقال: «أتدريان من هذه؟»، قال: لا يا رسول الله، قال: «هذه صفيه زوج النبي ، وإنى خشيت أن يوقع فى أنفسكما شيئاً»، قال: أوعليك يا رسول الله؟! فقال رسول الله : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق وإنى خشيت أن يوقع فى أنفسكما شيئاً».

تلغى حجيه كل منهما حجيه الآخر حيث بينا بحسب مفاد آيه (النفر) (١) وآيه (الحكم) (٢), أن الفقهاء لهم دور فى دوله الرسول وفى دوله أمير المؤمنين, وهكذا حتى فى دوله الرجعه ودوله الظهور للإمام الحجه (عليه السلام) لأن هذه الآيات فرائض من الله لرسم جهاز العمل للمعصومين.

وهذه المرتبه الرابعه _ للفقهاء عموماً _ أيضاً محدوده بضروريات دين الله وسنن النبى (صلى الله عليه وآله) وسنن أحكام وتعاليم المعصومين (عليهم السلام) فضلاً عن ضروريات العقل, فهذه المراتب والتراتبية والقواعد الاستكشافيه لا بد من معرفتها وإلا وقعنا فيما وقعت فيه الفرق الضاله فى الغيبه الصغرى أو الكبرى, حيث جوزوا أن يكون للإمام صلاحيات أن يشرع ويفعل ما يشاء فاتبعوا أديعاء الإمامه, كما أنا ذكرنا بأن الشبهه العقائديه لا يمكن أن تزاح ويتخلص منها إلا بالمداقه فى المراتب للحجج, فلا يكفى معرفه أصل حجيه الحجه, وإنما لا بد من معرفه حقيقه الحجه وذلك بمعرفه مرتبه حجيه تلك الحجه وأنها حججه فى أى دائره دون غيرها, ولا بد من معرفه منطقتيها الثبوتيه والإثباتيه.

القواعد الرقابيه وحفظ ثقافه أهل البيت (عليهم السلام):

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه والشيخ الصدوق فى كمال الدين والنعمانى وغيرهم أن فقهاء الشيعة وعلمائهم وعامه

ص: ٤٠١

١- ١) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (التوبه: ١٢٢).

٢- ٢) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (المائده: ٤٤).

الشيعة لم يفتأوا دوماً من المراقبه، فعامه الناس من الشيعة يراقبون الفقهاء والنواب، ثم الفقهاء والنواب والعامه يراقبون الأئمه (عليهم السلام)، وهكذا... (1).

ص: ٤٠٢

١-١) حدّث أبو الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها (عليه السلام)، فكتب معي كتباً وقال: «امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر وسمع الواعيه في دارى وتجدنى على المغتسل». قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدى فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدى، فقلت: زدنى، فقال: من يصلى على فهو القائم بعدى، فقلت: زدنى، فقال: من أخبر بما فى الهميان فهو القائم بعدى، ثم منعتنى هيئته أن أسأله عمّا فى الهميان. وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما ذكر لى (عليه السلام)، فإذا أنا بالواعيه فى داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه، فقلت فى نفسى: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامه، لأنى كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر فى الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنيت فلم يسألنى عن شىء، ثم خرج عقيد فقال: يا سيدى قد كفن أخوك فقم وصل عليه فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمه. فلما صرنا فى الدار إذا نحن بالحسن بن علي (عليه السلام) على نعشه مكفناً فتقدم جعفر بن علي ليصلى على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبى بوجهه سمره، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ برداء جعفر بن علي وقال: «تأخر يا عمّ فأنا أحق بالصلاه على أبى»، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه وأصفر. فتقدم الصبى وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه ثم قال: «يا بصرى هات جوابات الكتب التى معك»، فدفعتها إليه، فقلت فى نفسى: هذه بيتان بقى الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدى من الصبى لنقيم الحجه عليه؟ فقال: والله ما رأيت قط ولا أعرفه. ttttttttt فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي فعرفوا موته فقالوا: فمن (نعزى)؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزّوه وهنوه وقالوا: إن معنا كتباً ومالاً فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفذ أثوابه ويقول: تريدون منّا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلاين وفلاين (وفلاين) وهميان فيه ألف دينار وعشره دنانير منها مطلبه، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذى وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام، فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجاربه فطالبوها بالصبى فأنكرته وإدعت حبلاً بها لتغطى حال الصبى فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضى، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأه، وخرج صاحب الزنج بالبصره فشغلوا بذلك عن الجاربه، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله رب العالمين. (كمال الدين: ٤٧٥ و ٤٧٦). وعن هشام بن سالم قال: كُنّا بالمدينه بعد وفات أبى عبد الله (عليه السلام) أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس عنده وذلك أنهم رويوا عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «إن الأمر فى الكبير ما لم تكن به عاهه»، فدخلنا عليه نسأله عمّا كُنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاه فى كم تجب؟ فقال: فى مائتين خمس، فقلنا: ففى مائه؟ فقال: درهمان ونصف فقلنا: والله ما تقول المرجئه هذا، قال: فرفع يده إلى السماء فقال: والله ما أدرى ما تقول المرجئه، قال: فخرجنا من عنده ضلالاً لا ندرى إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعنا فى بعض أزقه المدينه باكين حيارى لا ندرى إلى أين نتوجه ولا من نقصد؟ ونقول: إلى المرجئه؟

إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟ فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه، يومى إلى بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون إلى من اتفقت شيعه جعفر (عليه السلام) عليه، فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم فقلت للأحول: تنح فإنى خائف على نفسى وعليك، وإنما يريدنى لا يريدك، فتنح عنى لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحى غير بعيد وتبع الشيخ وذلك أنى ظننت أنى لا أقدر على التخلص منه فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت حتى ورد بى على باب أبى الحسن (عليه السلام) ثم خلانى ومضى، فإذا خادم بالباب فقال لى: أدخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن موسى (عليه السلام) فقال لى ابتداء منه: «لا إلى المرجئه ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج إلى إلى» فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: «نعم». قلت: مضى موتاً؟ قال: «نعم»، قلت: فمن لنا من بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك هداك»، قلت: جعلت فداك إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه. قال: «يريد عبد الله أن لا يعبد الله»، قال: قلت: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ قال: «إن شاء الله أن يهديك هداك»، قال: قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: «لا، ما أقول ذلك»، قال: فقلت فى نفسى: لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له: جعلت فداك عليك إمام؟ قال: «لا»، فداخلنى شىء لا يعلم إلا الله إعظماً له وهيبه أكثر مما كان يحل بى من أبيه إذا دخلت عليه، ثم قلت له: جعلت فداك أسألك عمياً كنت أسأل أباك؟ فقال: «سل تخبر ولا تدع، فإن أذعت فهو الذبح»، فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعه أبيك ضلال فألقى إليهم وأدعوهم إليك؟ وقد أخذت على الكتمان؟ قال: «من آنست منه رشداً فالى إليه وخذ عليه الكتمان فإن أذاعوا فهو الذبح» وأشار بيده إلى حلقه، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول فقال لى: ما وراءك؟ قلت: الهدى فحدثته بالقصه قال: ثم لقينا الفضيل وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه بالإمامه، ثم لقينا الناس أفواجاً فكل من دخل عليه قطع إلا طائفه عمّار وأصحابه وبقي عبد الله لا يدخل إليه إلا قليل من الناس، فلما رأى ذلك قال: ما حال الناس؟ فأخبر أن هشاماً صد عنك الناس، قال هشام: فأقعد لى بالمدينه غير واحد ليضربونى. (الكافى ١: ٣٥١ و٣٥٢).

فالعامة يراقبون الفقهاء ويستمرون فى المراقبه هل أنهم لا- زالوا على التقوى والثبات والسير على ضرورات دين الله وسُنَّته نبيه (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وإلا اسقطت حجيتهم, لذلك نَعَم ما قيل: (إنا لا نجد انتخاباً حراً نزيهاً سديداً لقيادات تقود المجتمعات كنظام الانتخاب فى طائفه أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وهو انتخابهم للفقهاء والمراجع، فحتى النظام الديمقراطى فى الغرب وفى أمريكا تتدخل فيه الأموال والمافيات والدعايات والاعلان وتتدخل فيه وفيه... إلى ما شاء الله.

فمثلاً رئيس الجمهوريه فى أمريكا لا يُنتخب مباشرة من الشعب أبداً، وإنما نواب المحافظات هم الذين ينتخبون الرئيس، ونواب المحافظات ورئيس المحافظه لكل ولايه هو الذى يكون له ثراء ومال معين، فلا بد أن يصعد رأس ماله إلى سقف معين كى يحق له أن يرشح ليكون رئيساً لمحافظه أو رئيساً

لولاية، فالمال أول شيء في هذه المعادله الانتخابيه، وإذا انتخب هؤلاء رؤساء الولايات فمن بينهم ينتخب رئيس الجمهوريه.

فحواجز المال وحواجز القوه هي الحاكمه والمهيمنه في الانتخابات، فأين الشفافيه، وأين النزاهه، هذا فضلاً عن بقية الدول الغربيه.

فلا تجد نظاماً حرّاً نزيهاً تشترك فيه كل طبقات المجتمع على الرقابهِ والبصيره لا العمايه كنظام المرجعيه الذى أسسه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، مرجعيه الفقهاء كأعوان ونصراء وخدام لأئمه أهل البيت (عليهم السلام) هذا النظام أقامه وأسسهُ أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وهو نظام إعجازى وليس هو من نظم وإنشاء الفقهاء والمراجع، بل بناه الباقر (عليه السلام)، ووضع له الصادق (عليه السلام) ضوابط وحواجز نظميهِ إداريه لا يمكن أن تخترق.

صدر كتاب (the desnoighte ك theology) بعد سقوط الطاغيه صدام عن دائره الاستخبارات الأمريكيه يقول بأن أتباع أهل البيت هم الجماعه الوحيدَه فى المسلمين الذين لم يذوبوا فى الغرب إلى الآن!

يقول: استطعنا أن ندوّب أغلب المسلمين فى الغرب والثقافه الغربيه إلا أتباع أهل البيت، وإنما ذلك لسببين مهمين، الأول هو الحسين (عليه السلام)، فهو الذى يدفق فى أتباع أهل البيت العزّه والإباء والصمود والاستقامه والبطوله والاعتزاز بالهويه، فكيف يمسخ هكذا مجتمع أو تغير هويته وهو يتغذى وينهل الهويه والشخصيه من الحسين (عليه السلام)، لذلك نلاحظ محاولات الطعن والتشكيك فى قضيه الحسين (عليه السلام) والاستهانهِ والتحقير لخطباء مؤسسه الحسين (عليه السلام)، وهكذا الروايد (واللطامه) نجد التشكيك فيهم بأقلام مريبه من داخل أوساط المذهب لتخريب مثل هذا الباب والصرح العظيم وهو مؤسسه سيد الشهداء (عليه السلام).

ويذكر هذا الكتاب _ وقد ترجم فصول منه _ السبب الثانى وهو

المراجع والفقهاء، ويذكر حوزة النجف بالاسم يقول أيضاً: كُنّا نزوّد النظام البعثي معدل كل سنتين أو ثلاث بأحدث النظم الأئمة لكي يفتك بالحوزه وبالشيعة إلا أنه فشل.

وربما يُسائل كيف لم يستطع النظام البعثي أن يخترق الحوزه ولم يفتك بها؟ وكيف فشل النظام البعثي أن يخترق الفقهاء والمرجعية بأن يجعل مرجعاً مزيفاً للشيعة، وهذا هو الذي يريدون الوصول إليه؟

وما ذلك إلا لأن الأئمة وضعوا لها نظاماً ذا حواجز وأستار وستور مختبريه يفشل من تطمع نفسه أو تسول نفسه _ ولو كان من الدول والقوى العظمى _ أن تخترق هذا الستور، فإنّ الفقيه والمرجع يبقى تحت الرقابه الشعبيه من أول عمره إلى آخر نفس في حياته، فأى أئمة من البشر وأى طائفه من البشر عندهم هكذا رقابه نزيهه وشفافه على القياده، وفي انتخاب القياده كهذا النظام الذي وضعه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا من إعجازهم (عليهم السلام)، وبالتالي فلا يمكن لشخص مزيف أو لشخص كارتونى مهما أوتى من حيل وأساليب أن يخترق هذا المقام _ المرجعيه والفقهاء _ لأنه نظام منيع، فلو كان فقيه من الفقهاء تقياً ورعاً طول حياته ولا سمح الله في بعض حياته ابتعد عن التقوى أو العلم لأبعد عن هذا المنصب.

القواعد الرقابيه والسلمغاني والعبرتائي:

التاريخ يحدّثنا أن فقهاء صلحاء أجلاء في بدايه أمرهم كابن أبي العزاقر السلمغاني وأحمد بن هلال العبرتائي كانا من الفقهاء الكبار، لكن في فتره من حياتهم زاغوا عن الطريق وادعوا لأنفسهم ما ليس لهم، فأسقطت حجيتهم لعدم مراعاتهم للحجج الأعلى.

فالسلمغاني كان من أفقه فقهاء الشيعة في الغيبه الصغرى، وإن

كتابه فى الفقه أو رسالته العمليه والتي تسمى بكتاب التكليف منتشره فى كل بيوت الشيعة فى العراق وفى إيران وفى الخليج وغيرها، فلم يخلُ بيت من بيوت الشيعة من هذا الكتاب، فهو فقيه نحرير تقى ورع فى العهد الأول من عمره!؟ إلا أنه _ والعياذ بالله _ فى أخريات حياته طمع فى أن يكون نائباً خاصاً أو سفيراً فخرج عن الموازين، ولذلك أقصى من قبل أتباع أهل البيت وصار مصيره إلى أسفل الأسفلين (١).

ص: ٤٠٧

١- ١) ذكر السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ٥٠: ١٨ تحت الرقم ١١٤١١، محمد بن على السلمغانى: قال الشيخ: محمد بن على السلمغانى ويكنى أبا جعفر ويعرف بابن أبى العزاقر له كتب وروايات، كان مستقيم الطريقه، ثم تغير وظهرت منه مقالات منكره إلى أن أخذه السلطان فقتله وصلبه ببغداد، وله من الكتب التى عملها فى حال الاستقامه كتاب التكليف. وقال النجاشى: محمد بن على بن السلمغانى أبو جعفر المعروف بابن العزاقر كان متقدماً فى أصحابنا، فحملة الحسد لأبى القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدخول فى المذاهب الرديه، حتى خرجت فيه توقيعات فأخذه السلطان وقتله وصلبه، وله كتب منها كتاب التكليف، ورساله إلى ابن همام، وكتاب ماهيه العصمه، وكتاب الزاهر للحجج العقليه، وكتاب المباهله، وكتاب الأوصياء، وكتاب المعارف، وكتاب الايضاح، وكتاب فضل النطق على الصمت، وكتاب فضل العمرتين، وكتاب الأنوار، وكتاب التسليم، وكتاب البرهان، الزهاد والتوحيد، وكتاب البداء والمشيه، وكتاب نظم القرآن، وكتاب الإمامه الكبير، وكتاب الإمامه الصغير. ثم قال السيد الخوئى: والتوقيع الذى ذكره الشيخ ذكره الطبرسى فى الجزء الثانى من الاحتجاج مبسوطاً، وفيه: «إن محمد بن على المعروف بالسلمغانى عجل الله تعالى له النقمه ولا أمهله وقد ارتد عن الإسلام وفارقه والحد فى دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً واثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً مبيناً، وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلام ورحمته وبركاته منه، ولعنا عليه لعائن الله تترا فى الظاهر منها والباطن فى السر والجهر وفى كل وقت وعلى كل حال وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولاه (توليه) بعده».

وأما العبرتائي فهو أيضاً من كبار الفقهاء وأدرك أربعة من المعصومين (عليهم السلام) (الجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام)، وقد حجّ بيت الله أكثر من خمسين حجه عشرين منها مشياً على الأقدام من الكوفه إلى مكّه، ومع ذلك ما أن أدعى لنفسه النيايه الخاصه والسفاره أسقط عن الاعتبار وصدر في حقه اللعن، لأنه تجاوز الموازين وانكشف بطلانه لوجود القواعد الرقابيه التي سنّها أئمّه أهل البيت (عليهم السلام).

وهذا لا نجده في أى أمّه أو نحلّه أو ملّه أو مذهب غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّه مذهب قائم على نظم إعجازى، فإنّ تاريخ هذا المذهب ثير وبديع ويسطر لنا أحدث النظم الاعجازيه الربانيه للرقابه، فابن أبى العزاقر الشلمغانى تسنم واحتل مرتبه كبيره، وهكذا العبرتائي، إلا أن الرقابه باقيه بضمانه التقوى والموازين والعلم، وقد كان لهذا النظام الاعجازى الأثر الأقوى في حفظ الدين والمذهب والهويه الشيعيه.

فكم فقيه من الفقهاء من أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كان فقيهاً تقياً إلا أنه عرض عليه النسيان _ مثلاً _ فمن تقواه قال: قلدوا غيرى، كالوحيد البهبهاني مثلاً رئيس الحوزه العلميه فى كربلاء، عندما عرض عليه النسيان قال: قلدوا السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، لأنه ضمن موازين رقابته التلاميذ والخبراء وأهل الخبره من الفقهاء فى الحوزه العلميه، فهذه كلها مختبرات وضمانات.

لذلك يستهدف الأعداء والمغرضون الحوزات العلميه لأنها مختبرات وضمانات للرقابه العلميه وللرقابه فى الانتخاب ونزاهه القيادة، ومن ثمّ يستهدفون طلبه العلوم الدينيه لكي تضيع الموازين فيكون باستطاعتهم حينئذٍ التغلغل والنفوذ فى جسد المذهب والعبث فيه، فإنّهم

بعد أن شخصوا هذين السببين العظيمين _ الحسين (عليه السلام) ونظام اختيار الفقهاء _ شنوا أعتى أنواع الحروب والفتك بهما لتسهيل الطريق لانتشار ثقافته الغربية وتمييع الهويه الإسلاميه لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما ذابت الجماعات الإسلاميه فى ذلك المد الغربى العلمانى والالحادى.

ولكن تبقى ثوره الحسين (عليه السلام) وقّاده، ويبقى هذا النظام الاعجازى لاختيار الفقهاء سداً منيعاً وصرحاً مشيداً عظيماً كقواعد رقابيه معرفيه فى ردع جميع محاولات الهدم والتضليل إلى ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ليقيم دوله الحق وينشر الإسلام الصحيح ويثبت أركان وأصول دين الله وشريعته محمّدي (صلى الله عليه وآله) ونهج آباءه الأئمه الهداه المهديين الصالحين.

بواعث الانحراف:

من البديهى أن يتوقف كل عاقل عند المواقف والأحداث الغربيه ليتساءل ويتأمل فى أسبابها ومناشئها وبواعثها، وثمره ذلك التوقف والتأمل أن تلك الأحداث الغربيه إن كانت حسنه حاول إيجادها بإيجاد وتوفير أسبابها وبواعثها، وإلاّ تجنبها قبل وقوعها والتلبس بها، فإنّه كما يقال (الوقايه خير من العلاج).

فمن تلك المواقف والأحداث المستحقه للوقوف عندها انحراف فقهاء كبار كالشلمغانى والعبرتائى، فما هى أسباب وبواعث هذا الانحراف؟

مما لا شكّ فيه إن أسباب ومناشئ ذلك كامنه فى نفس الإنسان وفى سلوكه عموماً ونوع وطبيعته علاقته مع الله تعالى خصوصاً!

فإنَّ النفس إذا لم تخضع وتوقن بوجود طريق ومسلک واحد انحصارى لله تعالى وهو طريق المعصومين فإنَّها لا محاله عرضه بل آيله للزيع والانحراف، فإنَّ المعصومين هم الذين صفاهم واصطفاهم الله تعالى ليكونوا قناه أمان للخلق، وإلا فما عدا هذه القناه يكون الشيطان هو المتبع!

ويمكن استفاده ذلك من قوله تعالى: **وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١).**

فالاخلاق للأرض يعنى اتباع الشيطان، أى استحباب الهوى والغرائز والملاذ، فالله تعالى يبيّن لنا أنه تعالى رسم لنا طريقاً ومسلکاً منه يعبد ويطاع ويتقرب إليه، حيث يقول: **آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا**، ولكن الإنسان إذا انسلخ عن ذلك الطريق وأخلد للهوى والغرائز فقد سمح للشيطان أن يتلاعب به.

فالنفس إذا لم تُروض بالطاعة والمراره وشيء من القسوه والقطيعه عن الشهوات والأهواء فإنَّها لا محاله تشط ويتلاعب بها الشيطان، إذ روى عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله): **«أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» (٢)** وما ذلك إلا لأن الشيطان عدو مبين للإنسان، فلا بدّ من سدّ كل الثغرات والمنافذ لئلا يوسوس للنفس، بل لو وسوس فلا بدّ أن

ص: ٤١٠

١- (١) الأعراف: ١٧٥ و ١٧٦.

٢- (٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسى ٦٤: ٦٧ الباب ٤٥/ ح ١، عن عدّه الداعى.

تكون النفس مطمئنه متيقنه مستقره, يقول الله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١).

ولكن الأزمه والمشكله فى الإنسان أنه لا ينظر للنفس كدابه يمتطيها فى مرحله من مراحل وجوده بل يجعلها كجزء ثابت ويراها ذاته، وهذا خطأ معرفى سلوكى تعايشى يقع فيه الإنسان حيث يظن النفس جزء ذاته بينما هى دابه ووسيله ومركوب تركبه روح الإنسان أى عقله.

فلما كانت النفس دابه يركبها عقل الإنسان فلا بد أن لا تعطى كل ما تريد وإنما تعطى مقدار الحاجه.

ولكن الإنسان لما جعل النفس جزء ذاته فَحَسِبَ متطلبات النفس هى متطلبات الذات، فراح يطلق لها العنان فى مراداتها ومتطلباتها وهذا بالتالى يضر بذاته لأن النفس ستقوى وتنفر عليه ولا تؤدى وظيفتها بالشكل المطلوب والصحيح، بل إن متطلباتها وحوائجها لا تقف عند حد فيكون هو دابتها! ففى روايه عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إِيَّاكَ والسفله، إنما شيعه جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالفه ورجا ثوابه وخاف عقابه» (٢).

وبمثال حسى لو كانت لشخص فرس يحتاجها عند التنقل والترحال والحروب لصد الأعداء وكوسيله تخدمه لتلبيه أغراضه

ص: ٤١١

(١ - ١) يس: ٦٠.

(٢ - ٢) فى الكافى للشيخ الكلينى ٢٣٣: ٢/ باب المؤمن وعلامته وصفاته/ ح ٩، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إِيَّاكَ والسفله، فإنّما شيعه على من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالفه ورجى ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعه جعفر».

ومتطلبات حياته ولكنه يوفر لها المأكل لدرجة أنه صار خادماً لها في تلبية جميع متطلباتها حتى الراحة والنوم فضلاً عن الطعام، فبالنتيجة صارت الفرس تقضى حوائجها بواسطة ذلك الشخص، فلو أرادها للحرب والتنقل طلبت الراحة والنوم، ولو أراد هو الراحة والنوم طلبت هي الطعام والشراب، فصار الأمر بعكس المطلوب!

أما لو كان يعطيها بقدر الحاجة ويجبرها على تأديه متطلباته هو حتى لو كان في ذلك عناء ومشقه الدابه فإن ذلك هو السبيل الوحيد والترتيب المنطقي والعلاقة الطبيعيه بين الشخص ودابته، وهكذا الإنسان ونفسه، فلو جعلها جزء ذاته وأعطاه كل ما تريد وتشتهى امتطته وقضت حوائجها وشهواتها به ومنه، وخسر هو ذاته وكانت وبالأعلى عليه بدلاً من أن تكون عوناً له.

وبالتالي تكون النفس أميره عليه فيحسبها ويستغفل عقله.

وعلاج ذلك أن يجعلها دابه له ويتعامل معها على هذا الأساس تعاملًا عملياً تعاشياً وليس تعاملًا فكرياً تجريبياً فحسب.

فلا بد للإنسان من ترويض نفسه لا أن يطيعها كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «هي نفسى أروضها...» (١) أى أجعلها مأموره خادمه.

ص: ٤١٢

١- ١) فى نهج البلاغه ٧١: ٣/ ٤٥ من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت فى أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بذك وغير فذك والنفس مظانها فى غد جدت تقطع فى ظلمه آثارها وتغيب أخبارها، وحفره لو زيد فى فسحتها وأوسعت يد حافرها لأضغظها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق».

كما يستفاد ذلك من الدرس العظيم الذى أوصلته لنا العقيله (عليه السلام) من القرآن الكريم حينما ردت على يزيد لعنه الله، حيث قالت: قال الله تعالى: **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١)** والذى يعنى أن الإنسان إذا توخّل فى الرذائل فإنّ الله تعالى يُعمى بصيرته وعقله، فإنّ الإنسان مجموعه قوى تؤثر بعضها فى البعض الآخر، فإذا كان الإنسان يرتكب المحرمات سوف تنعدم وتضيع منه البصيره وبالتالى يحكّم المتشابهات على المحكمات، والإنسان الطاهر العفيف والذى أدمن السلوك التبر وأدمن وربط على التقوى والعفاف والطهاره والصلاح فإنّ ذلك يوجب قوه العقل والبصيره والتمييز عنده.

لأنّ سبب انحراف بعض الذين ادعوا النياه الخاصه والسفاره _ مع أنه كان فى البدايه مؤمناً مستقيماً _ أنهم مع ما وصلوا إليه لم تكن نفوسهم راضخه ومتيقنه أن الطريق والمسلک إنما يُحدد من قبل الله تعالى والمعصومين، بل هم راضخوا لمطالب النفس فى طلب السیاده والرئاسه و...

واللطيف أن الإمام الثانى عشر (عليه السلام) لما أخرج اللعن بحق العبرتائى ذكر سبب انحرافه حيث قال: إنه لم يدع الله أن يجعل إيمانه مستقراً، فعن على بن محمّد بن قتيبه، قال: حدّثنى أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغى، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخه ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك أن كتب (عليه السلام) إلى قوّامه بالعراق: «احذروا الصوفى المتصنع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حجج أربعاً وخمسين حجّه، عشرون منها على قدميه.

ص: ٤١٣

(١-١) الروم: ١٠.

قال: وكان رواه أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد في مذمته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره.

فخرج إليه: «قد كان أمرنا نَفَذَ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يداخل في أمرنا بلا- إذن منّا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضى من أمرنا إياه إلا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره.

وكنّا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم بالقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه.

واعلم الإسحاقى سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنّا ثقتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرناء، ونحمله إياه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى».

وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه، فخرج: «لا شكر الله قدره، لم يدع المرء ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه وأن يجعل ما منّ به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً» (١) اللهم اجعل إيماننا مستقراً بحق محمّد وآله الأطهار.

ولا ينحصر هذا الكلام بمدعى السفاره، بل بكل الدعوات الباطله

ص: ٤١٤

من دعوى الألوهية والنبوه والإمامه والسفاره والفقاهه والسياده و... وكل ما هو عالى وشريف, فإنّ النفس ببواعثها الشيطانيه تطمح لها, ولكن العقل يحكم موازينه وضوابطه ويضع نفسه فى محله الصحيح, ولكن أين الذى يجعل النفس دابه العقل ليكون فى جاده الحق والصراط المستقيم!؟

فإنّ بعض أولئك الفقهاء مع ما وصلوا إليه من العلم والعباده لم تكن نفوسهم طوع عقولهم, بل كانوا يأملون أكثر مما تستحق نفوسهم, ولم يكونوا يعتقدون بالأئمه تمام الاعتقاد, بل أحياناً يرون الرجحان فى أقوالهم أو أفعالهم كما روى عن المفضل, قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «اتق السفله, واحذر السفله, فإنّى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منى» (١) وروى عيسى عن أبى عبد الله (عليه السلام): «إياك ومخالطه السفله فإنّ السفله لا تؤل إلى خير» (٢) فإنّ أبا الخطاب لم يمثّل كلام الصادق (عليه السلام), لأنه كان يرى فعله ورأيه أرجح, وما ذلك إلاّ لسوء سريره الحاصل من عدم السيطرة على أهواء النفس, فإنّ الروايه تفيد أنه كان يرافق السفله مع أن الإمام ينهاه, بمعنى أنك تتبع هواك فإنّك من ذلك.

وقد روى عن الكاظم (عليه السلام) أنه قال عندما سُئل عن أبى الخطاب: «إن الله خلق الأنبياء على النبوه فلا يكونون إلاّ أنبياء, وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين, واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمه

ص: ٤١٥

١- ١) إختيار معرفه الرجال ٥٨٤: ٢.

٢- ٢) فى الكافى للشيخ الكلينى ١٥٨: ٥/ باب من تكره معاملته ومخالطته/ ح ٧, عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «إياك ومخالطه السفله, فإنّ السفله لا يؤولوا إلى خير».

لهم وإن شاء سلبهم إِيَّاه، وأن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبي سلبه الله الإيمان» (١) أى فيهم استعداد رسوخ الإيمان، فإنّ عصوا لم يرسخ، وهذا العصيان من النفوس إذا كانت لها السيادة على العقول.

ص: ٤١٦

١- ١) فى بحار الأنوار ٢٢٢: ٦٦ فى ترجمه أبى الخطاب وأنه كافر ملعون/ ح ٥؛ رجال الكشى عن عيسى شلقان قال: قلت لأبى الحسن (عليه السلام) وهو يومئذ غلام قبل أوان بلوغه: جُعلت فداك، ما هذا الذى يسمع من أبيك أنه أمرنا بولايه أبى الخطاب ثم أمرنا بالبراءه منه؟ قال: قال أبو الحسن (عليه السلام) من تلقاء نفسه: «إن الله خلق الأنبياء على النبوه فلا يكونون إلاّ أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا- يكونون إلاّ- مؤمنين، واستودع قومًا إيمانًا فإن شاء أتمه وإن شاء سلبهم إِيَّاه، وإن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبى سلبه الله الإيمان»، قال: فعرضت هذا الكلام على أبى عبد الله (عليه السلام) قال: فقال: «لو سألتنا عن ذلك ما كان ليكون عندنا غير ما قال».

قد نجد في بعض الروايات أو صافاً خاصه لبعض الأصحاب كوصف أصحاب السر (١) لميثم التمار ورشيد الهجرى وحبیب بن مظاهر الأسدى (رض) وجمله من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث أتخفهم الإمام (عليه السلام) بعلوم وحباهم بها، وهكذا باقى الأئمه (عليهم السلام) مع بعض أصحابهم فإنّ لهم علم المنيا والبلايا وأسراراً وغوامض العلوم وغيرها.

ولكن ذلك لا- يعنى أنهم يرفعون اليد عن بديهيات العقل أو ضروريات الدين أو سنن النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمه (عليهم السلام) ولا- بدّ أن نلتفت لهذه النكته المهمه وهى قاعده رقايبه عقائديه معرفيه، إذ مهما كان عند أولئك من علوم وأسرار... فإنّها لا- تناقض ولا تخالف ولا تصطدم ولا تصطك في حال من الأحوال ولا في زمان من الأزمان مع ضروريات وبديهيات العقل وفرائض الله وسُنَّه النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمه (عليهم السلام) سواء أكانت تلك العلوم والأسرار عند الأصحاب أم عند الأئمه (عليهم السلام)، فحتّى الأئمه

ص: ٤١٩

١- ١) موسوعه الإمام على / الريشهري: ٨١، فى نور البراهين عن كميل لعلی (عليه السلام): يا أمير المؤمنين ما الحقيقه؟ فقال: «ما لك والحقيقه؟»، فقال: أولست صاحب سرک يا أمير المؤمنين؟ فقال: «بلى، ولكن أخاف أن يطفح عليك ما يترشح منى»، وتجد فى ترجمه جملته من أصحاب الأئمه (عليه السلام) عبارته أنه صاحب السر أو صاحب سر الإمام، للوقوف على موارد ذلك يراجع: الفوائد الرجاليه ١٦٢: ٢؛ أعيان الشيعه ٥٩٤: ٤؛ الكنى والألقاب ١٧٣: ٣؛ ومعجم مصطلحات الرجال والدرايه: ٨٥.

(عليهم السلام) عندما نقول عندهم علم الباطن ولديهم أسرار... فلا يعنى ذلك أبداً التنازل عن أى ضروره من ضروريات العقل ودين الله وسنة النبي والأئمة (عليهم السلام).

فلا- نستغفل ولا نغرر ولا نتوهم فى بريق هذه العناوين (علوم الباطن, أسرار, معارف, علم البلايا والمنايا...) فحينئذٍ نتهاون عن التمسك بالضرورات والبديهيات, وإنما تبقى هذه الضروريات وتبقى تراتبيه الحجج وتبقى القواعد الرقابيه المعرفيه فى كل الأحوال والأزمان.

ومما يشهد ويؤيد ذلك قصه موسى (عليه السلام) مع الخضر (عليه السلام), قال الله تعالى: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَخْرَقْتُهَا لَأَتَّعِرَ بِهَا أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَفِيَا غُلَامًا فَفَتَلَهُ قَالَ أَمَّا نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَ أَمَّا الْغُلَامُ

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْرِخَ كَتْرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١).

فإنَّ الخضر (عليه السلام) بعظمته وما عنده من علوم وأسرار وتوثيق من الله سبحانه وتعالى وإنه من رجال الغيب ومن رجال السر وعنده علم لدنى وتزكيه من الله فهو بذلك فوق اليقين وليس روايه ظنيه أو تحليلاً- أو تأويلاً، حيث كانت مرافقه موسى (عليه السلام) له بإرشاد وتوجيه وتوثيق من الله سبحانه وتعالى، فمع كل ذلك عندما ارتكب ما يخالف ظاهر الشريعة _ وليس ضرورى الشريعة وإنما ظاهر الشريعة _ لم يكن موسى (عليه السلام) ليتجاوز من ذلك ويستمر فى صحبته معه على عمايه وإنما اعترض عليه موسى (عليه السلام) ووقف أمامه لأن هناك حججاً فوق حجية الخضر وضوابط ونظماً إلهيه لا يمكن للنبي موسى (عليه السلام) أن يتخلى عنها، ولقد بُعث بها جميع الأنبياء ولا يمكن لا نبي ولا لوصى ولا لولى ولا لزكى ولا لملك مقرب أن يتخطاها فهى فرائض الله تعالى وأنها فوق الجميع، لذلك اعترض موسى على الخضر مع أن الخضر مُزكى من الله (عز وجل) وموسى (عليه السلام) لم يغرر بذلك من أنه توثيق وتزكيه ووحى، بل عندما شاهد مُخالفةً للقواعد والضوابط اعترض وحكم القواعد الرقابيه وموازن البصيره فى تعامله، فحتّى لو كان الخضر ذا علم لدنى وأن الله أمر موسى (عليه السلام) باتباعه فذلك لا يمنع من إعمال تراتبيه الحجج وتحكيم القواعد

ص: ٤٢١

العامه، فإنه بحسب الموازين العامه وظاهر الشريعة أن قتل النفس وخرق السفينه وبناء الجدار لقوم جفاه أمرٌ فيه فساد في الأرض حتى لو كان من ولي أو وصى أو نبي فكيف بمن دونهم، فإنّ الدماء والنفوس يراد لها محلل وولي من أولياء الله فحتى الأطفال من أبناء الكفار ليس لنا مسوغ لقتلهم في الحالات العاديه باجماع الديانات ومذاهب المسلمين إلاّ الخوارج الذين يمرقون من الدين ويستحلون دماء الأطفال ودماء الأبرياء ودماء الشيوخ والنساء، إذ من ثوابت كل الأديان حرمة الدماء ولم يجترئ على استحلاله أحد حتى لو كانت هناك حالات استثنائية كتترس الكفار بالأطفال والتدرع بهم فإنّها حالات استثنائية لا تعدو بحالٍ لأن تكون دائميّه استمراريه، فالاستثنائي لا ينقلب أولياً أبداً.

وكما يقول على بن أبي طالب (عليه السلام): «والله إنى لأهتدى للغدر، لكن كل غدره فجره، وكل فجره مآلها النار» (1).

وكذلك نلاحظ مسلم بن عقيل (عليه السلام) سفير الحسين لم يفتك غيلهً وغدراً لأنها ليست من أعراف الأديان السماويه أبداً. يعني أن هناك ثوابت لدين السماء لا يمكن لولي مهما كان أن يتجاوزها.

لذلك فإنّ الخضر مهما عرّف وزكى بوحي من الله لموسى (عليه السلام) فإنّ عند موسى وحيّاً بحجج أعظم من تزكيه الخضر لا بدّ من تحكيمها

ص: ٤٢٢

١- ١) جاء في نهج البلاغه ١٨٠: ٢ من كلام له في تنزهه عن الغدر / ٢٠٠، «والله ما معاويه بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجره، وكل فجره كفره، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما استغفل بالمكيده ولا استغمر بالشديده».

على حجيه الخضر، فإنه قال بعد الاعتراف: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَبِيحَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (١) ورغم ذلك عاد واعترض ثانياً فقال: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَبِيحَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٢) ولكنه مع ذلك يعترض مره ثلثه، ولو لاحظنا الاعتراض الثالث لوجدناه ليس شيئاً واجباً ولا محرماً إذ قال له بعد إقامة الجدار: قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٣) فهو أمر ندبى أولى فيه رجحان عقلى وشرعى، إذ من الراجح أن يُدبر الإنسان أموره وفى ذلك الحال، كان الخضر وموسى (عليه السلام) جائعين وقد استطعما أهل المدينة فأبوا أن يُضَيِّفوهما لذلك يقول موسى (عليه السلام) للخضر من باب تدبير الأمر بأن يأخذ أجراً على إقامة الجدار، فهو أمر تدبيرى راجح وليس فيه إلزام اتخذته النبى موسى (عليه السلام) قاعده رقايبه على أفعال الخضر.

وهذه الاعتراضات من النبى موسى (عليه السلام) لم تكن هباءً أو خطأ فى مرحله التنظير وإنما كانت اعتراضات صحيحه يُسَطَّر لنا القرآن من خلالها ملاحم معرفيه وبصائر نوريه تُنير لنا الدرب وتكون درساً فى تحكيم القواعد الرقابيه لعدم مخالفه ظواهر الشريعه فضلاً عن ضرورياتها، فإنّ موسى (عليه السلام) لم ينخدع ولم يتنازل عن الحجج العليا والضوابط والقواعد الرقابيه لمجرد تزكيه الله تعالى للخضر وإرشاده باتباعه، فلم يتأول مخالفه الضوابط والاستمرار فى مصاحبته، لأن تلك

ص: ٤٢٣

١-١) الكهف: ٧٢ و٧٣.

٢-٢) الكهف: ٧٥ و٧٦.

٣-٣) الكهف: ٧٧.

الضوابط والقواعد لا يمكن رفع اليد عنها ولا يمكن الاصطدام بها، لذا فإن الخضر عندما أراد أن يجيب النبي لم يُفند تلك الاعتراضات من حيث المبدأ، فلم يجوز سفك الدم البريء فإنه حرام بأي حال، وإنما أتى بوجه علميه لدينه موحاه له من قبل الله تعالى، فالخضر أقر موسى على تلك المبادئ والقواعد، وأقره على عدم إمكان رفع اليد عنها، وإنما بين له أن هذه مصاديق لقواعد أخرى.

التأويل مع الظاهر لا الضروري:

وللتفت إلى أن ما فعله الخضر هو مخالف للظواهر وليس للضروري، وإلا لو كان مخالفاً للضروري فلا مجال للتأويل، كما أن الاحتياج للتأويل في تصحيحه إذا كان مخالفاً للظاهر وأن ذلك التأويل من الله تعالى وليس من أي كان، فالخضر على ما كان عليه لم يكن ليتأول من نفسه، وإنما اعتمد على ما عنده من علم لدني ليوصله إلى وجهه متينه.

إذن هذه الضوابط وهذه القواعد مُحكَّمة دائماً، فحينما نقول أسراراً وأسراراً فلا نتعقل أن هناك أسراراً تخالف الشريعة أي أن باطن الشريعة يناقض ظاهرها.

تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً:

لذلك تخطأ دعاوى الصوفيه أو بعض العرفاء عندما يتمحلون لأنفسهم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أو الباري تعالى لديه دين باطن هذا الدين عميق ويناقض ظاهر الشريعة، فإن هذا باطل، لأنه لا يمكن أن تكون ضرورات الشريعة تُخالف ثوابت باطن الشريعة، بل لا بد من التلائم والانسجام

والتناسق والتناسب والامتداد بين ظاهر الشريعة وباطنها، وإلا كان كله من الزيف الباطل _ والعياذ بالله _ وإن احتمال أن يتوهم متوهم أن ظاهر الشريعة ليس إلا سراباً _ أعوذ بالله _ فإن هذه سفسطه وليست حقيقه.

وهذه القاعده المهمه دائماً ما تحاول الفرق الضاله الاحتيال عليها أو تزييفها لعقول المؤمنين باسم هذه العناوين والذرائع من أسرار وبواطن و... وأنها تناقض ضروريات الدين، فإن ضروريات وبديهيات العقل وضروريات الدين وضروريات سُيْنَه النبي (صلى الله عليه وآله) وضروريات سُيْنَه المعصومين (عليهم السلام) قواعد رقايبه معرفيه سواء على ما دونها من الحجج أم على الأسرار والأعماق والبواطن، لأن باطن المعارف يعنى الأمور النظرية والمتوغله فى النظرية، وأن إدراكها نظرى وغامض، ومما لا خلاف فيه أن النظرى إنما يتسع وينبنى ويتوالد وينشعب ويأخذ سلسله حلقات مترابطه مبتنى على البديهيات.

كما فى علم الرياضيات وبقية العلوم فلا- نتصور وجود أسرار تناقض قاعده أن (٢ + ٢ = ٤) ولا- غير ذلك، فإن كل قواعد الرياضيات وعلومه المستجده المتداوله المكتشفه جيلاً بعد جيل إنما تبنى على بديهيات الرياضيات لا أنها تهدمها وتناقضها وإلا لانهدم أساسها وجذرها وبنيتها، وهكذا أسرار الفيزياء وأسرار الكيمياء وأى علم كان فإن معنى أن له أسراراً أى متوغلاً فى النظرية والابهام والغموض لكنه مبنى وفق حلقات ومعادلات تبنى على بديهيات وضروريات ذلك العلم.

وهكذا الكلام فى معارف الشريعة وضرورياتها، فإن باطن الشريعة وأسرارها يجب أن لا يناقض ضرورياتها، بل أن أسرار وغوامض

الشريعة والنظري فيها لا- بد أن يبتنى على الضرورى منها، فإن ضروره التوحيد وبقية صفات الله وأن البارى تعالى هو الغنى المطلق وأن كل ما عدا البارى تعالى مخلوق مفتقر ومحتاج إليه تعالى ونبوه الأنبياء وولايه الأوصياء و... (١).

فهذه ضروريات الشريعة يجب المحافظه عليها وعدم مخالفتها، ولا بد أن يبتنى النظرى والسر والغامض عليها كما هو الحال فى كل العلوم، وإلا لو كان النظرى مخالفاً أو مناقضاً للضرورى والبديهى لأدى ذلك إلى نسف نفس النظرى فيكون النظرى مناقضاً لنفسه، لأن النظرى فى كل علم يجب أن يكون مبنياً على بديهى وضرورى ذلك العلم.

فإن كل العلوم النظرية إنما تكون متحصلة من صغرى وكبرى أو استقراء أو... وهذه تنتهى للبديهيات، والإنسان إنما ينطلق لايجاد وتحصيل علوم وقواعد ودوائر معرفيه جديده من تلك الدوائر والمساحات البديهيه، فإن دوائر الضروريات والبديهيات رأس مال ثمين وكنز لا يُقدَّر، منحه الله تعالى للإنسان فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم (٢)، إذن لا- يمكن أن تكون هناك أشياء تناقض الفطره، فهذه قوى قواميه وقيوميه واستقامه وفطره قيمه وهى قاعده من القواعد المعرفيه.

لذا فلو أردنا الوصول لباطن الشريعة فلا بد أن يكون من الظاهر فإن الظاهر هو جسر وطريق الباطن ولا نتصور التناقض بينهما.

ص: ٤٢٤

١- ١) الضرورى يعنى ما لا اختلاف فيه بين المسلمين فهو أمر مسلم عندهم، وضرورى العقل يعنى الأمر الواضح ولا خلاف فيه بين العقلاء، وضرورى المذهب هو ما لا خلاف فيه بين أتباع مدرسه أهل البيت (عليه السلام).

٢- ٢) الروم: ٣٠.

وما يحصل من توهم واشتباه فى هذا المجال إنما هو لأن الغوامض والأسرار والنظريه متشابهه قد يشتبه الأمر فيها لدى الإنسان فلا يعلمها فيجعلها غامضه لديه دوماً ولا يرجعها إلى محوريه واسطوانيّه ومركزيه المحكم وهو ضروريات الدين، والبعض نتيجة هذا التوهم يقع فى مصيده ومسرحيه الدجل والتحايل ومصادره العقول والألباب والبصائر بعناوين مختلفه كأسرار وبواطن وغوامض... فيرفع اليد عن الضروريات فيستريح ارتكاب الفواحش وترك الصلاة والصوم ونصب العداة للأئمة (عليهم السلام) ولشيعة أهل البيت وغير ذلك، وهو من العجيب، فإنّ من ضروريات الدين محبه محبى أهل البيت فكيف يكون من الدين بعنوان الأسرار ونحوه معاداتهم، وكيف أن معاداه فاطمه ومعاداه محبيها يكون من الدين بعنوان الأسرار والبواطن مع أن محبه فاطمه من ضروريات الدين وأنها (عليه السلام) تنجى محبيها يوم القيامة بل ومحبى محبيها فضلاً عن من تولاها (عليه السلام)، وما ذلك إلاّ تحايلات وتدليسات وهلوسات.

وبعبارة أخرى كيف تترك ضروريات الدين الواصله إلينا بتمويهات من الغرب أو الشرق، بل لنلتزم ونلتفت لحقيقه الدين وحقيقه الحجج التى أسسها الله والرسول والأئمة من القواعد الرقابيه المعرفيه المهمه.

سقوط الحجبه:

تقدم أن إعمال القواعد الرقابيه وتطبيقها أمر مهم ولا بدّ منه فى بناء نظم الحجج وتراتبتها، وذكرنا أن من نتائج تطبيق تلك القواعد الرقابيه إسقاط حجبه بعض الفقهاء الكبار كابن أبى العزاقر والعبرتائى،

وهذه ظاهره عظيمه فى تراتبيه الحجج، فالكل تحت مجهر المراقبه ومختبر التجربه، وما أن يتجاوز دائره حجته حتى يكون نتيجه عمله تلقائيه للقواعد الرقابيه بأن تنكشف عدم الحجيه لذلك المتجاوز.

وكما تبين أن هذا البحث ليس منحصرأ على حجيه الفقهاء بل لكل الحجج على اختلاف مراتبها والتي منها النيبه الخاصه والسفاره، فإنّ هناك من كان سفيرأ أو نائبأ خاصأ وقد تجاوز دائره حجته فاسقطت لإعمال تلك القواعد الرقابيه.

فإنّ محمّد بن أبى زينب المقلّاص أو أبى الخطاب _ له عدّه ألقاب اشتهر بها _ كان من أصحاب السر للإمام الصادق (عليه السلام)، وكان من القدر والجلاله والاستقامه بمكان زراره بن أعين الفقيه، بل لعلّه كان أكثر حظوه عند الإمام الصادق (عليه السلام) من زراره أو محمّد بن مسلم أو أبى بصير أو بريد بن معاويه العجلي، مع أن هؤلاء هم الأوتاد الأربعة من الفقهاء والذين قال عنهم أئمّه أهل البيت (عليهم السلام): «بهم انتشر حديث وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)» (1) مع كل ذلك كان أبو الخطاب أكثر حظوه منهم عند الإمام (عليه السلام)، وكان حمران بن أعين يروى عنه _ أى عن محمّد بن أبى زينب المقلّاص فى فتره استقامته _ مع أن حمران أحد الرواه المهمين فى القراءات العشر، وكان من علماء علم التفسير، وشهد له الإمام الصادق (عليه السلام) بالجنّه بعد وفاته، فهذا حمران على عظمته كان كذلك يستفهم من محمّد بن أبى زينب المقلّاص.

ص: ٤٢٨

١- ١) إشاره إلى ما روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «بشرّ المخبتين بالجنّه، بريد بن معاويه العجلي، وأبو بصير بن ليث البخترى المرادى، ومحمّد بن مسلم، وزراره، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه لولا- هؤلاء انقطعت آثار النبوه واندرست» الذى رواه الشيخ الطوسى فى اختيار معرفه الرجال ٣٩٨: ١.

بل إن محمّد بن أبي زينب المقلّاص قد يستظهر من بعض الروايات أنه كان نائباً خاصاً وباباً وسفيراً للإمام الصادق (عليه السلام) _ وهناك شواهد على ذلك ويمكن مراجعته الكشّى فيه _ لكن قد نستغرب أن هناك نائباً خاصاً بهذا القدر ثمّ ينحرف! ولكن ذلك لعدم تسليط الضوء على ذلك الحدث من قبل علمائنا ولم يبلوروا البحث فيه بشكل دقيق.

ورد في ترجمه المفضل بن عمر الجعفي أن الشيعة أتت الإمام الصادق (عليه السلام) وأرادت منه أن يقيم المفضل مقام ومكان ابن أبي زينب المقلّاص بعدما انحرف وتبرأت منه الشيعة وأن يقيمه باباً له، وهذا التعبير موجود في غير واحد من الروايات من قبيل ما حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبي عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فقالوا: أقم لنا رجلاً نفعز إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ فقال: «لا تحتاجون إلى ذلك متى ما أحتاج أحدكم عرج إلىّ وسمع منّي وينصرف»، فقالوا: لا بدّ، فقال: «قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا فيه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلى إلاّ الحق»، فلم يأت عليه كثير شيء حتّى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام يقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم (1)، مما يدلّ أن محمّد بن أبي زينب المقلّاص كانت له نوع من السفارة والنيابة الخاصه ولكنه لما انحرف وزلت به القدم لعن وطُرد وتُبرئ منه، وهذا يعطينا نموذجاً أنه من

الممكن أن تسقط حجيه النائب الخاص أو السفير الخاص، فإنّ النيايه الخاصه وإن كانت مقاماً عظيماً جليلاً وموقعاً حساساً جدّاً وإن الشخص الذى يتولاها لا بدّ أن يكون من أهل التقوى واليقين وأن يكون صديقاً، فمع كل ذلك الشأن لمقام النيايه والنائب إلاّ- أن ذلك لا- يعنى العصمه للنائب الخاص، كما أنه لو بحثنا ولاحظنا فى كتب علماء الإماميه لا نجد منهم من يفسر النيايه الخاصه والسفاره بأنها عصمه أو كون النائب معصوماً لا نجد ذلك فى كلماتهم مطلقاً، بل إن السفاره مع جلالها وعلو مقامها ليست إلاّ منصباً ومقاماً يشغله من يختاره الإمام ليوصل الأحكام للناس ما دام مستقيماً وما دام ضمن دائره حجيته ولا يتجاوز ولا يقفز على ضروريات الدين وشيئته والنبي والأئمه (عليهم السلام) كما تقدم ذلك فى عرض كتاب الحسين بن روح النوبختى على فقهاء قم.

وأمثال الحسين بن روح النوبختى جمله أخرى كانوا نواباً وأبواباً للأئمه (عليهم السلام) ولكن لم تعرف عنهم العصمه لا فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولا فى كلام علماء الإماميه، مع أن أولئك السفراء والنواب عظماء أمثال سلمان المحمدي وحبيب بن مظاهر الأسدى وميثم التمار ورشيد الهجرى (رض)، فمع ما لهم من المكانه والقدر الجليل والشأن العظيم وأنهم سفراء ونواب إلاّ- أنه لم تعرف عنهم العصمه أبداً، فإنّ العصمه لأهلها، فهذه العصمه لا يصلها الإنسان مهما بلغ من مقامات عظيمه إلاّ أهلها.

فإنّ هؤلاء السفراء والنواب على عظمتهم وما عندهم من علم البلايا والمنايا وعلوم الباطن والأسرار... كانوا مستضعفين فى معارفهم بالنسبه للإمام (عليه السلام) كما ورد ذلك فى شأن رشيد الهجرى من معرفته

بعلم المنايا والبلايا، والمستضعف باصطلاح الآيات والروايات هو الذى لم يصل إلى كمال الإيمان ولم تبلغ معارفه الإيمانيه ما بلغته معارف المعصوم، فهو من هذه الناحيه والجهه مستضعف يعنى لا- يدرى أين طريقه لولا- هدايه ونور المعصوم وعنايته وإشرافه وإرشاده وإن كان بالنسبه لمن دونه من عامه الناس هو كامل الإيمان ومن الأفضاذ، فإنّ مثل ميثم التمار (رض) بالنسبه لعامه الناس من الأفضاذ والكمّل وصاحب إيمان كامل إلاّ أنه بالنسبه للإمام (عليه السلام) هو مستضعف أى يحتاج لهدايه ونور وإرشاد المعصوم فى معرفه طريقه وسبيله لله تعالى.

السفير والنايب قد يفقد حجيتة:

لذا فالسفير والنايب لا بدّ أن يبقى على هدى المعصوم وضمن دائره حجيتة وإلاّ بمجرد أن يتجاوزها تسقط تلك الحجيه كما فى محمّد بن أبى زينب المقلّص.

وربما يطرأ فى المقام سؤال: إن الإمام (عليه السلام) لمّ جعل مثل هذا الشخص سفيراً ونايباً مع علمه بأنه سينحرف ويلعن ويطرد، أليس هذا خلافاً للحكمه؟

ولكن الحق أن هذا هو عين الحكمه، والقرآن يضرب لنا مثلاً فى ذلك، فإنّ بلعم بن باعورا آتاه الله تعالى بعض حروف الاسم الأعظم وليس كله وإنما هذب شعاعى منه أو خيط مما لا يحصى من خيوط النور قال تعالى: **وَآتُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١)**.

فكيف يعطى الله تعالى بعض الاسم الأعظم لمثل هذا الذى يعلم

ص: ٤٣١

(١-١) الأعراف: ١٧٥.

به أنه سينحرف، فإنّ ذلك لم يخرج عن موازين الحكمة فإنّ البارى تعالى عادل لا يجور وقد قال فى كتابه العزيز: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (١).

فإنّ الإنسان ما دام يجاهد نفسه ويتقى ويتورع ويزهد فى الدنيا ونحو ذلك، فإنّ الله تعالى يعطيه ويجازيه لقاء عمله هذا حيث روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصّيره عيوب الدنيا دائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام» (٢).

لكن الحكمة تكون على الكافر حجه وتكون للمؤمن حجه، أى الحكمة تكون بنفع المؤمن وبضرر الكافر، فإنّ الحكمة والمقام الذى يعطيه الله تعالى للإنسان الزاهد العامل فى الدنيا جزءاً زهده وعمله تلك المقامات من السفاره أو بعض حروف الاسم الأعظم لا- تعنى ضمناً ولا- حسن عاقبه له ولا سداداً له وإنما حسن العاقبه والسداد والضمان يحصل عليها من استمرار العمل المستحق لذلك لا- أنه يعمل ما يشاء وكيف يشاء لأنه ضمن السداد وحسن العاقبه بحصوله على النيايه أو السفاره أو بعض حروف الاسم الأعظم، فإنّ السداد والصراط المستقيم أمر دقيق أحدّ من السيف وأرفع من الشعر وهو أمر صعب عسير، لأنه تحت الرقابه الشديده والمتابعه المستمره وبمجرد أن يتخلى عن الضروريات والحجج الأكبر والعليا واستمسك بالحجج الدون فإنّ منظومه الحجج لديه تنهدم وتنفصم وبالتالي يقع فى الفتن والزيغ، وأما لو استقام

ص: ٤٣٢

١- (١) الزلزله: ٧ و٨.

٢- (٢) الكافى ١٢٨: ٢/ باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ح ١.

واستمسك بالعروه الوثقى _ وهى الحجج الأقوى _ فإنه ينجو ويهتدى لانتظام منظومه الحجج لديه قال تعالى: وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (١)، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاعُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢).

فإن مثل بلعم بن باعورا ومحيد بن أبى زينب المقلاص وإن كان لهم ما لهم من المنزله والحبوه والحظوه و... فإن ذلك لا يعد ضماناً ولا- صيانه لمستقبلهم ما لم يكن العمل الصحيح والتمسك بالحجج الأعلى من قبلهم والحفاظ على دائره الحججه لكل منهما، إذ ليس فى منهاج الدين والمعرفه الدينيه اعتماداً على أن هذا كان مستقيم العمل أو أنه مستجاب الدعوه ونحو ذلك، وإنما منهاج الدين منضبط ومبنى وفق مراتب الحجج وقواعدها الرقابيه.

وإن من أوتى علم المنايا والبلايا والأسرار والباطن ونحو ذلك لا- يعنى أنه أوتى الحجيه والعصمه سواءً بقى على الصلاح كسلمان المحيدى وحبيب بن مظاهر وميثم التمار وغيرهم (رض) أم انحرف عن الحق كابن أبى المقلاص وغيره، وإنما يعنى أننا نتربى على أيديهم فى حدود النظريات لكن فى إطار ومسار وصراط وجاده ضروريات وثوابت الشارع المقدس، فلنا الشرف أن نتربى ونتلمذ على ميثم التمار ورشيد وغيرهم (رض)، شرف لنا ولآبائنا وأجدادنا أن نتلمذ على أيديهم

ولا نصل إلى درجتهم، فإننا يوم القيامه مسؤولون إلى من أولينا زمام

ص: ٤٣٣

١- (١) لقمان: ٢٢.

٢- (٢) البقره: ٢٥٦.

أنفسنا ورقابنا فى ظل الضروريات فإنّ أمثال سلمان وحبيب وميثم ورشيد وغيرهم من الأكابر والأعظم عرّفوا لنا الأئمة والكتاب وسنة النبىء، فتلک الحجج الأكبر وهى ضروريات الكتاب والسنة النبوية وثواب منهاج الأئمة (عليهم السلام) لا يمكن تركها تحت ذریعه اتباع الصلحاء وأهل اليقين ورفع اليد عنها فهى الطريق اللائح والمنهاج الواضح.

فهذا نموذج جيد موجود فى النواب والسفراء الخاصين بقوا واستمروا وحافظوا على دائره حجيتهم واستمسكوا بالحجج الأعلى وترکوا الحجج الأدون فثبتت حجيتهم، وهناك نماذج أخرى كمحمد بن أبى زينب المقلاص والمغيره بن سعيد العجلي تعدوا دائره حجيتهم وترکوا الحجج الأعلى واستمسكوا بالحجج الأدون فسقطت حجيتهم ببركه القواعد الرقابيه.

كما تقدم مثل ذلك فى الفقهاء كابن أبى العزاقر وأحمد بن هلال العبرتائى.

دعوه للتوازن:

من خلال ما تقدم تتضح الصعوبه فى فهم معارف الدين، وأن الابتلاء والامتحان فى المعرفه والبصيره أعظم الامتحانات الإلهيه، وأن امتحان الله تعالى لنا فى الغرائز والشهوه والغضب ونحوها هى امتحانات سهله هيئه يسيره بالقياس إلى امتحانات البصائر والعقائد.

فإنّ منعطفات تاريخ الأمم والبشر فى الاستقامه ونحوها إنما هى بسبب الامتحانات والاختبارات والفتن فى البصيره والمعرفه، لأن مركز التحكم فى

الإنسان والمميز له عن بقيه المخلوقات وعن الملائكه أيضاً هو عقله ولُبه وذهنه

ودركه، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله (عز وجل) رَكَّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوه، ورَكَّبَ في البهائم شهوه بلا عقل، ورَكَّبَ في بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» (١).

فإنَّ النمط العام من الملائكة عنده قوة عقل فقط، أما الإنسان فإنَّ درجه القوه عنده بحيث تستطيع أن تتحكم وتجابه الشهوه والغضب، وهذا غير موجود عند الملائكة _ هذا الكلام ليس مع الملائكة المقربين، بل المقصود عموم الملائكة من غير المقربين _.

ضروره الدراسات العقائديه:

فإذن إذا كانت هذه القوه وهذه النعمه الوجوديه التى هى رأس مال خطير أعطها الله (عز وجل) للإنسان وهى قوه العقل والتى بتوسطها يمتحن الله الإنسان أعظم الامتحانات وبها امتاز عن بقية المخلوقات، فلا بد للإنسان أن لا يقف عن تحريكها وتطويرها ولا يعطلها ولا يتوهم أنه اكتفى فى مرحله ما فى دراسه المعارف وتعلمها، لأن معارف الدين بحر واسع، وإن قلنا أن التمسك بالضروريات هو تمسك بالعروه الوثقى، ولكن لكى يكون الإنسان أكثر فطنه وبصيره ونفاذاً فالحذر كل الحذر من تعطيل بحث المعارف والعقائد، إذ به نجاه الدين، فإنه مما رواه الفريقان وهو مدار ملاحم تفسيريه علميه بين العلماء أن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «العلوم كلها فضله إلا ثلاث: آيه محكمه، وسُنَّه قائمه، وفريضه عادله» (٢).

ص: ٤٣٥

١-١) ميزان الحكمه ٢٢٣: ١.

٢-٢) جاء فى تحف العقول لابن شعبه الحرانى: ٣٣٤ ما روى عن الإمام أبى عبد الله الصادق (عليه السلام)، كلامه (عليه السلام) سماه بعض الشيعة نثر الدرر: «العلم ثلاثه آيه محكمه، وفريضه عادله، وسُنَّه قائمه».

فالأية المحكمه يعنى العقائد، والسِّيئه القائمه يعنى تهذيب الأخلاق أو العلوم التى تبحث عن النفس التى تؤدى لمعرفة النفس فإنه «من عرف نفسه عرف ربه» (١) و«من ملك نفسه هدى واستقام» (٢)، فهذه العلوم التى تبحث عن النفس وأخلاقها وبالتالي عن رياضات النفس هى سُنّه قائمه، والفريضه العادله هى الفقه، أى فقه الفروع.

فإذن العلوم المهمه التى يجب على الإنسان أن يتعلمها هى ثلاثه محاور تكمل بعضها البعض ولا ينبغى التقصير والتماهل فى واحد منها، فإذا استطاع طالب العلم أن يشبع البحث والمعرفه ويدأب إلى آخر عمره فى السير فيها فإنه لن يُباغت ولن يُغدر به ولن تتكأده القيام بالمسؤوليه لأنّ وظيفه طلبه العلوم الدينيه هى المرابطه فى الثغور الخطيره الأساسيه وحمايه الدين فى تلك الثغور الثلاثه، فإذا أحكمنا المرابطه فيها لن يستطيع العدو أن يباغت حِمى الدين وذلك بأن تتكامل عندنا هذه المحاور الثلاثه من العلوم، إذ بها نحى الدين فإنّ هذه وصيه إعجازيه من النبى (صلى الله عليه و آله) فى القدره على حفظ الدين وعجز العدو طوال

تاريخ البشرى، إذن فمن الضرورى عدم حصر التكثيف فى فقه الفروع وعلم أصول الفقه على حساب المحورين الآخرين، وهذا لا يعنى عدم

ص: ٤٣٦

١- ١) فى ميزان الحكمه ١٨٧٧: ٣ «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، ٢٥٩٨/ الإمام على (عليه السلام): «من عرف نفسه عرف ربه». ٢- ٢) ورد قريب منه فى جامع أحاديث الشيعة السيد البروجردى ٢٤٨: ١٣/ أبواب جهاد النفس وتهذيبها وفضائل الأخلاق وروايلها وهى (٨٧) باباً/ ٥٩٨ (٢١) ففیه ٦٢٨٩٤ وروى الحسن بن على بن فضال عن غالب بن عثمان عن شعيب العقرقوفى عن الصادق جعفر بن محمد قال: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضى حرم الله جسده (من) على النار».

الاهتمام بعلم الفقه وأصوله ولكننا نقول لا بدّ من توازنه مع العقائد لأنهما _ كما يقول العلماء الأكابر المتقدمون _ جناحان يطير بهما العالم، فقه الفروع والفقه الأكبر وهو العقائد، بل وحتى الفقه الأوسط وهو تهذيب النفس.

فهذه مراتب ثلاث إذا أحكمها طالب العلم آية محكمه وسِيّته قائمه وفريضه عادله فإنّه سوف تكون له أجنحه يطير بها إلى ما شاء الله، وإلا فإنّ تكثيف وإشباع أحدهما على حساب الآخر يكون المسير كمسير الأعرج برجل واحده، فلا بدّ من الموازنه فى الدراسه والمواظبه على هذين الخطين المتوازيين.

الدليل الإثباتى للنيابه الخاصه:

ثبت فى محله أن الأدله الإثباتيه على أنواع ودرجات تختلف باختلاف المثبت والمدعى، فهناك الأدله العقلية، والأدله النقلية، والنقلية منها القطعى ومنها الظنى، وكل منهما ربما يكون نصاً فى المراد وربما يكون استظهاراً ظنياً وهكذا، فالنبوه مثلاً لما كانت مقاماً مهماً ومنصباً خطيراً لم يسلم الناس للنبي لمجرد الدعوى من دون دليل إثباتى يقينى، فمثلاً فى قصه إمامه طالوت لم يكن ليسلموا له لمجرد دعواه بل لا- بدّ من القطع، وقد بين ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ**

هارونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) أى شاهد ملكوتى إعجازى فإنّ التابوت فى بنى إسرائيل كان مثل عصا موسى من

ص: ٤٣٧

جبهه أنه أمر إعجازى، فإنه لا يأتى متحركاً بنفسه إلا فى سكينه، والسكينه لها شكل وصوره وريح من الجنه وله شكل جميل مثل وجه الإنسان، وهذه الصوره يشاهدها بنو إسرائيل فقط فى تعيين كل نبى نبى من أنبياء بنى إسرائيل وقد رأوه عندما قال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليهم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (١)، فكان مجيء التابوت هو الدليل القطعى عندهم على ذلك، وقد أتى ذلك التابوت فكان آية ملكه.

فقد ورد عن الرضا (عليه السلام) قال: «السكينه ريح من الجنه لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدي المسلمين والكفار فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام» (٢).

وعن أبى الحسن (عليه السلام) قال: «السكينه ريح تخرج من الجنه لها صوره كصوره الإنسان ورائحه طيبه، وهى التى أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين،

وهذه السكينه، كانت فى التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور فى بنى إسرائيل مع الأنبياء (عليهم السلام)» (٣).

ص: ٤٣٨

١-١ (١) البقره: ٢٤٧ و ٢٤٨.

٢-٢ (٢) النور المبين فى قصص الأنبياء والمرسلين: ٣٧٤؛ تفسير القمى ٨٢: ١؛ بحار الأنوار ٤٤٠: ١٣.

٣-٣ (٣) النور المبين فى قصص الأنبياء والمرسلين: ٣٧٥ و ٣٧٦؛ الكافى ٤٧٢: ٣؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٧٨.

خطوره السفاره ودليلها:

والسفاره والنيابه الخاصه لما كانت مقاماً إجرائياً خطيراً وحساساً ومهماً لأنه يرتبط بالإمام المعصوم ارتباطاً خفياً ويؤدي عنه، وإن كانت صلاحياته وحجتيه محدوده وليست مطلقه وأنه خاضع للمتابعه والمراقبه من الفقهاء والعوام من خلال أعمال القواعد الرقابيه المعرفيه وأنه خاضع لحجج أعلى وأقوى منه ومحكمه عليه، إلا أنه لخطوره وأهميه هذا الموقع لم يكن لأحد في زمن حضور الأئمه (عليهم السلام) أو في الغيبه الصغرى أن يقبل ويقر هذا المنصب لأحد إلاً بدليل قطعي نصي، أى بالدليل اليقيني دون غيره من الأدله الإثباتيه فلا اعتداد بالاستظهارات الظنيه حتى لو كانت ظنوناً معتبره ولا بالحدس، فلم يقبل شيعه أهل البيت (عليهم السلام) ولم يسلموا على طول فترات الحضور والغيبه للأئمه (عليهم السلام) بنيابه أى نائب ولا سفاره أى سفير إلاً بالدليل اليقيني دون غيره من الأدله وإن كانت في نفسها معتبره كالظنون المعتبره من الاستظهارات ونحوها ولا بالبينه ولا بغيرها من هذا المستوى من الأدله لأنها مراتب إثباتيه دانيه نازله لا تناسب المقام الخطير للسفير والنائب لأنه يؤدي عن المعصوم فلا بد من إثباته بالقطع واليقين.

كما أن ديدن شيعه أهل البيت (عليهم السلام) في إثبات نيابه أو سفاره

النواب والسفراء سواء أكان في عصر الأئمه (عليهم السلام) أم في الغيبه الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام)، إذ ليس بصحيح ما في كثير من الأذهان من أن ظاهره النيابه والسفاره في فتره الغيبه الصغرى فقط، بل إن الصحيح حسب الروايات العديده أن هناك نواباً وسفراءً خاصين للمعصومين قبل الإمام المهدي (عليه السلام)، بل إن ذلك أحد الطرق اليقنيه في إثبات سفاره

ونياحه العمريين من خلال نص الإمام الظاهر وتصريحه بكونهما سفيرين فإن العمريين حسب مفاد الدليل كانا سفيرين ونائبين خاصين للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فعهدت الشيعة وفقهاء الإمامية هذا المنصب للعمريين في زمن العسكريين وأن تنصيبهما كان بنص من الإمام الهادي (عليه السلام) ثم العسكري (عليه السلام)، فقد ورد: «اسمع لهما وأطع لهما فإنهما الثقتان المأمونان» (١) ثم في تتمه بعض النصوص الواردة في شأنهما أنهما كذلك لابن الحسن (عليه السلام) يعني الإمام المهدي (عليه السلام) والذي يعني أن العمريين لهما نفس السمة التي شغلاها وكانت لهما في عهد الإمام العسكري والهادي (عليه السلام)، فإن الشيعة والفقهاء في تلك الفترة مع ما ورد من تنصيبه (عليه السلام) على توثيق العمريين لم يكتفوا بذلك في ما بعد ما لم يصدر عن العسكري (عليه السلام) ما يثبت استمرار السفاره والنيابة لهما في عهد المهدي (عليه السلام) وإن ذلك الصادر خبر قطعي فيكونون قد أثبتوا السفاره والنيابة لهما بالأدلة القطعية، وهكذا في عصر الإمام الصادق

(عليه السلام)، فهناك روايات ونصوص تشير إلى ثبوت مقام وسمه السفاره والنيابة الخاصه لمثل جابر بن يزيد الجعفي، وكما هو الحال عند أصحاب الإمام الصادق بعد ثبوت انحراف محمّد بن أبي زينب المقلاص، فإنهم جاؤوا وطلبوا من الإمام (عليه السلام) تنصيب المفضل بن عمر الجعفي مما يعني أنهم لا يكتفون بالظنون في منصب السفاره والنيابة، بل

ص: ٤٤٠

١ - ١) جاء في غيبة الشيخ الطوسي في الفصل الذي جعله للكلام في ولاده صاحب الزمان (عليه السلام) وإثباتها بالدليل والأخبار ص ٢٢٩: وأخبرني أبو علي أنه سأله أبا محمّد (عليه السلام) عن مثل ذلك فقال له: «العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قالا فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك، قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى...

لا بدّ من الأدلّة اليقينية القطعية والتي هي التصريح المباشر من قبل الإمام (عليه السلام) في مثل تنصيب المفضل بن عمر الجعفي، فإنّ تلك المراتب الأخرى من الأدلّة كالظهورات والظنون المعتمده والشاهدين العدلين ونحوها إنما لها مجالها ومساحتها الإثباتية الخاصة، أما مثل إمامه أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أيّ أصل من أصول الدين أو قواعد الفقه الأصولية... ونيابه النواب لا يمكن إثباتها بهذا النحو من الأدلّة الظنية ونحوها بل لا بدّ من اليقين، نعم هذه تنفع في إثبات أمور أخرى أهون من الإمام والنيابه كالقواعد الفقهية الفرعية وتفاصيل أمور الفقه ونحوها وإلا لو عكسنا وأثبتنا الإمامه والنيابه بالأدلّة الظنية أو أثبتنا الفروع الفقهية بالأدلّة القطعية لكان ذلك من الخلط في الحجج ومنظومه الحجج.

وهو نظير المستندات في الدوائر الحكوميه فإنّ كل وزاره لها مستندات معينه خاصه بها، فلوزاره الصحه مستندات معينه وللجامعه والتعليم مستندات معينه وللحوزه العلميه مستندات معينه، فالمستندات أنواع وأنماط وأصناف مختلفه ودرجات متفاوتة، فليس المستند مطلقاً في كل مكان وفي كل حال يكون مؤدياً ومفيداً للغرض، فالروايه الظنيه حتّى لو كان الظن معتبراً لا يمكن إثبات نيابه نائب خاص أو سفير لخطوره هذا المقام.

انضباط قنوات الحجبه للغيب:

وحفاظاً على تراتبيه الحجج، فإنّ الحجج وتراتبيتها لها نظام خاص فأى مخالفه له ونقضه يوقع في الزيغ، كما لو فرضنا أن شخصاً رأى ملكاً حتّى لو كان من السماء الأولى ونقل له بعض الأوامر فهل ذلك يكون حججه على ذلك الشخص دون أن يكون عن طريق نبي أو رسول؟

بلا- إشكال ليس حجه عليه ولا- يجوز لذلك الشخص أن يعمل بتلك الأوامر بدعوى أنه سمعها من ذلك الملك لأن ذلك الملك ليس حجه علينا إلا بتوسط النبي أو الرسول أو وصى أو... أما الملك فلم يكن منصوباً من الله تعالى ليكون حجه علينا بل إن الله تعالى نصب علينا حججاً يجب علينا اتباعها كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى بن أبي طالب (عليه السلام) لذا _ وكما بينا ذلك سابقاً _ لا يمكن لنا اتباع النبي موسى أو عيسى (عليه السلام) إلا فيما أقره النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فى دائره الحجيه لا الشرائع (1).

فإنّ الدين ومراتب الحجج ليس العوبه فى الأيدي، أى سواء أكان من البشر أم من الملائكه كمالك خازن النيران أو رضوان خازن الجنّه وحتّى عزرائيل (عليه السلام) بل وحتّى جبرائيل (عليه السلام) فلو أدلوا لنا بشيء ليس لنا الأخذ منهم مطلقاً، لأن الله تعالى لم ينصبهم حججاً علينا وإنما جبرائيل (عليه السلام) نصبه الله لإنباء الأنبياء والرسل ونحن لسنا بأنبياء يقيناً

ص: ٤٤٢

١ - ١) فإنّ لكل رسول شريعه كما بين المصنّف ذلك ضمن عنوان (الدين والشريعه والمنهاج) وبالتالى فإنّ كل شريعه فى نفسها وبلحاظ مشرعها حجه ولا تحتاج أو تتوقف على اقرار أى نبي أو رسول آخر، كما أن لكل شريعه ثوابت عامه مشتركه مع الشرائع الأخرى وهى فرائض الدين وثوابت المله وهذه تحتاج لاقرار من الرسول اللاحق لتكون حجه على أمه الرسول اللاحق، وهذا الاقرار من الرسول اللاحق دليل إثباتى لتلك الفرائض والثوابت وإلا فإنّها ثبوتاً واحده وتقدم للمصنّف أنها ضروريات وخارجة عن دائره حجيه حتّى الرسل والأنبياء لذا فالرسول محمد له أن يقر لأمتّه ما هو فى دائره الحجج أى ضروريات وفرائض الله فضلاً عن بديهيات العقل، أما ما فى دائره الشريعه وكل الشرائع السابقه لشريعه محمد ليس له إثباتها وإلا انتقض الغرض من بعثته لأنه بعث بشريعه جديده وإثبات شيء من الشرائع السابقه ينافى ذلك.

فليست الملائكة حججاً علينا وإنما نحن نتلقى من الرسول الأعظم إذ أمرنا باتباعه (صلى الله عليه وآله) واتباع الأئمة (عليهم السلام) فهم جهاز الله لدخول الأبواب السماوية والرقى والتقرب لله تعالى أما من غيرهم فليس لنا الدخول بها على الساحة الإلهية ولا- يصح التقرب، وهذا ضمن النظام الإلهي وتراتبية الحجج، نظير النظام الإداري الوضعي فليس للموظف أن يأخذ الأوامر والتوجيهات إلا- من خلال مسؤوله المباشر، وما ذلك إلا لحفظ المقامات والسيطره على الأجهزة العاملة بشكل مرتب ومنظم، لذلك نهى رسول الله بشده كثيراً من الصحابه عندما أرادوا التمسك ببعض ما روى عن النبي عيسى أو موسى (عليه السلام) فإنه ليس لهم إلا اتباع سيد الرسل (صلى الله عليه وآله) أو المقदार الذى أقره سيد الرسل من باقى الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كما روى أبو عبيد فى (غريب الحديث) (١): فى حديث النبي (صلى الله عليه وآله) حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث اليهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضها؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتم بها بيضاء نقيه، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعى»، وروى

الطبرسى فى (الاحتجاج) (٢) عن الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال _ فى احتجاجه على يهودى _ : «يا يهودى إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى وبنبوتى لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوه، يا يهودى ومن ذريتى (المهدى) إذا خرج نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه»، وإلا فإن الأمر ليس فوضى وإنما فيه تنظيم لأنه جهاز

ص: ٤٤٣

١- ١) ج ٣: ص ٢٨، عنه بحار الأنوار ٩٩: ٢.

٢- ٢) ج ١: ص ١٠٧.

إلهى كامل, وهذا من أشرف ما أنعم الله به علينا وهو أتباع أفضل خلائق الله تعالى وسيد الرسل على الاطلاق وأهل بيته الطاهرين، فنحن أمرنا باتباع والافتداء والاهتداء بأفضل الخليقه وهو شرف لنا, فلا يتاه بنا ونضيع هذه النعمه العظيمه ونتخبط فى الحجج ونتبع عناوين أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

فشرف لنا أنا خلقنا فى مثل هذا الزمان وهو زمان سيد الرسل (صلى الله عليه و آله) وأوصيائه النجباء ولم نخلق فى أزمنه أخرى لنتبع بقيه الرسل فى شرائعهم فإننا امرنا باتباع من أمر جبرائيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل ومالك وكل الكون بل وحتى باقى الأنبياء والرسل باتباعهم وطاعتهم وولايتهم ووصايتهم... فلا نفع فى الزيغ والتهيه ورفع اليد عن تلك الحجج العظيمه ونتبع زعيق كل زاعق ونعيق كل ناعق ونطبل لكل رايه ترفع.. فإننا عندنا ضروريات وبديهيّات لا يشوبها شىء وعندنا منهج لائح وأعلام واضحه من مذهب أهل البيت (عليهم السلام), فلا نستبدل ما هو خير بما هو دون وما هو عالى بما هو سفلى.

فلنكن على بصيره وهدايه ولا نتبع هلوسات وظنون وأدله حدسيه

لإثبات أدعاء النيابة الخاصه والسفاره, وبالتالى نتعامل معه على أنه مرتبط بالأئمه الصالحين (عليهم السلام).

فإنّ أهل البيت (عليهم السلام) نجوم وأسرار الخلق فلا يمكن أن نصدق من يدعى الالتصاق بهم إلاّ بأدله قطعيه يقينيّه وبراهين بينه محكمه. بل إن الشيعه مع من ثبتت سفارتهم ونيابتهم بالأدله القطعيه اليقينيّه لم يكتفوا بذلك, بل راحوا يراقبونهم ويحكمون القواعد الرقابيه عليهم حتّى مماتهم لأن ذلك المقام المعطى لهم ليس بالأمر السهل والهيّن بل أمر

خطير وهم ليسوا بمعصومين ولا مسددين، فكم هو عظيم وعى الشيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث أدركوا أن أولئك السفراء ليسوا بمعصومين فلا بدّ أن تثبت سفارتهم بالأدلة القطعية كما لا بدّ من استمرار المراقبة لهم فلا يكفي الدليل القطعي. بل لا بدّ من إخضاعهم للمراقبة والمتابعه ووضعهم تحت مجهر مراقبة الضروريات والحجج الأكبر، فكم الأمر عسير وخطير ودقيق فلا نتساهل نحن فيه ونخلط الأمور بعضها ببعض الآخر ولا نزيلها عن مواضعها ولنتذكر دائماً مثال الخضر (عليه السلام). مع موسى (عليه السلام) فمع ما له من المكانه كان موسى (عليه السلام) يعمل القواعد الرقابيه عليه.

إذاً أولاً: النيابة الخاصه لا تثبت إلاً بدليل قطعي، وثانياً: مع أن صلاحيات النائب محدوده وليست مطلقه، وثالثاً: أن القواعد الرقابيه وهى ضروريات الدين جاريه ومطبقه عليه على طول المسار.

فهذه ثلاث قواعد مهمه فى دائره النيابة الخاصه والسفاره لا بدّ من الالتفات إليها وتمييزها بشكل دقيق؛ لأن أهميتها مترشحه من أهميه

منصب النائب والسفير الخاص.

شبهات عنكبوتيه واهيه:

من هنا يتضح بطلان ما يستدل به البعض على كونه ابناً للإمام (عليه السلام) وأن له حجيّه الوساطه بينه وبين الناس لأنه يعتمد فى إثبات ذلك على روايه يفهم منها فهماً خلاف ظاهرها وهى روايه الاصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث ورد عن الاصبغ بن نباته، قال: أتيت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكث فى الأرض، فقلت:

ص: ٤٤٥

يا أمير المؤمنين رأيتك تنكث في الأرض أرغبه منك فيها؟ فقال: «والله ما رغبت فيها ولكن فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من ولدى» (١).

فيستدل البعض على أنه ابن الإمام المهدي (عليه السلام) بناءً على أن المتكلم هو أمير المؤمنين (عليه السلام) والمولود الحادى عشر هو المهدي (عليه السلام) وقد قال: «يكون من ظهر الحادى عشر» أى أن ذلك المولود يولد من الإمام المهدي ويفكر فيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبعبارة أخرى كأن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول أولادى أحد عشر ومن ظهر الحادى عشر يكون مولوداً أفكر فيه، وبالتالي يكون مجموع الأئمة (عليهم السلام) ثلاثة عشر، أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر والمولود من ظهر الحادى عشر.

وهذا التفسير مبنى على جعل لفظ (الحادى عشر) تمييزاً لقوله (ولدى) وهو خطأ لأن قوله: (من ولدى) صفة لقوله: (الحادى عشر).

فيكون المعنى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (الحادى عشر من الأئمة من ولدى يكون من ظهره مولود أفكر فيه) والحادى عشر منهم هو الحسن العسكرى (عليه السلام) ومن ظهره يكون المهدي (عليه السلام).

مثلاً لو نذكر نحن العبارة بشكل آخر للتوضيح: (فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من أئمة أهل البيت شديد السمرة ويلقب بالعسكرى وهو من ولدى) فنذكر مجموع صفات، ولكن الأمير (عليه السلام) ذكر صفة واحده للحادى عشر وهو كونه من ولده.

وبالتالى فالتمييز لقوله: (الحادى عشر) هو اللفظ المقدر المعهود

ص: ٤٤٤

وهو (من الأئمة) وليس هو اللفظ المذكور (من ولدى) بل قوله: (من ولدى) صفه ل- (الحادى عشر), أى الحادى عشر من الأئمة والذى هو الحسن العسكرى موصوف بأنه من ولدى, فمن ظهر الحسن العسكرى يكون المولود وهو المهدي (عليه السلام), فالإمام على (عليه السلام) يفكر فى المهدي نفسه وليس فى ابن المهدي كما يدعى هذا البعض.

فإن لفظ الحادى عشر عندما يرد فى الروايات كأنه اصطلاح خاص بالترتيب لخلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام). فكيف يحتج بإيهام فى الدلاله على أمر لا بد أن يكون يقينياً لا وهمياً, ثم كيف يعتمد على روايه آحاد واحده فى مسأله لا بد فيها من اليقين, وثالثاً من أين الدليل اليقيني على أصل الولاده فى الخارج المحسوس. فكل هذه الأمور وهن فى وهن واهى.

فى عصر المهديين الاثنى عشر:

وهناك مجموعه من الروايات بمفاد واحد تقريباً وهو «منا بعد

القائم أحد عشر مهدياً» (١).

وفى روايه أبى حمزه أنه قال: «يا أبا حمزه، إن منا بعد القائم (عليه السلام) إحدى عشر مهدياً من ولد الحسين»، وروايه كمال الدين (ج ٢/ ص ٣٥٨), وبعض الأدعيه كذلك «... اللهم صل على ولاء عهده والأئمة من بعده...» (٢) وغيرها بنفس المضمون.

ص: ٤٤٧

١- ١) فى الغيبه للشيخ الطوسى: ٤٧٨/ الفصل ٨ فصل ذكر بعض منازل و صفاته وسيرته/ ح ٥٠٤ عن أبى حمزه عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل أنه قال: «يا أبا حمزه إن منا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين (عليه السلام)».

٢- ٢) مصباح المتهدج: ٤١١.

ولكن هذه الروايات صاغ مفادها البعض، بل حبك الإيهام في مفادها وأدعى أنه من أبناء المهدي (عليه السلام) وهو مهدي أيضاً.

مع أن هذه الروايات لم تذكر نعت الإمام لما بعد الإمام الثاني عشر، وإنما النعت الذي ذكرته لهم أنهم مهديون وفي بعضها نفى أنهم أئمة، كما في الرواية عن الصادق (عليه السلام) وهو يفسر كلام الباقر (عليه السلام) أني سمعت من أبي الباقر (عليه السلام) قال: «يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً» وهذا كلام الباقر، فقال الصادق: «إنما قال أبي اثنا عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا»، وفي روايه أبي بصير: «وإنما هم مهديون» (١) فلم تصفهم مجموع هذه الروايات أنهم رواد الأرض وقطب القيادة فيها وإنما غايه ما تدل عليه أنها تعزى وتسند إليهم جملة من المسؤوليات ما بعد وفاه الإمام المهدي (عليه السلام) أي في عصر ومرحله

الرجعه لا- مرحله الظهور فضلاً عن مرحله ما قبل الظهور مع أن ما صرح في روايه أبي بصير بأنهم يدعون الناس إلى موالاه ومعرفه حقنا. أي إن القيادة ليست بأيديهم ومركزيه الإمامه هي للاثني عشر في عصر الرجعه بعد عصر دوله الإمام المهدي (عليه السلام).

ومن ثم لا تعارض هذه الروايات ما ورد في روايات الرجعه أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) يرجعان قبل استشهاد الإمام المهدي وأن الذي يجهز ويدفن الإمام المهدي هو جدّه الحسين (٢).

ص: ٤٤٨

١-١) مختصر بصائر الدرجات للحسين بن سليمان الحلبي: ٢١١/ تحت عنوان في وجوب التقيه في زمن حكام الجور.

٢-٢) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) ٣٢٩: ٣/ الرقم ٨٧٤ و ٨٧٥ تحت عنوان رجعه الحسين وأمير المؤمنين .

(عليه السلام) ويدفنه في موضع قبره في كربلاء, أى إن ما بعد الإمام المهدي لا تخلو الأرض من الأئمة الاثني عشر, بل يبدأون بالعودة والرجعه ودوله الرجعه غايه الأمر أن هؤلاء المهديين الاثني عشر سواء أكانوا من ولد الإمام الثاني عشر أم من ولد الحسين تكون لهم أدوار ومهام تحت قياده وإمامه وفي ظل قياده الأئمة الاثني عشر وليست لهم مناصب الإمامه والقياده وما هو من هذا القبيل.

وأما ما في روايه مختصر البصائر فلا تدل على خلو الأرض من الأئمة الاثني عشر بعد الإمام الثاني عشر بسنه وقانون الرجعه, غايه الأمر أن المهديين الاثني عشر من ولد الإمام الثاني عشر سيكون لهم دور الأعوان والأنصار في دوله الأئمة في الرجعه, لاسيما بعد تواتر أن الأرض لا تخلو من الحججه الإمام, وإلا لساخت الأرض (١), وهى نفس

عموم القاعده المستفاده من قوله تعالى: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٢).**

إذا هؤلاء ليسوا بأئمة, فالأرض لا تخلو من إمام أو خليفه لله في الأرض, إذن هم في دوله الرجعه.

وأما ما في روايه غيبه الشيخ الطوسى عن النبي (صلى الله عليه و آله) من قوله: «ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً, فإذا حضرته الوفاه فليسلمها إلى ابنه أول المقربين, له ثلاث أسامي» (٣), فهى مضافاً إلى ضعف السند وروايه آحاد واحده ظنيه لا يصح الاعتماد عليها بمفردها فى مسأله لا بدّ فيها من رقى الدليل إلى درجه اليقين أنه ليس فيها تصريح بأنه يسلم الإمامه وقياده

ص: ٤٤٩

١-١) أنظر: الكافي ١٧٨: ١ و ١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو من حججه/ ح ١ - ١٣.

٢-٢) البقره: ٣٠.

٣-٣) غيبه الطوسى: ١٥١.

الأرض إلى ابنه كيف وقد صرح في الروايات الأخرى بأنهم ليسوا بأئمة فكيف يسلم الإمامه إليهم، بل في روايات الرجعه أن الذى يلى تجهيز الإمام الثانى عشر هو الحسين، فلا بد أن يكون الضمير فى (ليسلمها) عائداً إلى بعض المسؤوليات وبعض الوظائف التى يقوم بها أولاده فى ظل إمامته أى عود الضمير إلى الصحيفه التى ذكرت فى صدر الروايه.

فلا بد أن يكون الضمير عائداً إلى المهمه والمسؤوليه المعينه لا إلى الإمامه، مضافاً إلى أن كلمه (بعده أو بعدهم) تدلُّ بصراحه على أنه لا- دور لهؤلاء قبل ظهور الإمام الثانى عشر ولا فى أثناء دولته وإنما دورهم سيكون فى عصر الرجعه بعد دوله الظهور واستشهاد الإمام (عليه السلام).

فمفاد الروايات يقطع الطريق أمام ادعاء النيابة الخاصه قبل الظهور كما أن هذه الروايات لا تعطى لهؤلاء المهديين نعت الحجه ولا نعت

النيابه الخاصه ولا نعت السفاره ولا نعت الإمامه وإنما غايه ما تدل عليه هو أن لهم بعض المسؤوليات.

مع أن كلمه (من بعدهم) أيضاً بمعنى دون مقام الأئمه الاثنى عشر أى لهم مسؤوليات فى ظل إمامه الأئمه الاثنى عشر (عليهم السلام).

وأما ما رواه السيد بن طاووس فى المصباح عن الرضا فى أعمال يوم الجمعة عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا (عليه السلام) دعاء وفى ذيله: «اللهم صل على ولاة عهده والأئمه من بعده» (١) فالتعبير بالأئمه من بعده لا تأبى الانطباق على رجوع الأئمه (عليهم السلام) لاسيما وأنه قد غاير (عليه السلام) بين عنوان الولاة من بعده والأئمه من بعده مما يدل على أن له ولاة عهد

ص: ٤٥٠

ليسوا بأئمة هو لا يأبى الانطباق على المهديين الاثنى عشر وهم غيره مع تنصيب الروايه على وجود أئمة من بعده يغيرون ولاه عهده من بعده دلالة على تغاير الأئمة بعد المهدي (عليه السلام) تغايرهم مع المهديين الاثنى عشر، والحاصل فإنه لا دلالة في الدعاء على أن هناك أئمة من بعده يغيرون الأئمة الاثنى عشر لاسيما وأن كون عده الأئمة الاثنى عشر من ضروريات المعتقد عند أهل البيت بل في روايات المسلمين أن خلفاء النبي اثنا عشر والمهم الالتفات إلى إمامه الاثنى عشر ثبتت بنصوص الآيات القرآنيه وتواتر الأحاديث فكيف يقف في مصافها ودرجتها روايات آحاد لم تصح سنداً فضلاً عن أن تبلغ اليقين مع أن دلالتها أجنبيه عن مدعى أدعاء السفاره والنيابه قبل الظهور؟

ص: ٤٥١

أدله انقطاع النيايه الخاصه والسفاره:

الدليل الأول:

إن انقطاع النيايه بات من الأمور الواضحه عند علماء الإماميه وعامه شيعه وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بل أصبحت بديهيه وضروريه عندهم بل حتى لدى أهل السنّه، فإنّ فرّق أهل السنّه _ فى نظرهم إلى أتباع مدرسه أهل البيت _ بات واضحاً لديهم علماءً وعواماً أن من معتقدات وضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو انقطاع النيايه الخاصه والسفاره، بمعنى انقطاع الاتصال بالإمام، ومن ثمّ بناءً على ذلك بدءوا بسلسله من الشبهات والاعتراضات والإشكالات على أصل عقيدته الإماميه _ وهذه الإشكالات والاعتراضات قد أجيب عنها تفصيلاً فى محلها وستعرض لاحقاً لجمله منها إن شاء الله _.

فإنّ الأمر عندهم بلغ مرتبه من الوضوح والبدايه والضروره بحيث أن نفس العامه على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم نسبوا لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) مسأله انقطاع النيايه وأنها لديهم كمسأله عقيدته الغيبه للإمام (عليه السلام) فى الوضوح والبدايه، فكما أن عقيدته غيبه الإمام ضروريه كذلك انقطاع النيايه الخاصه وبالتالى فإنّ تفسير عقيدته الغيبه الكبرى بانقطاع النيايه الخاصه والسفاره أمران مقرونان إلى بعضهما البعض، ومن ثمّ جعلوا هذا الاعتقاد عند الإماميه أمراً مفروغاً عنه بل بديهياً ضرورياً وراحوا يعترضون ويشكلون عليهم على أساسه.

بل إن أبرز إشكالاتهم حول ذلك أن الإمام المهدي (عليه السلام) إذا كان غائباً وليس له نوابٌ خاصون ولا سفراء فهو بالتالي منقطع عن المسلمين أى لا اتصال بينه وبين أتباعه وشيعته ومن يأتى به؟ وهذا الإشكال المذكور فى أغلب كتب العامه الكلاميه حيث يشكلون به على أصل الإمامه, فكيف يكون إماماً ولا اتصال له بقاعدته وكيف يدبر أمور الأُمّه؟ فأى كتاب كلامى من كتب العامه عندما يبحث عن الإمامه ويناقش فيها أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدتهم فى الإمامه فإنَّ أوّل نقاش يطرحه هو هذا الإشكال المبتنى على انقطاع السفاره والنيابه عند الإماميه فيفهم من خلال ذلك أنَّ انقطاع السفاره عند الإماميه عقيدته وضروره كعقيدته أصل الإمامه وكعقيدته الرجعه... وإلاّ لم يوردوا إشكالهم لو لم يكن انقطاع السفاره من أوليات وبديهيات وضروريات مذهب أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الدليل الثانى:

التوقيع المبارك المروى بتوسط النائب الرابع على بن محمّد السمرى حيث ذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه فى (ص ٣٦٥) عند ذكره أبى الحسن على بن محمّد السمرى فقال (تحت الرقم ٣٦٥) وأخبرنا جماعه عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه قال: حدّثنى أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب, قال: كنت بمدينة السلام فى السنه التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن محمّد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين سته أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم

ص: ٤٥٦

مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبه التامه فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوه القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهده ألا فمن ادعى المشاهده قبل خروج السفينانى والصيحه فهو كذاب مفتر ولا حول ولا- قوه إلا- بالله العلى العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يوجد بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه (١).

حيث أنه خطاب للنائب الرابع أن يجمع أمره ويبلغ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنه ميت بعد الستة أيام _ وهذا فى نفسه إعجاز بأن يحدد الإمام موت السمرى بالتاريخ الصحيح _ وأن لا يوصى إلى أحد من بعده وأن الغيبه الكبرى أو الغيبه التامه قد وقعت وأن مدعى المشاهده فهو مفتر كذاب.

والمقصود بالمشاهده بقرينه وقوعها فى سياق وفاه النائب الرابع والأمر له بعدم الوصيه لأحد هو إبراز المشاهده لافهام الناس بأنه على اتصال وارتباط بالإمام (عليه السلام) وأن له مقام الوساطه معه.

ولا- يشترط أن تكون المشاهده المنهى عنها مزعومه ومعنونه بالسفاره أو النيايه كما سى-أتى بيانه تحت عنوان (عناوين دعوى السفاره)، وكذلك لا- مانع من أصل المشاهده من دون إبراز دعوى الاتصال والارتباط أى دعوى منصب ومقام, كما سيأتى تحت عنوان (التشرف برؤيه الإمام المهدي (عليه السلام) لا يعنى الحجيه).

ص: ٤٥٧

فمضمون التوقيع أن الإمام (عليه السلام) ينفي دعوى السفاره والنيابه والارتباط والوساطه بعد السمرى (رض) فإنّ هذا المنصب والمقام بابه مسدود حتى ظهور الإمام (عليه السلام) وإتمام البيعه له, وإن كان الإمام المهدي (عليه السلام) فى التوقيع الشريف قد ذكر حدّاً وغايه لوقت الصيحه, ولكن بحسب الروايات المستفيضه والمتواتره التى تبيّن شؤون الظهور ذكرت بأنّ انقطاع النياه الخاصه يمتد حتى بيعه الإمام (عليه السلام) بين الركن والمقام وأول من يبايع هو جبرائيل (عليه السلام), فإنّ هناك صيحه أخرى لجبرائيل بعد الظهور يوم البيعه, فعن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «ينادى باسم القائم (عليه السلام) فيؤتى وهو خلف المقام, فيقال له: قد نودى باسمك فما تنتظر؟ ثم يؤخذ بيده فيبايع». [قال] وقال لى زراره: الحمد لله قد كُنّا نسمع أن القائم (عليه السلام) يبايع مستكرها فلم نكن نعلم وجه استكراهه, فعلمنا أنه استكراه لا إثم فيه (1). ثم بعد جبرائيل يبايعه الثلاثمائة وثلاثه عشر من أنصاره.

فإنّ الاستفادة من الروايات أن النياه الخاصه والسفاره عن المهدي (عليه السلام) لا يشغلها أحد ولا تعطى لأحد حتى تنعقد البيعه للإمام (عليه السلام) عند الكعبه وليس أمد ومنتهى ذلك مجرد الصيحه, أو للصيحه, ولكن المراد بها حينئذٍ التى تقع بعد الظهور, وهذا لأجل التوفيق بين الروايات, وحتى الروايات الوارده فى الخراسانى أو الحسنى أو اليمانى أو شعيب بن صالح أو النفس الزكيه أو... فإنّها لا تعطيههم أى تمثيل رسمى أو نياه أو أى صفه أخرى بل تنفى ذلك عنهم بل تنفى أى صفه وتمثيل رسمى حتى عن الثلاثمائة والثلاثه عشر حتى تعقد وتم البيعه للإمام (عليه السلام)

ص: ٤٥٨

ويتشكل الجهاز الرسمي والحكومي للإمام (عليه السلام)، بشكل معلن فمن ثمَّ تبدأ الأدوار أى بعد البيعه.

ضابطه صارمه علامه لعصر الظهور:

فإن الروايات الواردة جعلت الصيحه أكبر علامه حتميه لسنه الظهور ولنجوم أصحاب رايات سنه الظهور، فلا- يمكن مجيء السفيناني بدون الصيحه لأنها من المحتوم وإن كان يمكن أن تقع الصيحه بدون السفيناني كما لا يمكن أن يجيء اليماني بدون السفيناني وإن كان يمكن مجيء السفيناني بدون اليماني والخراساني، فأشدّ العلامات حتمية هي الصيحه، ثم السفيناني، وهذه العلامه كاشفه عن دجل أدياء هذه الأسماء مع عدم وقوعها.

أما السند للتوقيع المبارك فإنه بات مُسلماً لدى الإماميه، والراوى الأخير الحسن بن أحمد المكتب فهو قمى من مشايخ الصدوق، وقد ذكر فى ترجمته أنه من فقهاء قم الكبار بغض النظر عن ترحم الصدوق عليه (1) مع أن الصدوق الذى هو من أكابر زعماء الطائفة لا يتخطى ديدن علماء الإماميه من عدم الاعتماد على روايه التوقيع عن النواب الأربعة إلا بواسطة الوكلاء والأبواب الذين ذكرهم الشيخ الطوسى فى الغيبه أنهم أبواب ووكلاء للنواب الأربعة، وهذا التشدد من علماء الإماميه فى توقيعات الناحيه نظراً لخطورتها وحساسيه الوضعيه الأمنيّه بخلاف الحال فى الأئمه (عليهم السلام) آباءه.

ص: ٤٥٩

١- ١) وذلك من أمارات الصحه والوثاقه، راجع: معجم رجال الحديث للسيد الخوئى ٢٧٢: ٥/ رقم ٢٧٢٦.

الدليل الثالث:

إن أصل معنى عدم الظهور، أى الغيبه الكبرى يتضمن عدم البروز وعدم التمثيل الرسمى عن الإمام (عليه السلام) حتى عقد البيعه، أما قبل البيعه فإنّ نفس عنوان الغيبه ينفى ذلك، ومعنى الظهور أن جهاز الإمام يظهر ويبرز بشكل رسمى بالنيابه أو الوكاله أو السفاره ونحو ذلك، فإذن الدليل الثالث هو أن مُدعى النياه الخاصه أو السفاره ينافى ضروره عنوان الظهور فإنّ ظهور دولته وجهازها الرسمى ليس إلاّ بعد عقد البيعه.

الدليل الرابع:

إن أدلّه الظهور والروايات التى ترسم لنا سنين الظهور وأيام الظهور كلها مفادها وبيانها أنه لا صفه رسميه ولا تمثيل رسمى ولا تنويب ولا توكيل من الإمام (عليه السلام) لأى من الأسماء اللامعه التى ستظهر وتقود التيارات فى الظهور فليس هناك أى تمثيل رسمى لشخصيات الظهور فضلاً عن غيرها حتى تعقد البيعه.

الدليل الخامس:

إن مقتضى وقوع غيبتين له (عليه السلام) أحدهما صغرى والأخرى كبرى أن بين الغيبتين فرق وأن الكبرى أشدّ فى الخفاء والانقطاع عنه ولا يتم الفرق وأشدّيه الخفاء إلاّ بانقطاع النواب والسفراء.

ويشير لهذا الدليل النعمانى فى الغيبه والصدوق والطوسى والكلينى (رض) ويذكرها أيضاً جميع محدّثى ورؤساء علماء الإماميه حيث يذكرون روايات متواتره مرويه من زمن النبى (صلى الله عليه وآله) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلها بأسانيد متصله إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وإلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وإلى الزهراء ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ زين العابدين ثمّ

الباقر ثم الصادق ثم الكاظم... وهكذا بمعنى أن طرق الرواه إلى الصادق مثلاً دون أن يقع فيها موسى بن جعفر (عليه السلام) أو إلى السجاد دون أن يقع فيها الباقر والصادق (عليه السلام) وهكذا... وحتى عن نفس الإمام المهدي (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغرى يعنى مرويه عن أربعة عشر معصوماً بطرق متعددة بل عشرات الطرق فهو تواتر بلا شك.

حاصل هذا التواتر أن للإمام المهدي (عليه السلام) غيبتين غيبه صغرى وغيبه كبرى, وأن التفريق أو الفارق بينهما أن الغيبه الصغرى يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمي للإمام (عليه السلام) من خلال السفراء والنواب الخاصين وأن الغيبه الكبرى يكون الخفاء فيها تاماً, أى الانقطاع تاماً وقد أشير لذلك في التوقيع الشريف حيث قال: «فقد وقعت الغيبه التامه» كما أن انتهاء الغيبه الصغرى يكون بانقطاع السفاره والنيابه الخاصه فى حين انتهاء الغيبه الكبرى يكون بالبيعه للإمام (عليه السلام) وظهوره وإقامه دولته وبروز جهاز إدارته.

الدليل السادس:

إجماع الفقهاء على انقطاع النيابة حتى أنهم أجمعوا على كفر وضلال مدعى السفاره والنيابه كما تأتى الإشاره لذلك تحت عنوان كفر مدعى السفاره.

إذاً الأدلّه متوافره ومتكاثره وقد أشرنا إلى العديد من ألوانها وأنواعها فى الجزء الأول من كتاب (دعوى السفاره) وكتاب (فقه علائم الظهور) وفى كتب أخرى, وهناك أدلّه أخرى لا- نريد أن نستوعبها كلها هنا لضيق المقام, فيمكن مراجعه الكثير من المصادر فى ذلك ككتب الحديث والروايات كالغيبه للطوسى أو النعمانى وكتاب الفرق للنوبختى

ص: ٤٦١

وكتب سعد بن عبد الله الأشعري وغيرها، فإنّ دلالات كثير من الروايات المتواتره على انقطاع النيابة الخاصه والسفاره فى الغيبه الكبرى بل كما ذكرنا بات انقطاع النيابة عند الإماميه ليس فقط ضروره فقهيه وإنما ضروره عقائديه، وذلك لأهميه وخطوره مقام حجيه النيابة الخاصه والسفاره حيث ينطوى على منع ومصدر للتشريع وللولاية، فادعاء هكذا منصب مرتبط بأصل الاعتقاد بالإمام المعصوم.

منابع الشريعه:

بعد أن ثبت أن الله تعالى رسم وحدد للخلق طريق التكامل والتقرب إليه وهو العباده، فإنّه تعالى حدد مع ذلك مصدر تحديد تلك العباده المطلوبه، فليس صحيحاً بل قد يعد من الكفر أن يحدد الشخص طرقاً للعباده غير الطرق التى بينها الشارع، قال الصادق (عليه السلام): «من خالف كتاب الله وسُنَّته محمّداً (صلى الله عليه وآله) فقد كفر» (١) وعليه فلا بدّ لعباد الله أن يتعبّدوا بما يريد الله لا بما يريد العبد، ففى الحديث: «إنما اريد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد» (٢) ولذا نجد الشارع المقدس عيّن منابع خاصه منحصره لأخذ التشريعات وما عدا ذلك باطل، وسميت بمنابع الشريعه وهى:

١ _ القرآن الكريم.

٢ _ السُنَّه المطهره من أقوال وأفعال الرسول الأَعْظَم (صلى الله عليه وآله) وأقوال وأفعال وتقريرات الأئمّه المعصومين (عليهم السلام).

ص: ٤٦٢

١- ١) فى الكافى ٧٠: ١/ باب الأخذ بالسُنَّه وشواهد الكتاب.

٢- ٢) بحار الأنوار ١٤١: ١١.

وهذا ثابت بحديث الثقلين المروى عند العامة والخاصه بطرق مستفيضه ومتواتره, حيث ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله (عزوجل) وعترتي أهل بيتي ألا وهما الخليفةتان من بعدى ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (١).

وفي خطبه لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «يا أيها الناس إنه بلغني ما بلغني وإني أرأى أني قد اقترب أجلي وكأني بكم وقد جهلتم أمرى وإني تارك فيكم ما تركه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتاب الله وعترتي وهي عتره الهادي...» (٢) فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة فيها كل ما أراده الله من عباده وفيه أحكام كل الحوادث التي يتلقاها الإنسان في حياته الدنيا.

قال الصادق (عليه السلام): «الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه» (٣), وقال (عليه السلام): «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة» (٤) وعليه فأي عمل لم يكن مستنداً لكتاب أو السنة فلا يقبل ويعد فاعله خارجاً عن جاده الصواب.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا- قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنيه ولا قول ولا عمل ولا نيه إلا باصابه السنة» (٥) ومن هذه الروايات وغيرها

ص: ٤٦٣

١- ١) الأمالى / الصدوق: ٥٠٠/ ح ١٥/٦٨٦.

٢- ٢) معانى الأخبار: ٥٨.

٣- ٣) الكافى ٥٩: ١/ باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة/ ح ١.

٤- ٤) الكافى ٥٩: ١/ باب الردّ إلى الكتاب والسنة/ ح ٤.

٥- ٥) فى الكافى ٧٠: ١/ فى باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب/ ح ٩.

نستخلص أن أى طريق للعمل أو العباده يؤخذ من غير المعصومين فهو باطل, بل صاحبه خارج ضال مضل كما فى الروايه عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامه» (١) أى من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصومين جعل الله حاله يوم القيامه وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه مع كون ذلك اليوم فى أشد الحاجه إلى الأمان والقرار أو أن التيه كنايه عن الضلال وعاقبه سوء.

وما ذلك إلا لأنّ منابع الشريعة فيها تبيان كل شىء وأن أخذ أى حكم من طريق آخر يلزمه ترك طريق شرعى, وترك حكم شرعى قال الصادق (عليه السلام): «قال على: ما أحد ابتدع بدعه إلا ترك بها سنّه» (٢) والحاصل أن طريق معرفه أحكام وتكليف الله تعالى منحصره بالقرآن والسُنّه وكل منهما راجع للمعصومين (عليهم السلام) فهم الحجّه فقط فإنّ الله تعالى أمرنا بأخذ ما يأتينا به هؤلاء المطهرون دون غيره من الطرق والأساليب الأخرى, فإنّ الحجيه لطريق المعصومين وما عداه من طرق حتّى لو كانت تكشف الغيب وتصل لمعرفة الأحكام أو غيرها فلا حجيه لها.

عدم حجيه تلقى غير المعصوم:

بعد أن ثبت انقطاع النيابة الخاصه بالأدله القطعيه, بل إن انقطاع النيابة الخاصه والسفاره هو من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام), يتضح بطلان ما قد يتوهمه جمله من دعوات الأدعياء المتقمصين

ص: ٤٤٤

١- ١) فى الكافى ٣٧٧: ١/ باب فيمن عرف الحق من أهل البيت (عليه السلام) ومن أنكر/ ح ٤.

٢- ٢) فى الكافى ٥٨: ١/ باب البدع والرأى والمقاييس/ ح ١٩, قال على (عليه السلام): «ما أحد ابتدع بدعه إلا ترك بها سنّه».

المتوهمين وبعض الادعاءات والتخيلات من أنه نائب خاص للإمام أو سفير له أو يتوهم ويتخيل ذلك لغيره من المدعين ونحو ذلك من الرؤى فى المنام أو مشاهدته بعض الأفعال الخارقة بدعوى أنها معاجز أو أى دعوى للارتباط والاتصال بالغيب، اتضح بطلان كل ذلك لأنه بناءً على ما تقدم من تراتبيه الحجج وأن تحكيم الحجة الأضعف فى مرتبه الأقوى هو ظنٌ وزيفٌ وتحكيمٌ للمتشابه على المحكم واليقينى، فانقطاع السفاره ثبت بالأدلة القطعية بل صار من الضرورى، فلا يعارض ذلك توهمات المتوهمين بوجود بعض الأدلة على نيابه أو سفاره أى كان، فإنّ المشاهدات وبعض الأفعال الغريبه لا تدانى الأدلة القطعية وأنها أدله دون بالنسبه لأدله انقطاع السفاره الأعلى.

وهو نظير ما مرّ من تفنيد القرآن وذمه النصارى واليهود لاستنادهم إلى الحس لحكمهم بقتل وصلب النبى عيسى (عليه السلام)، إذ بيّن أن وجه الحكم بالبطلان وذم القرآن لهم مع أن الحس دليل يقينى هو أن الحس دليل يقينى فى نفسه أو بالقياس لما دونه أما بالقياس لما هو أعلى منه كاخبارات النبى الاعجازيه فيكون ظناً وتحكيماً للمتشابه على المحكم فإنّ كشف الدليل الأقوى أثبت وأبين من الدليل الأضعف، فبالتالى ما يترآى من الدليل الأضعف يكون وهماً وظناً وليس يقين بل تشابه وشبهه وهو اصطلاح قرآنى خاص كما بيّن.

لذا فإنّ تلك الأدلة القطعية واليقينيه لانقطاع السفاره لا تضاهيها ولا تناهضها أدله المدعين، بل لا يوجد أى احتمال لصحه أدله المدعين ولا يوجد أى ريب فى دجلهم وزيفهم.

فمن الغريب أن بعض الباحثين بدعوى البحث الموضوعى يقول لا بدّ من الفحص فى أدلّه المدعين للنيابه الخاصه أو السفاره والتثبت من صدقها أو كذبها، وهذا الكلام وإن كان منطقياً بشكل عام كميزان وضابطه فى التثبت والبحث لكنه ليس بصحيح وليس بمنطقى إذ تلك الأدلّه المُدّعاة فى قبال أدلّه يقينيه عاليه، فليس من الصحيح ولا من المنطقى أساساً توهم واحتمال الصحه فى أدلّه مُدّعى النيابه الخاصه بعدما ثبت انقطاعها بالأدلّه يقينيه العاليه.

فمثلاً بعد أن ثبتت عقيدته التوحيد بالأدلّه يقينيه العاليه فلو ادعى مدعى أن هناك إلهاً آخر وذكر بعض الأدلّه فهل من المنطقى التردد والاسترابه فى تلك الأدلّه بدعوى احتمال تماميتها وصدقها؟!!

بل إن من يتوهم ذلك هو مريض أو متمرّض فى الادراك فلا ريب ولا شكّ فى عدم موضوعيه هكذا بحث وأن من يحتمل صحه البحث فيه فليس بسليم العقل إذ أن التردد والريب فى هكذا اعتقادات ثبتت بالأدلّه القطعيه يقينيه كما قال تعالى: **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (١)** فإنّ التردد فى الريب والاسترابه حاله مرضيه فى الادراك والعقل فليس من المعقول الاعتداد بالسفاسف والتفاهات واعتبارها أدلّه فى مواجهه أدلّه يقينيه قويه شديده، نعم الفحص فيها لكشف المغالطات والزيف فيها منهج علمى لمن لديه القدره العلميه والفنيه.

ص: ٤٤٤

فمن التوصيات المنطقية ما جاء في وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغه: «إذا استيقنت فامض على يقينك» (١). وهكذا الكثير من الروايات التي دعت إلى الاعتماد والاعتداد باليقين والسير عليه حتى لو كان في قبالة شك أو ريب إذ ما دام الإنسان استثبت من اليقين ومن مناشئه فعليه السير دون الاعتداد بالتشكيك، فمن تلك الروايات «لا تنقض اليقين بالشك» (٢). نعم قبل الاستثبات من اليقين فإن البحث والفحص منطقي ومعقول جداً لئلا يبقى متردداً في البيان والبرهان فيكون كمن يعيش في سيره، لذا لا بد من الالتفات إلى جميع الاحتمالات لإثبات الصحيح والمنطقي فيها ليصل للبرهان اليقيني ويتثبت فيه ليسير عليه، أما إذا استيقن الإنسان فلا بد من المضي على ذلك اليقين وعدم نقضه بشك، فقله: «لا تنقض اليقين بالشك» (٣) يعني الشك الذي ليس له منشأ علمي يناهض ويقاوم اليقين ولا يساعد على رفع اليد عن الأدلة السابقة اليقينية، وإلا فإن رفع اليد عن اليقين بذريعه البحث في أدلته ضعيفه وهميه ليس حاله فحص علمي سليم سديد بل مرض في العقل والادراك فهو لا يبصر البراهين اليقينية بما أعطاه الله من

ص: ٤٦٧

١-١) في مصباح البلاغه مستدرک نهج البلاغه الميرجهانی ٢٣٦: ١، «من كان على يقين فأصابه ما يشك فليمض على يقينه فإن الشك لا يدفع اليقين ولا ينقضه».

٢-٢) الوسائل ٣٢١: ٥/ باب ١٠ من أبواب الخلل / ح ٣.

٣-٣) في وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي ٢٤٧: ١/ أبواب نواقض الوضوء الباب الأول أنه لا ينقض الوضوء إلا اليقين / (٦٣٦)؛ وفي الخصال بإسناده عن علي (عليه السلام) / ح ٤٠٠، قال: «من كان على يقين فشك فليمض على يقينه، فإن الشك لا ينقض اليقين».

قدره الإدراك وفطره الركون لليقين, فهو كمن لا- يستتير ولا يستصبح بالنور, بل دوماً يسير في جانب الظلمه تاركاً النور فهي حاله مرضيه لعدم استثماره البصر وعدم استعانتة بالنور.

فمع وجود الأدله اليقنيه على انقطاع النياه الخاصه والسفاره في عقيدته الغيبه لا معنى للريب والشك ولا معنى لاحتمال صحه التوهّمات والهلوسات كأدله للمدعين بها.

كما أنّا لو تنزلنا ونظرنا في مناشيء تلك المدعيّات كالرؤيه أو الأفعال الغريبه و... نجد أنّها في نفسها ليست بحجه فضلاً عن مناهضتها للأدله اليقنيه.

وبعبارة أخرى لنا معالجتان لهذه الدعاوى:

الأولى: أنّها لو كانت حجه فهي أضعف من أنّ تناهض البراهين اليقنيه المثبتة لانقطاع السفاره.

عدم حجه إلهام أو رؤيه غير المعصوم:

والمعالجه الثانيه: أنّ تلك الأدله في نفسها ليست بحجه لأن مناشيء تلك المدعيّات من قبيل الرؤيه والإلهام اللدني والاطلاع على الغيب من قناه ما لا يكون ذلك صحيحاً وتاماً ومُعتبراً إلاّ للأنبياء والأوصياء, فإنّ الوحي عباره عن قناه روحيه تربط وتوصل وتفتح على الغيب وأما العلم اللدني فلا- يكون إلاّ- عند الأنبياء والأوصياء أما بقيه البشر من غير المعصومين فليس لهم طريق مضمون للغيب يرتبطون ويفتحون ويتصلون به على الغيب, فقد ذكر القرآن أنّ سبب انكار الأمم هو أنّ كل رجل منهم يريد أن تنزل عليه صحف مُنشره وبالتالي

فكلُّ منهم يريد أن يكون نبياً ليكون منفطحاً على الغيب فيطمئن به، قال تعالى: **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً** (١).

الارتباط بالغيب نبوه أم إمامه أم للكل:

ولكن واقع الحال عدم وجود القابليه لأى شخص أن يكون نبياً أو إماماً أو لديه ارتباط بالغيب، فإن ذلك تابع لمدى القوه الروحيه والاستعداد الروحي للانكشاف على الغيب فإن ارواحنا لا شك ولا ريب متصله بعوالم أخرى ولنا قنوات توصلنا إلى الغيب ولا- شك في ذلك ولكن الكلام كل الكلام فى عدم وجود قدره ضامنه لصواب وواقعيه هذا الاتصال والارتباط بتلك العوالم وما توصلنا من معلومات من ذلك الغيب كيف نطمئن على صحتها وأنها عن إرادته الله وقضاءه وقدره ومشيتته؟

فإن كل ما نستلمه من خواطر وإلهامات وتخيلات وصور مناميه أو صور فى اليقظه ومكاشفات وسلوكيات وغيرها ليس لها أى ضمانه فى الصواب والسداد، وليس لها أى مدار فى الحجيه بل لا اطمئنان على صحتها، لأنها تلقى غير المعصوم، ولو فرض أنه من قبل المعصوم فإن التلقى والارتباط بالغيب ليس فيه زلل ولا خلل ولا خطر ولا أى احتمال الانحراف إذا كان تلقى معصوم من معصوم فحينئذ يكون التلقى معصوماً، كما هو الحال فى تلقى المعصومين (عليهم السلام) لذا كان تلقيهم حجه واعتبر هو منبع الشريعه الوحيد.

أما تلقى غير المعصوم فهو وإن فرض كونه من المعصوم لكن ما الدليل على أن ذلك المتلقى يتناول غير المعصوم صحيحاً وليس من

ص: ٤٦٩

أفاعيل الشياطين؟! ومثال ذلك ما يشاهد من الرواه الذى يروون الروايات عن المعصومين (عليهم السلام) السابقين فإنهم رغم تلقيهم ألفاظ الحديث سماعاً من فم ولسان المعصوم إلا أن تلقيهم مختلف وفهمهم مراد المعصوم مختلف كما ورد: «ربّ حامل علم ليس بفقير وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (١) أى لا يفهم ولا يعى المراد مما سمعه من ألفاظ، بل إن ضبط ألفاظ الكلام الذى يسمعون من لسان المعصوم مختلف من راوى لآخر، ومن ثمّ كانت درجة حجّيه الروايه التى يرويها الراوى درجه ظن وليس بيقين، فإذا كان هذا حال تلقى الراوى غير المعصوم عن المعصوم (عليه السلام) فى حال اليقظه فكيف بحال النوم ورؤيا المنام مع الشكّ فى أن تلقيه هل هو عن المعصوم أم عن الشياطين والجن أو أحاديث النفس؟

فإنّ الشياطين تنفث فى النفوس ويتخيل أن ذلك من الله تعالى ولا- قدره لتمييز ذلك إلا- للأنفس الطاهره المطهره, فإنّ غير المعصوم من سائر الناس ليس له حظ من الرؤيا الإلهيه ونحوها للأحكام الشرعيه وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين، فقد أشار القرآن الكريم إلى عده من أفعال الشياطين التى تقع على العباد منها:

قال تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٢).

وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٣).

وقال تعالى: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ (٤).

ص: ٤٧٠

١- ١) دعائم الإسلام/ القاضى النعمانى: / ٨٠/ باب ذكر الرغائب فى العلم.

٢- ٢) المؤمنون: ٩٧.

٣- ٣) الشعراء: ٢٢١ و ٢٢٢.

٤- ٤) الأنعام: ٧١.

وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢).

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُؤُهُمْ أَزًّا (٣).

وقال تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٤).

وقال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (٥).

وغيرها من الآيات التي تبين أن الشياطين يوحون ويطرق مختلفه كالخواطر والميول والرؤى و... للنفوس المريضة والضعيفه والتي على طريق الزيف، وعن الباقر (عليه السلام) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلاله من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفه الله الذي بعثه للعدل والصواب من الملائكه» قيل: يا أبا جعفر وكيف يكون شيء أكثر من الملائكه؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)»، قال السائل: يا أبا جعفر، إنى لو حدثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه. قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون إن الملائكه أكثر من الشياطين، قال: «صدقت افهم عني ما أقول لك، إنه ليس من يوم ولا ليله إلا وجميع

ص: ٤٧١

١-١ (١) الأعراف: ٢٠٠.

٢-٢ (٢) الأعراف: ٢٠١.

٣-٣ (٣) مريم: ٨٣.

٤-٤ (٤) الحج: ٥٣.

٥-٥ (٥) الأنعام: ١٢١.

الجن والشياطين تزور أئمه الضلاله، وتزور أئمه الهدى عددهم من الملائكه، حتى إذا أتت ليله القدر فيهبط فيها من الملائكه إلى ولي الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم ثم زاروا ولي الضلاله فأتوه بالإفك والكذب حتى لعنه يصيح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سأل ولي الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلاله التي هو عليها» (١).

فبعد كل ذلك أي مجال يبقى للاطمئنان لرؤى ومكاشفات غير المعصوم الذي لا يميز نفث الشياطين من عالم الغيب الحق.

لذلك فإن مكاشفه المكاشفين والعرفاء والصوفيه من إلهامات وخواطر ليست ذا مدار وضابطه في الحجيه فإن كثيراً من أصحاب السير والسلوك والتصوف والرياضات يقعون في انحرافات وأخطاء نتيجة تعويلهم على ما يتلقونه من خواطر والهوامات ومكاشفات، فإن نفس الصوفيه والعرفاء ذكروا ذلك مثلاً القيصرى في شرح كتاب ابن عربى وكذلك الغزالي وابن عربى نفسه وغيرهم ذكروا بأن مكاشفات غير المعصوم ليست بمعصومه فلا بد أن توزن وتعرض على محك كشف المعصوم وهو القرآن والسنة لأن القرآن والسنة هو تلقى المعصوم عن الله تعالى وعن الغيب، ولا ريب ولا شك في عصمه هذا التلقى والتملقى، لأن قدره المعصوم معصومه وغير محدوده في تلقيها عن الغيب كما يصف القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: **وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** (٢) بيان لاحاطه المعصوم.

وبعبارة أخرى بمثال حسى: إن درجه استقبال وتلقى المعصوم

ص: ٤٧٢

١- ١) تفسير البرهان ٤٨٥: ٤.

٢- ٢) الأنعام: ٥٩.

كالرادار فى الكشف وغير المعصوم كالميكروفونات البسيطة التى تشوش بأدنى ضغط وتكسدس من الأمواج، فللمعصوم روح واسعة محيطه فيها استعداد الكشف والابصار القلبي لكل زوايا العرش والكرسى والسماوات وجهنم والصراط والميزان والبرزخ والموت وتطير الكتب والهور والملائكة، فإنّ أرواح المعصومين ليس كأرواحنا إذ لها قدره الاطلاع على عوالم أخرى دون أن تضعف أو تتردد كما روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً» (1) أى إنه مطلع على تلك العوالم غير عالم الدنيا فلا يؤثر على اعتقاده وروحه إذا كشف له الغطاء وليس كبقية البشر الذين لم يطلعوا على شىء من تلك العوالم، وأن الله لم يطلعهم على شىء منها لضعف نفوسهم وأرواحهم.

وفى روايه أخرى أن شخصاً كان يسير مع الإمام الصادق (عليه السلام) فمروا بمقبره بين مكّه والمدينه فسأل الشخص الإمام (عليه السلام) عن حالهم فقد روى عن عبد الله بن بكير الأرجاني، قال: صحبت أبا عبد الله (عليه السلام) فى طريق مكّه من المدينه، فنزلنا منزلاً- يقال له: عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: «يا بن بكير أتدرى أى جبل هذا»، قلت: لا، قال: «هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أوديه جهنم، وفيه قتله أبى الحسين (عليه السلام)، استودعهم فيه، تجرى من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصيد والحميم، وما يخرج من جب

ص: ٤٧٣

الجوى، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينه الخبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من لظى ومن الحطمه، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاويه، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى سفرى فوقفت به إلا- رأيتهما يستغيثان إلیّ، وإنى لأنظر إلى قتله أبى وأقول لهما: هؤلاء فعلوا ما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا، ووثبتم على حقنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما، وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانه الثانى، فربما وقفت عليهما ليتسلى عني بعض ما فى قلبى، وربما طويت الجبل الذى هما فيه، وهو جبل الكمد».

قال: قلت له: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع، قال: «أسمع أصواتهما يناديان: عرج علينا نكلمك فإننا نتوب، واسمع من الجبل صارخاً يصرخ بى: أجهما، وقل لهما: اخسوا فيها ولا تكلمون (١)».

قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: «كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله وكل من علم العباد الكفر».

فقلت: من هم، قال: «نحو بولس الذى علم اليهود إن يد الله مغلوله، ونحو نسطور الذى علم النصارى إن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثه، ونحو فرعون موسى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذى قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من فى السماء، وقاتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقاتل فاطمه ومحسن، وقاتل الحسن والحسين (عليه السلام)،

ص: ٤٧٤

فأما معاويه وعمر و فمآ يطمعان فى الخلاص؁ ومعمهم كل من نصب لنا العداوه؁ وأعان علينا بلسانه ويده وماله».

قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذا كله ولا تفزع؁ قال: «يا بن بكير إن قلوبنا غير قلوب الناس؁ إنا مطيعون مصفون مصطفون؁ نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون؁ وإن الملائكه تنزل علينا فى رحالنا وتتقلب فى فرشنا؁ وتشهد طعامنا؁ وتحضر موتانا؁ وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون؁ وتصلى معنا وتدعو لنا؁ وتلقى علينا أجنحتها؁ وتتقلب على أجنحتها صبياننا؁ وتمنع الدواب أن تصل إلينا؁ وتأتينا مما فى الأرضين من كل نبات فى زمانه؁ وتسقينا من ماء كل أرض نجد ذلك فى آيتنا.

وما من يوم ولا- ساعه ولا- وقت صلاحه إلا- وهى تنبهنا لها؁ وما من ليله تأتى علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها؁ وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكه؁ وما من ملك يموت فى الأرض ويقوم غيره إلا أانا خبره؁ وكيف سيرته فى الذين قبله؁ وما من أرض من سته أرضين إلى السابعه إلا ونحن نؤتى بخبرهم» (1) يعنى نحن غير المعصومين لو سمعنا ذلك لصعقنا ولما بقيت أرواحنا فى أجسامنا؁ أى لوقع الموت لنا لعدم إمكان تحمل ذلك؁ أما المعصومون (عليهم السلام) فلهم القدره على أن يروا تلك العوالم.

وإن قابليات غير المعصومين الروحيه أيضاً تختلف فى قوتها واستعدادها للاطلاع على العوالم الأخرى والأسرار كما فى الفرق بين

ص: ٤٧٥

سلمان وأبى ذر حيث ورد: «لو علم أبو ذر بما فى قلب سلمان لكفره أو لقتله» (١) أى إن أبا ذر لا يتحمل ما يتحملة سلمان من علوم وأسرار، وهكذا فإن أعلى حالات النفوس القويه موجوده عند المعصومين (عليهم السلام) فلهم عدسه قويه دقيقه لا يخفى عليها شىء، فى حين أن القرآن يصف الشياطين أو الجن بقوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا- مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ (٢) فللشياطين والعفاريت قوه كشف أيضاً ولكنها لا تُقاس بقوه كشف المعصوم إنما هى حاصله من خطفه بسيطه أى قبسه فإن غير المعصوم حتى لو كانت عنده خواطر وتمثلات وانكشافات ويرى ما لا يراه الناس مع أنها كالقطره فى المحيطات اللامتناهيه، فما الكاشف له أن تلك الرؤى والخواطر والغيبات التى هى كالقطره أنها من الله تعالى أم من الشياطين والعفاريت؟، فإن بعض الرؤى والانكشافات قد تصدق لأنه هناك خطفه من الغيب ولكن الخطفه الشيطانيه أو من الجن شىء والوحى النبوى شىء آخر فكثير من عموم الناس وآحادهم إما يغتر أو يُغرر به أنه انكشف له شىء وعلم أموراً غريبه فيرى أن تلك الانكشافات انكشافات بوحي أو علم لدنى أو... الخ، لكنه لا- يُميز أن الموصل إليه هل هو الشيطان أم من...؟ لأن روحه ليس فيها استعداد التلقى، فإن نفوس غير المعصوم لم تطلع على تلك العلوم والمباحث، فبمجرد اتصاله

ص: ٤٧٤

١- ١) فى الكافى للشيخ الكلينى ٤٠١: ١/ باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب/ ح ٢، عن على بن الحسين: «والله لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق».

٢- ٢) الصفات: ٨ - ١٠.

بقناه غيبه يرتبك وتضطرب عنده الموازين, فلعله نتيجة ذلك يتدع شريعته جديده وعقيدته جديده وبعثه جديده.

فإن التعامل مع الانكشاف الغيبي مختلف حتى بالنسبة للمعصومين فكيف بغير المعصومين، فإن المعصومين يختلفون بحسب مراتبهم وقوه وشده استعدادهم للتعامل مع تلك الغيبات ودقه موازينهم فى التثبت والتعامل مع ما يلقى إليهم, قال تعالى: وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا (١), فيبين تعالى تفاوت علم داود عن علم سليمان مع أن كلا منهما آتاه الله العلم والحكم إلا أن ما أوتى سليمان ناسخ لما أوتى داود وأرفع منه، وكذلك قال (صلى الله عليه و آله): «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي» (٢).

فإن نفوس المعصومين على عظمتها وقوتها لهم مواقف مختلفه فى التعامل مع الغيبات, فرغم علمهم بالغيب فإن تعاملهم معه يختلف بحسب اختلاف أرواحهم ونفوسهم فإن أرواحهم لما لها من الاستعداد فإنها ترقى وتعرج إلى عوالم أخرى غيبه مهوله دون أى ارتباك ولا أى اضطراب لأنها نفوس عظيمه معدّه للوحي والنبوه والانكشاف على الغيب, أما غير المعصوم من نفوس البشر الأخرى فبمجرد اختلاف المشاهد تضطرب عنده الموازين فقد لا يحتاج غير المعصوم لانزلاقه وانخداعه إلى أكثر من إثاره بسيطه وجمال خداع ولو كان زائفاً, إذ لا

ص: ٤٧٧

١- (١) الأنبياء: ٧٨ و ٧٩.

٢- (٢) بحار الأنوار ٩٩: ٢.

يستطيع التثبت أمام هذه الإثارات البسيطة، فما بالك لو تمثلت له بعض صفحات الدنيا بجمالها وقالت له: أنا الدنيا، فهل يبقى على تثبته وتمييزه ويقول إليها إليك عنى أم ماذا؟!

فإن غير المعصوم لعدم استعداده وعدم قوه نفسه بل لضعف نفوس غير المعصومين فبمجرد اختلاف المشاهد يحصل الهلع والجزع والفرع والرعب والاضطراب، ففي تلك الحاله إذا ألقى له شىء من الغيب هل له أن يميّزه أنه من الله أم من الشيطان؟، فإنه قد تضافرت الروايات فى أن الرؤى سواء أكانت رؤى فى المنام أم فى اليقظه أم غيرها منها ما هو حديث الشيطان وإفكه وتنزيله، ومنها ما هو حديث النفس ومنها ما يكون رؤى صادقه سواء أكانت فى اليقظه أم فى المنام.

أما ما هو حديث الشيطان؟ فإن الشيطان يلقى لأوليائه الإفك والإثم قال تعالى: **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ (١)** وقال تعالى: **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢)** فإن الشياطين يلقون لأوليائهم الإفك والإثم.

وأما حديث النفس، فإن النفس بما أودعت من قوى وغرائز فهى كأنما ذوات متعدده وليست ذاتاً واحده، فالنفس البشريه بسبب ما جهزت به من غرائز وقوى فكأنما كل قوه هى ذات من الذوات وجوهر من الجواهر وهذه النفس إذا طاشت أو جمحت تسول للإنسان من تساويل ورؤى حتى فى اليقظه، والإنسان لخلوه من قدره التمييز يحسب ذلك من الغيب وكشف الستور فى حين أنها من الأعيب النفس الإنسانيه.

ص: ٤٧٨

١- (١) الأنعام: ١٢١.

٢- (٢) الشعراء: ٢٢١ و٢٢٢.

تفاوت درجات الصدق:

وأما الرؤى الصادقة فهي وإن كانت ممكنة وقد تحصل سواء في المنام أم في اليقظة لكنها إضاءة ضيقه جزئية محدوده من بحر فضاء لا متناهي لا يمكن التعويل عليها، لأن الصدق له مراتب، فصدق المعصوم كالمحيطات أما غير المعصوم فضعيف يتبدد بأدنى شيء، لذا ورد في القرآن الكريم: **وَمَنْ أَضِدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١)** فأصدق الله تعالى لا تضاهيها أي مصداقيه لأنه يحيط بكل الواقعيات وكل المخلوقات، أما نحن فاحاطتنا صغيره إذ نحن لا نحيط حتى بكيفيه ولادتنا ونشأتنا وإننا من أين جئنا وإلى أين نتجه حتى لو كنا صادقين وعدولاً، فاحاطتنا ضعيفه قليله فكيف ندعى علمنا بالاطلاع على ذلك.

أما إحاطه المعصوم فواسعه فإنهم هم الصديقون بعد الله تعالى، بل إن الأئمة (عليهم السلام) هم كبراء الصديقين، كما في بعض الزيارات (٢) يعني يحيطون بالكتاب المبين واللوح المحفوظ، والقرآن نفسه شهد لهم بالطهاره ثم شهد لهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون القرآن قال تعالى: **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٣)** ثم قال تعالى: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٤)**.

ص: ٤٧٩

١-١ (١) النساء: ١٢٢.

٢-٢ (٢) إشاره إلى ما رواه الشيخ الطوسي في مصباح المتعجد: ٧٤٢ في زياره لأمير المؤمنين (عليه السلام) جاء فيها: «السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون، السلام عليك أيها الصديق الأكبر».

٣-٣ (٣) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

٤-٤ (٤) الأحزاب: ٣٣.

لذا فلا- اعتماد ولا- اعتبار بتلقى غير المعصوم وليس له أى مدار فى الحجية لعدم الاطمئنان بكونه تلقياً صادقاً إذ هم أنفسهم يخطئ بعضهم بعضاً، فكم من الصوفيه والعرفاء وحتى أصحاب السير والسلوك وحتى أصحاب الرياضات نجد بينهم تضارباً لا ينتهى ولا يرتفع، فكل منهم يخطئ الآخر لأنهم غير معصومين.

ضعف ومحدوديه الإدراك القلبي لغير المعصوم:

وبمثال حسى لتضارب الأقوال عن الغيب كما يقال: إن أشخاصاً وجدوا فيلاً فى ظلام فاعتمدوا على اللمس فى تشخيصه، فلمس أحدهم ذنبه فقال: إنه مخلوق صغير، ولمس بعضهم خرطوممه فقال: إنه متوسط، وآخر لمس رجله فقال: إنه مخلوق كبير، ولمس الآخر بطنه فقال: إنه عظيم بل إنه سينفجر...

وما ذلك إلا لعدم الاطلاع والكشف التام وإنما اعتمد كل منهم على ما انكشف له واطلع عليه من طريق ضيق وحكم بموجبه حكماً عاماً.

فهكذا غير المعصوم وأصحاب النفوس الضيقه... فإنهم إن حصل لهم كشف للغيب فهو كشف ناقص لا يصلح ليكون حكماً صادقاً حقاً يعتمد عليه ويطمئن له.

أما المعصوم فله الاحاطه التامه والانكشاف التام، فمثلاً كأنه يرى ذلك المخلوق بتامه، يرى ذلك المخلوق فيحكم بأنه فيل على ما هو فى الحقيقه لأنه مطلع على تمام حجمه لأنه يراه ببصيرته بل يكون له نور يكشف له فيرى ببصره، لأن كشف ورؤيه المعصوم فيها إحاطه قال

تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١)، وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٢)، وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٣).

لا مثل غيره يعيش فى ظلمه وكدورات النفس ويريد الاطلاع وإيجاد قناه غيبه.

كشف المعصوم القرآن والسنة:

ومن العجيب أن غير المعصوم يدعى التلقى والكشف ويحاول أتباع ما تلقاه مع علمه بضعف نفسه وعدم استعدادها ويترك تلقى المعصوم الذى هو الكتاب والسنة المطهرة من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) فأى قناعه له أو لمن يتبعه بترك تلقى المعصوم وأتباع ما عنده من هلوسات أو خواطر أو رؤى مناميه لا اطمئنان بصحتها فعندنا القرآن والسنة التى هى كشف حقانى لأنها وصلت إلينا بتلقى المعصوم عن المعصوم فلا حاجة حينئذ للاعتماد على تلقى غير المعصوم وإن توهم وارتمس له أنه عن المعصوم، فإن المشكله فى المتلقى (الرادار أو اللاقطه أو الساحب) فهل لديه نفس قويه ترى الملقى إليه على ما هو عليه أم نفسه ضعيفه لا استعداد لها فتقلبه وتزيفه، لذلك تكرر فى القرآن قوله تعالى: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَّلَ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٤) أى ما

ص: ٤٨١

١- (١) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

٢- (٢) النمل: ٧٥.

٣- (٣) آل عمران: ٧.

٤- (٤) الإسراء: ١٠٥.

أنزل من الغيب والكشف هو في نفسه حقٌ وجاء ونزل في طريقٍ حقاني غير مشوب بعث الشياطين وكدورات النفوس الضعيفه وضيق وتلوث أوعيه الاستقبال, فهو نظير المرآه فهناك نوع منها سليمه صحيحه غير مشوبه تعكس الصور على ما هي عليها كنفوس المعصومين مثلاً في حين هناك نوع آخر من المرايا مشوب وليس منتظماً فتعكس الصور بشكل مقلوب أو تضخمها وتكبرها أو تضعفها وتصغرهما أو تعطيبها ألواناً أخرى بل أحياناً بعض الصور تمسخ عن حقيقتها أصلاً فترى صورته الإنسان كأنه جنى وقد تظهر القبيح جميلاً, كما قد تظهر الجميل قبيحاً.

فهكذا نفوس البشر قد ترى الغيب كهذه المرآه، فإنَّ الغيب واحدٌ بالنسبه للمعصوم ولغير المعصوم ولكن الكلام في المستقبل إذ لا- ضمان لأن تكون تلك النفوس ترى الغيب على ما هي عليه, هذا لو كان الملقى صادقاً فتكون المشكله في المتلقى الذى يتلقى، أما إذا كان التلقى من إحياء الشياطين فكما أن أولياء الله تنتزل عليهم أنوار إلهيه فإنَّ أولياء الشياطين تنتزل عليهم الآثام والإفك، فإنَّ الإثم في نفسه كذبٌ، فأولياء الشياطين يحسبون ما القى لهم ملائكه ورسل غيب من الله في حين أنها شياطين إذ ليس له قدره التمييز والتفريق بين إحياءات الشياطين وبين الأنوار الإلهيه.

سبب اختلاف المعصوم في التلقى مع غيره:

لذلك فإنَّ علماء الرؤيه يقولون: كلما ازداد الإنسان صدقاً في قوله وتعبيره وأمانته ووفائه وسلوكه وتعاملاته وتوجهاته لله وقربه للحق والحقيقه فإنَّه يرى الرؤى الصادقه, وكلما زل لسانه وارتكب المعاصى

وابتعد من طريق الحق والحقيقه وابتعد عن الله رأى أموراً خاطئه وباطله، أما المعصوم فحيث إنه لا يرتكب أى معصيه وأى ذنب فإنه لا يرى إلا الحق والصدق والرؤى الصادقه، لذا تكون مرآته صافيه جليه ويرى بإحاطه شموليه الأمور على ما هي عليه، من هنا كانت رؤى الأنبياء رؤى صادقه وحيانيه كقوله تعالى: وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١) بالنسبه لرؤيه النبي إبراهيم (عليه السلام) وكقوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ (٢) بالنسبه للنبي محمد (صلى الله عليه وآله).

وعليه فإن رؤيا الأنبياء والأوصياء حجه لأنهم بلغوا من الصدق مقاماً عالياً جداً ولما لم يكن عندهم أى إثم ولا إفك فلا تنزل عليهم الشياطين ولا تكون قنوات كشفهم عن الغيب إلا قنوات سليمة صحيحة يرون من خلالها الحق فقط.

العدالة تغاير العصمه:

أما غير المعصوم فمهما يكن من الاستقامه لا يُؤمّن كشفه حتى العادل لا يمكن الاطمئنان لقناته الغيبية إذ العدالة غير العصمه فإن العدالة وإن كانت هي الاستقامه على جاده الشريعه وعدم ارتكاب المعاصي إلا أن ذلك لا يعنى عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء من دون شعور وبالتالي فإن ذلك يكدر نفسه وروحه من حيث لا يشعر حتى لو لم تسجل عليه عقوبه فإنه يعذر عن العقوبه لعدم علمه أى لجهله بذلك الفعل أنه يسبب غضب الله والكدورات النفسيه ولكن ذلك لا يمنع من

ص: ٤٨٣

١-١) الصافات: ١٠٤ و ١٠٥.

٢-٢) الإسراء: ٦٠.

تكدر وتلوث النفس بتلك الأعمال وبالتالي لا تكون قناته للغيب سليمة صافيه.

فلا بدّ للإنسان غير المعصوم أن لا يغتر ولا ينخدع ببعض الانكشافات والرؤى فيعتبرها غيباً ما بعده غيب، ووحياً ليس فوقه وحى وأنه صار نبياً أو نحو ذلك ويتأول الضروريات والحقائق الدينيه بالباطل ويتمرد عليها.

فقد يكون للإنسان شيء من التقوى فيحسب أن تقواه وورعه سبب انكشاف الغيب له فيؤمن به ولكنه ليس صحيحاً فإنّ تلك لو كانت تقوى وورعاً لا تتبع القرآن الكريم والسّنة لأنها تلقى معصوم عن معصوم، فهي كشف صادق وحق لا ريب فيه في حين أن ما تلقاه غير المعصوم هو تلقى لا يتحصن أن يكون من الشيطان أو الجن أو العفاريت... فلا ضمانه فيه.

فليس من العقل ولا من المنطق ترك ما هو برهاني و يقيني وهو كتاب الله الذي لا يغادر كبيره ولا صغيره وأتباع خطفه مكاشفه أو رؤيا أو نحو ذلك ظانين أنها قطره صادقه.

فلا- نمنى أنفسنا بمقامات المعصومين من الأنبياء والأوصياء فتسول لنا أنفسنا أن تفتح لنا قنوات الغيب ولا نتوهم ذلك لغير المعصومين (عليهم السلام) فأين نحن من سيد الأنبياء وأين نحن من سيد الأوصياء وأين نحن من الأئمة المعصومين فإنّ الغيب شاسع مهول ودخوله والتوسط فيه ليس موفوراً ميسوراً، فلا- يمكن لغير المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله تعالى بعلمه ليكونوا هم القنوات السليمة والحقانية لارتباط جميع المخلوقات بالواحد الأحد الله سبحانه وتعالى وذلك لما لهم من قوه

النفس والاستعداد الحاصل من طهاره النفس فهم (عليهم السلام) ليس كبقية البشر روحاً بل حتى جسداً فإنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) عرج بجسده فضلاً عن روحه إلى سبع سماوات فهو ليس بالإنسان العادى حتى تسوّل نفوس البعض الانكشاف على الغيب لمجرد أنه اتقى أو عمل صالحاً أو قام برياضه عباديه أو روحيه أخرى... فإنّ لكل ذلك أجراً عند الله وآثاراً حسنه على الروح, لكن ليس للحد الذي نغتر به وندعى الاتصال بالغيب بمجرد أن تحصل لنا رؤيا أو ومضه مكاشفه أو... فإيانا إيانا أن نقع في حبائل الشيطان, ونغوى أنفسنا ونغوى الآخرين ونترك الثوابت والبراهين والضروريات مما حصل عن طريق معصوم وهو القرآن والسنة.

العلوم الغريبه المكتسبه ووهم إعجازها:

فالقرآن هو البرهان الواضح والموجه البيضاء وقد أعجز البشر أربعة عشر قرناً بما ضمن من علوم معجزه ودلائل إعجازيه متنوعه ومتكثره فلا يعقل ولا من المنطقى ترك هذا الوحي وسدّه المعصومين من الأنبياء والأوصياء وأتباع الهلوسه والمهلوسين والجن والمجنين والشيطان والمتشيطين سواء أكانت من رؤى أم مكاشفات, وتنويم مغناطيسى أو تحضير أرواح أو تحضير جن أو علوم غريبه كعلم الجفر أو علم الرمل أو علم التوسم أو علم الحروف أو علم الطلسمات أو علم العزائم أو علم البيوت أو علم التنجيم أو علم الكيمياء وغيرها من العلوم التى لا تكون كامله وتامه إلا عند المعصومين أما عند غيرهم فهى ناقصه منقوصه, فنحن لا ننفى هذه العلوم وقدرتها الجزئيه المحدوده وإمكانها المتواضع فى كشف بعض يسير من شؤون بعض الأشياء لكنها لا تعطى البرهان المحيط القاطع ولا تكشف كشفاً مفيداً للحجيه.

نعم قد تكشف لصاحبها بعض الأشياء لكن يجب أن لا- يغتر بذلك فليس هو الغيب ولا- الواقع ولا هو كل العوالم فمثلاً فلان كتب بعض القضايا في الجفر أو علم الحروف أو... فعلم أن فلاناً سيموت أو سيولد له كذا أو غير ذلك، لكن ثم ماذا بعد ذلك؟ هل صار بذلك نبياً، هل به علم طريق الجنه وطريق النار، هل صار عنده علم الأولين والآخرين وهل...؟

توصيه روايات الظهور بخطوره الدجل:

قد أكدت الروايات الواردة في علامات الظهور على أنه يتميز زمان الظهور بأنه زمان يبلغ فيه التحايل والحيله والدجل والمكر والخديعه والتزوير والشيطنة حدّاً لم تبلغه عصور البشريه كلها ومن ثمّ فإن ما يعرف بالدجال هو من سمات عصر الظهور، وكون رأس الشر في عصر الظهور موسوم بالدجل يبيّن أن السمه البارزه للناس في ذلك العصر هو الخداع والمكيده، وقد بينت الروايات الواردة عند الفريقين أن الدجال عمده أدواته السحر والشعبذه وهو مؤشر على كثره تعاطى السحر في عصر الظهور لاسيّما من أدياء المقامات الدينيه نظير الدجال الذى يدعو إلى طاعته والولاء له بنحو مطلق ولا يخفى أن للسحر تأثيراً يشته به الكثير مع المعجزه والكرامه، فهذا هو القرآن يحدثنا عن النبي موسى (عليه السلام) وهو نبي من أولى العزم والذى لا- يتسلط الشيطان على عقله ولا قلبه لعصمه الوحي ولكن رغم ذلك ورغم حصانه العصمه قال تعالى: فَإِذَا جَابَهُمْ وَ عَصَىٰ يُهْمُ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ * وَ أَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ

ما صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (١)، وقال تعالى في شأن النبي أيوب: وَ اذْكُرْ عَجْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٢)، فالنبي وإن لم يسيطر عليه الشيطان والسحر إلا أن التخيل والإخافه ومسّ بدنه بالضرّ والمرض، وكيد السحر يكابده النبي ويصارعه كما يكابد قتال الكفار في ميادين الحرب بالسيوف والرماح، فكيف الحال في غير الأنبياء وغير المعصومين، ولاسيما مواجهه السحر واستخدام الشياطين كما قال تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٣)، أن هناك من الرجال والبشر يلوذون ويستعينون بالجن والشياطين لمآربهم وخداعهم ومكيدتهم.

ماذا يعنى هذا فى قبال علم المعصومين بكل ما كان وبكل ما يكون وما لهم من الاحاطه بكل العوالم الغيبية كما فى قوله تعالى: وَ كُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (٤)، وقال: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥)، وقال: حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٦)، وقال: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧) وغيرها لكن للأسف بعض النفوس المريضة والضعيفه تنخدع وتغتر بذلك فيهتمون بمثل هذه

السفاسف ويتركون ما هو خير لهم من ذلك فإنّ القرآن الكريم

ص: ٤٨٧

١-١ (١) طه: ٦٦ - ٦٩.

٢-٢ (٢) ص: ٤١.

٣-٣ (٣) الجن: ٦.

٤-٤ (٤) يس: ١٢.

٥-٥ (٥) النمل: ٧٥.

٦-٦ (٦) الدخان: ١ - ٣.

٧-٧ (٧) الواقعة: ٧٩.

والروايات تؤكد أن الصلاة والصوم والحج وزياره المعصومين (عليهم السلام) وغيرها من العبادات لها آثار أعظم مما يتخيل هذا البعض المنخدع بتلك التفاهات والسفاسف فضلاً عن نور معارف القرآن والروايات, فليس من العقل ترك تلك العبادات والمعارف التي فيها كشف كل العوالم بتوسط الوحي وعدم الاهتمام بها وإعطاء شيء من الاهتمام لمثل هذه العلوم الغريبه أو غيرهما بتوهم وظن أنها تكشف لنا الواقع أو تعطينا طريقاً للواقع.

التشرف برؤيه الإمام المهدي (عليه السلام) لا يعنى الحجيه:

قلنا: إن مصادر التشريع منحصره بتلقى المعصوم عن الحق تعالى, أما تلقى غير المعصوم فليس له حجيه لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ من ذلك الطريق وهو التلقى الحسى من المعصوم وكل ما عداه غير معتبر عنده تعالى.

ولكن هذا لا يعنى عدم إمكان الإطلاع مثل الجن والشياطين والكهنة على بعض قطرات من الغيب كما قال تعالى: **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١)** ولكن كل ذلك لا حجيه له ولا يوجب علماً صحيحاً تاماً.

ونفس هذا الكلام نقوله فى انقطاع السفاره فإنه بعد أن ثبت بالدليل وصار من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإن ذلك لا يعنى عدم إمكان التشرف برؤيه الإمام المهدي (عليه السلام), بل هو ممكن ولكن

ذلك لا يعنى أى منصب أو عنوان من عناوين الحجيه بل غاية ما فيه أنه

ص: ٤٨٨

يتشرف بالرؤيه فحسب, وهذا التشرف من الأمور الواقعه لكثير من العلماء وغيرهم من المؤمنين وقد ذكرت المئات بل الآلاف من القصص والحكايات والمواقف والمشاهدات من هذا القبيل وما ذلك إلا لأن المناصب الدينيه والحجيه لها أنظمه خاصه ومراتب خاصه لا تحصل بمجرد الرؤيا.

رياضات النفس وفعل الأعاجيب:

يذكر أحد وكلاء المراجع والفقهاء وكان فى باكستان والهند يذكر ذكريات السنين التى كان يعيشها هناك فى الهند وباكستان عن جمله من المرتاضين غير المسلمين بل من الكفار والهندوس فإنهم كانوا يستطيعون ببعض الرياضات أن يوقفوا قطاراً ومنعه من السير وتعطيل طائره عن الطيران، وقدره على قراءه الخاطر والضمير وقراءه أعمال الأشخاص الماضيه منذ طفولته أو قراءه بعض الحوادث المستقبليه وغير ذلك الكثير من الأعاجيب، أو يسخر جمله من الشياطين والجن كفعل الكهانه والكاهن, لكن هذا لا- يعنى أن هذا الشخص المرتاض له وحى أو له ولايه تكوينيه أو... بل هذه نتيجه رياضات النفس، فإنّ للنفس قدرات عجيبه إذا روضها الشخص برياضات خاصه يستطيع فعل الأعاجيب, فإنّ أحد المرتاضين مثلاً _ كما يذكر ذلك من ذهب للهند _ يستطيع أن يبقى فى القبر سته أشهر من دون أى طعام ولا شراب بل حتّى من دون تنفس فإنّه بالتنويم المغناطيسى استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التى يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال

السيف فى الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضيه من

خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفه كما ذكر ذلك القرآن الكريم, فإن مثل هذه الأفعال الخارقه والعجيبه ليست ببعيده عن السحره والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم فى عرش بلقيس: **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** (١) فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكه وليس من المهتدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتى بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبی سليمان (عليه السلام) من مجلسه أى فى ظرف ربع أو نصف ساعه, ولكن هذا هل يعنى أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنه عفريت من الشياطين ليس إلا, فكل ذلك ليس وحياً ولا- نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم, بل هى من امتحانات الله التى يتلى بها الناس ليمتحن بصائرهم فإن مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدره على إنجاز شىء أبسط من ذلك, ولكن مع كل هذا فإن المؤمن الضعيف الذى ليس له أى قدره يكون ناجياً فى الآخره ومن أصحاب الجنه ورضوان الله تعالى فى حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار وممن غضب الله تعالى عليهم, وليس هذا بالغريب فإن إبليس زوده الله تعالى بقدرات عظيمه فإنه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشريه وهذه قدره جباره ليست عند أعظم القوى البشريه كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقات وقدرات

و... كما أن لإبليس قدره التشكل بأشكال وألوان مختلفه وله قدره تزيين

ص: ٤٩٠

١-١) النمل: ٤٠.

الأعمال ويحدث الخواطر فى النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدره الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإن قدرات إبليس قدرات هائله وليست بالسهله ولكنها لا تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرده.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثله كى لا ننخدع بل لا بد من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسُّننه، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقه أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طى الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و... فبحسب المفهوم القرآنى هذه ليست ميزان هدايه بل حتّى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كبلعم بن باعورا ليس لها قيمه فى الحجيه، فقال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١) وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مره سورة الفاتحه وردت له الحياه فليس ذلك بغريب (٢)، بل حتّى من خلال العلوم الحديثه فإنهم توصلوا لتنتاج عجيبه غريبه من خلال إعمال العلوم الأكاديميه من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقه وعلم النانو والكوانتم (٣) وغيرها بحيث أصبح لهم قدره أن يكون الشخص موجوداً فى مكان ثم فجأه يختفى ولا يرى.

فإن بعض الكرامات التى يحصل عليها بعض الزهاد والأولياء والصالحين

ص: ٤٩١

١-١) الأعراف: ١٧٥.

٢-٢) فى الكافى ٧٢٣: ٢/ باب فضل القرآن/ ح ١٦: عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «لو قرئت الحمد على ميت سبعين مره ثم رُدّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً».

٣-٣) علم النانو والكوانتم من العلوم الفيزيائيه الجديده والتى تهتم بدراسه أصغر الجسيمات الإلكترونيه الحامله للطاقه.

والمتمقين أو نتائج العلوم الأكاديمية... ما هي إلا كرامات يعطيها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمه ولا على السداد بقول مطلق. فعلينا أن لا نفقد قدره التمييز بين العصمه والسداد والتي تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة الرياضات.

فإنَّ بعض أولئك _ أصحاب الكرامات أو الرياضات _ على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا في مسأله في العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخبطون بجهلهم, بل ربما بعضهم يعتقد بمسأله عقائديه أو فقهيه بشكل معكوس فيرى الحلال حراماً أو الحرام حلالاً.

فالقرآن الكريم يريد أن يبين لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنه النبيله فإنَّ كل ذلك شىء والعصمه شىء آخر, فالعصمه فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصه وموازينها وقنواتها.

فلاـ ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا, فإنَّها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها في المعرفه والبصيره, فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل, بل يمتحن حتى بالحبوه الإلهيه, فينعم الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بدَّ من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤيه أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلعم بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك فى الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه, بل راح يطلب ما ليس له فوقع فى الانحراف قال تعالى: وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَ لَوْ

شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١) وقد مرّ ذكره في الجزء الأول.

حدود النيابة الخاصة والسفارة:

اتضح أن النيابة الخاصة والسفارة لا تعنى العصمة والسداد وإنما لها دائره حجيه من الحجج، كالفقيه فإنّ الفقيه مرجع ويُتبع وفق منهج ومدرسه أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن يعطى درجه العصمه وعدم الخطأ، وإنما له حجيه فى ضمن غير الضروريات ما دام محافظاً على الضروريات وما دام واجداً للشرائط من العلميه والفقاهاه وكون الاستنباط من مصادر أهل البيت (عليهم السلام) لا من القياس والاستحسان ونحوها وإلا لم يكن له ذلك المنصب ولا ذلك الدور ولا تلك الحجيه، إذاً فحجيه الفقيه متولده من حجج أرفع منه وما دام محافظاً على الارتباط مع تلك الحجج الأرفع والأعلى تبقى له الحجيه.

كذلك الحال فى النائب الخاص والسفير، فإنّما دوره فى غير الضروريات وفى غير دائره الفقهاء، فإنّ مجال ودائره حجيه الفقهاء والسفراء لا تتقاطع ولا تلغى أحدهما الأخرى كما تقدم بيان ذلك، فإنّ مساحه ودائره كل منها غير مساحه ودائره الأخرى.

ثبات فقه مدرسه أهل البيت ومصادره:

وفى هذا البحث نلقت النظر إلى نكته وظاهره مهمّه جدّاً فى الغيبه

الصغرى ونيابه النواب الأربعة (رض) وهى أن فقه أهل البيت (عليهم السلام) فى فتره

ص: ٤٩٣

الغيبه الصغرى لم يتغير عمّا كان عليه من مسار الإماميه فى حضور الأئمه (عليهم السلام) من العقائد والفقّه والسنن والثواب الأخرى، ومما لا إشكال فيه أن ذلك بركة وجود الإمام المهدي (عليه السلام)، فإنّ ما نقله السفراء (رض) عنه (عليه السلام) من روايات وأحاديث يكشف عن تبعيته لمنهج آبائه وأجداده الأئمه (عليهم السلام) ولضروريات وفرائض الله تعالى وسننه الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث تقدم وذكرنا بأنّ نسبه كبيره مما كان يصدر من توقيعاته الشريفه كانت تتضمن إرجاعاً إلى تراث آبائه من الروايات والسنن، لأن ذلك التراث فيه ضروريات سنن النبي (صلى الله عليه وآله) وضروريات سنن آبائه ولا يتوهم متوهم أن يصدر توقيعاً منه (عليه السلام) فيه مخالفه لتلك الضروريات.

وهذه ملامح مهمه ونكته جوهرية فى مسيره عقائد الإماميه ومسيره فقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ تلك العقائد وذلك الفقّه ظل بنفس الطابع واللون الذى كان عليه قبل الغيبه الصغرى، وهذا إنما يدل على أن دائره النواب والسفراء الخاصه هى دائره محدوده، فهم بمثابة مدير شعبه إداريه لتنفيذ جملة من البرامج والإداريات والسياسات التى يعهدها الإمام المعصوم إليهم لا أن دورهم يقصى الفقهاء ولا يتناول على التراث الضرورى لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك تتضح لنا دائره نيابتهم وحجيتهم وأنه ليس فيها أى غموض فدورهم جمع الحقوق وتنفيذ بعض السياسات الإداريه فى نظام الشيعة.

هذه ملامح الغيبه الصغرى نتيجة عدم تقاطع وعدم تطاول دائره حجيه النواب مع دائره الفقهاء ودائره الأئمه (عليهم السلام) وهى نظير تعيين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسامه بن زيد قائداً للجيش، فإنّ ذلك لا يتوهم منه أنه أصبحت لأسامه حجيه مطلقاً أى له مطلق الصلاحيات، بل إن صلاحيات

أسامه فقط فى حدود قياده الجيش.

ونظير قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في مالک الأشر (رض): «كان لى مالک كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)» (1) ولا يتوهم من ذلك أن مالکاً صار وصياً بعد أمير المؤمنين بدلاً من الحسين فليس الأمر كذلك فإنّ الأمر مدى خلوص ومحبه وتفانى مالک (رض) فى نصره أمير المؤمنين ولم يرد بذلك تسجيل العصمه والحجيه لمالک فليس الأمر كذلك, فإنّ الاستدلال والاستنباط له موازين والاستظهار له موازين, فإنّ التشبيه باب فى علم البلاغه من اللغه العربيه, والتشبيه أيضاً له قواعد وموازن, فإنّ التشبيه دائماً يكون فيه جهه شبه وليس فى كل وجوه الشبه فهذه قواعد فى اللغه العربيه, والقرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وآله) وأئمّه أهل البيت (عليهم السلام) إنما يتكلمون بلغه العرب وليس بلغه أخرى جديده أو جفرها أو غيرها مما يكون فيها غموض على السامع, لذا فلا بدّ من إعمال موازين اللغه من الصرف والنحو والبلاغه و... لأجل منع المهلوسين والطامعين وأصحاب الرايات الضاله...

ضروره الموازين فى قراءه الدين:

فإنّ تحكيم تلك الضوابط والموازن فيه خلاص من الزيغ والانحراف وعن الوقوع فى مثل تلك التوهّمات, فإنّ الله تعالى ورسوله

الكريم وآله الأطهار حدّثونا بحسب قوانين اللغه العربيه, وإلّا لو أرادوا

ص: ٤٩٥

١- ١) فى أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٩: ٤١ فى حديثه عن مالک بن حارث الأشر: ولقد سر معاويه بمقتله, فقال: كانت لعلى يمينان قطعت إحداهما بصفين (يقصد عمّار بن ياسر) وقطعت الأخرى بمصر (ويقصد مالکاً). أما الإمام على المحب المفجوع بمحبه الأمين فقد قال فيه: «كان لى مالک كما كنت لرسول الله».

الحديث بلغه جديده مشفره فإنه بحسب الموازين تكون سفسطه, بل هذه الموازين يعملها الإنسان بدقه وعمق أكثر فأكثر ليصل للتائج الصحيحه, ومع إعمال الموازين بالشكل الصحيح لا مجال للوقوع فى الغموض وأما لو رفع اليد عن الموازين فى استنطاق الأدله فإن ذلك باب لتدمير الدين والقفز والتمرد على ضرورياته, فإن أحد النوافذ التى يستخدمها أصحاب الفرق الضاله هو التذرع بالتأويل بدون موازين أو التفسير أو الاستظهار والاستنباط والاستنطاق الذوقى بالقريحه والتشهى, فإن ذلك يؤدى إلى تكلفات وتمحلات وسفسطات ونحوها ما أنزل الله بها من سلطان, وكل ذلك بدعوى وذريعه معرفه الأسرار والمعارف, فتستخدم تلك الفرق الضاله الهلوسه ونوعاً من غسل الدماغ ونحو ذلك للوصول إلى مآربهم وأطماعهم, مع أن الأنبياء والمرسلين والأئمه يحاجون بحجج ومنطق وموازن وأدله كى تثبت نبوتهم وإمامتهم ومن دون ذلك يكتشف عدم حجيتهم, فكيف يتوهم متوهم ويستجيب لتلك الدعاوى الضاله والهلوسات والاستظهارات واستنطاق الأدله بخلاف الموازين, فإن فتح مثل هذا الباب على مصراعيه بحيث يصح لكل مهلوس وكيفما يكون لرائق ومتأول أن يحدث ما يريد... فإن ذلك يؤدى إلى خراب الدين واضطراب منظومه حجيه وموازن وطرق استنطاقه واستدلالاته, وإلا- لِمَ استعمل الله (عزوجل) اللغه لغه اللسان العربى بالذات فما ذلك إلا لأجل تحكيم ضوابط وموازن وقواعد اللغه لمعرفة مُرادات الله مِنّا ولا يُتصور أنه تعالى يبين مراداته بألغاز غير منضبطه وإلا

كانت سفسطه وإنكار الضروريات والديهيات والعياذ بالله.

أما إذا توسطت الموازين الصحيحه والأدله الرصينه فمهما ترامت وتعمقت النتائج وازدادت غموضاً فلا بدّ من الوصول إلى صحتها ولو بحسب الظاهر كما في علم الرياضيات أى معادله بعد معادله ومرحله بعد مرحله حتى لو أدّى ذلك إلى اكتشاف شيء عجيب لم تعرفه البشرية فإنّه يكون مقبولاً لأنه ناتج خطوات ومراحل وفق موازين صحيحه وإلاّ من دون الموازين الصحيحه نضل الطريق المستقيم ونقع فريسه للطامعين والمضلين.

كفر مدعى السفاره:

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه وفى كتب الشيعة الروائيه الأخرى التى تحفل بذكر أحداث الغيبه الصغرى وبدايه الغيبه الكبرى يذكرون فتوى لابن قولويه وهى: (من ادعى النيايه الخاصه والسفاره بعد السمرى فهو كافر منمس (محتال) ضال) (1) وهذه الفتوى لم يتبناها ابن

قولويه فقط وإنما الكثير من المتقدمين من فقهاء الغيبه الصغرى والكبرى

ص: ٤٩٧

١- ١) فى الغيبه للشيخ الطوسى فى باب ذكر المذمومين الذين ادعوا البايه: ٤٢١، قال تحت الرقم ٣٨٥: أخبرنى الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن نعمان، عن أبى الحسن على بن بلال المهلبى قال: سمعت أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه يقول: أما أبو دلف الكاتب - لا حاطه الله - فكنا نعرفه ملحداً ثمّ أظهر الغلو، ثمّ جنّ وسلسل، ثمّ صار مفوضاً وما عرفناه قط إذا حضر فى مشهد إلاّ استخف به، ولا عرفته الشيعة إلاّ مده يسيره، والجماعه تتبرأ منه وممن يومى إليه وينمس به، وقد كنا وجهنا إلى أبى بكر البغدادى لما ادعى له هذا ما ادعاه، فأنكر ذلك وحلف عليه، فقبلنا لذلك منه، فلما دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفه وأوصى إليه، لم نشكّ أنه على مذهبه، فلعنناه وبرئنا منه، لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منمس ضال مضل، وبالله التوفيق.

تبناها كالشيخ الطوسي إذ يتضح ذلك من كلامه في الفرق البايه أو التي ادّعت النيايه في الغيبه الصغرى.

والسؤال فى المقام أن أولئك الفقهاء لمّ حكموا بكفر المِدّعى للسفاره أو النيايه الخاصه, وهل هناك تخريج صناعى لهذه الفتوى ولمّ لم يقل الفقهاء عن المدّعين إنهم أهل ضلال وما داموا على الشهادتين فهم مسلمون, إذ لا مانع أن تكون بعض الفرق داخله فى الإسلام ولكنها ضاله أى ضلت عن إصابه الإيمان أى زاغوا ولم يهتدوا للإيمان؟

يتبين ويتجلى التخريج الصناعى لحكم الفقهاء بالكفر بناءً على ما ذكرناه ووضحناه من منظومه الحجج, إذ أن أولئك الذين اعتقدوا بنيايه هؤلاء النواب المدّعين زيفاً حكّموا حجيه هؤلاء المدّعين على ضرورات الدين, وهذا بغض النظر عن زيف دعواهم لأنه قد يحكم عليهم بالضلال والافتراء والكذب كما ورد فى التوقيع المبارك, ولكن الأمر الذى دائماً ما يُبتلى به هؤلاء المدّعون زيفاً وحيله ودجلاً ونصباً للنيايه الخاصه وأتباعهم كذلك, أنهم يتبنون تحكيم قولهم على ضروريات الدين لأنهم يأخذون قولهم بنحو محتم ويتأولون ويلتوون ويلتفون ويقفزون حتّى على ضروريات سنن أهل البيت فضلاً عن سنن النبى (صلى الله عليه وآله) وضرورات فرائض الله, ومن الواضح أن الذى يلتف أو يعتقد فى شخص أن له حجيه تهيمن على حجيه أئمّه أهل البيت وحجيه النبى وحجيه الله, فإنّ هذه هى التنبأ أو الألوهيه فأولئك المدّعون إما أن يتلوا

بالألوهيه وإن لم يقولوا نحن آلهه وإما أن يدّعوا بأنّ لهم صلاحيات فى تغيير ضروريات دين الله وسنّه نبيه وبالتالي فإنّ التمرد _ ولو بالتأويل _ على ضروريات دين الله فهو تأليه وكفر وخروج عن الإسلام, والتمرد

على ضروريات سنن النبي (صلى الله عليه و آله) أيضاً خروج عن الإسلام وأما التمرد على ضروريات سنن الأئمة (عليهم السلام) فهو ليس بمؤمن وبالتالي هو كافر بمعنى الكفر المقابل للإيمان وإن لم يكن كافراً بمعنى الكفر المقابل للإسلام.

وعليه فإن أولئك المدّعين للنيابة أو السفاره أو أتباعهم يتبنون كون حجيه المدّعين تعلق ضرورات الدين, فهو تأليه أو تنبأ وإن لم يُسموه إلهيه ونبوه ولذلك كفرهم فقهاء الغيبه الصغرى, فإنه لا بدّ من التمسك والانقياد والتخضع لضروريات الدين من قبل الجميع حتّى الرسول ولا بدّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات سنن النبي من قبل الجميع حتّى الأئمة.

ومن يحاول الالتفاف والقفز والتمرد إعتقاداً وتنظيراً وتشريعاً على صلاحيات الله الضرورية أو صلاحيات النبي الضرورية فهو خروج عن الإسلام.

وبالتالى فإنّ كل من يدعى النيابة الخاصه والسفاره بعد السفراء الأربعة (رض) فهو كافر إما كفر فى قبال الإسلام فيما لو تصدى المدّعى والعياذ بالله من خلال نيابته للقفز أو التمرد على ضروريات الدين وفرائض الله وضروريات سنن النبي (صلى الله عليه و آله) فيكون خارجاً من ربه الإسلام, لأن هؤلاء المدّعين للنيابه عموماً يدّعون النيابة زيفاً لعدم علمهم بمدى وحقيقه وخطوره

• هذا المنصب فتكون دعواهم بالنتيجه مخالفه لضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبي (صلى الله عليه و آله).

وإما أن تكون دعواه للنيابه تمرداً وقفزاً على ضروريات سنن

الأئمة ومنهاتهم (عليهم السلام) فهم مارقون من الإيمان فهو كفر في قبال الإيمان.

وكيف كان فإن مدعى النيابة زيفاً وبطلاناً محكوم عليه بالكفر لأنه خالف الضروره والبديهيه على أحد قسميها.

عناوين دعوى السفاره:

لا- يقتصر عنوان دعوى السفاره على خصوص السفير أو النائب الخاص بل هناك عدّه أوجه وعناوين وأقنعه قد يتلبس بها المدعى فمنذ أكثر من اثني عشر قرناً ظهرت عدّه وجوه ومدّعيات وهلوسات أخذت ألواناً ونماذج عديده جداً كلها بالتالي تصب في حقيقتها إلى ادعاء النيابة أو السفاره ومن تلك العناوين على سبيل المثال:

١ _ سفير خاص أو نائب خاص.

٢ _ دعوى الاتصال أو القدره على الاتصال بالإمام (عليه السلام) والقدره على إيصال الأسئلة وإرجاع الأجوبه للناس من دون عنوان السفير أو النائب.

٣ _ دعوى القدره والممكنه من التشرف برؤيه الإمام في أيّ وقت يشاء.

٤ _ دعوى تلقى الأوامر والنواهي من الإمام مباشرة.

٥ _ دعوى أن الإمام (عليه السلام) له عناية خاصه به ويرعاه و...

٦ _ دعوى أن الإمام (عليه السلام) يأتيه في المنام ويتحدّث معه.

٧ _ دعوى أنه جسر من وإلى المعصوم للآتيان بتوصيات وتعاليم منه (عليه السلام).

وغيرها من العناوين (١) كلها تصب في دعوى السفاره أو النياه

الخاصه وإن لم يتسم بها، وهذه كلها سواء أكانت على نحو التصريح أم الكنايه بالتعريض أم غيرها فإن المهم أن المدعى لها يريد أن يفهم ويوصل معنى لعموم الناس أنى على ارتباط خاص بالإمام (عليه السلام) يريد بذلك إبراز الشأنه لنفسه وجمع ما أمكن من السذج والعمياويين حوله

ص: ٥٠١

١-١) فى بحار الأنوار ٢٢٦: ٥٢/ ح ٩٠، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يقوم القائم حتى تفقأ عين الدنيا وتظهر الحمره فى السماء، وتلك دموع حمله العرش على أهل الأرض، وحتى يظهر فيهم قوم لا خلاق لهم، يدعون لولدى وهم براء من ولدى. تلك عصابه رديئه لا- خلاق لهم، على الأشرار مساطه، وللجباره مفتته وللملوك مبيره، يظهر فى سواد الكوفه، يقدمهم رجل أسود اللون والقلب، رث الدين، لا- خلاق له، مهجن زنيم، عتل: تداولته أيدي العواهر من الأمهات (من شر نسل لا سقاها الله المطر) فى سنه إظهار غيبه المتغيب من ولدى صاحب الرايه الحمراء، والعلم الأخضر، أى يوم للمخبيين بين الأنبار وهيت. ذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراه، وخراب دار الفراعنه، ومسكن الجباره، ومأوى الولاه الظلمه، وأمّ البلاء، وأخت العار، تلك ورب على يا عمر بن سعد بغداد ألا لعنه الله على العصاه من بنى أميه وبنى فلان الخونه الذين يقتلون الطيبين من ولدى، ولا يراقبون فيهم ذمتى، ولا- يخافون الله فيما يفعلونه بحرمتى. إن لبنى العباس يوماً كيوم الطموح، ولهم فيه صرخه كصرخه الجبلى، الويل لشيعه ولد العباس من الحرب التى سنح بين نهاوند والدينور، تلك حرب صعاليك شيعه على، يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبى . منعوت موصوف باعتدال الخلق، وحسن الخلق، ونضاره اللون، له فى صوته ضحكك، وفى أشفاره وطف، وفى عنقه سطم فرق الشعر، مفلج الثنايا، على فرسه كبدر [تمام]، تجلى عنه الغمام، تسير بعصابه خير عصابه، آوت وتقربت ودانت لله بدين تلك الأبطال من العرب الذين يلحقون حرب الكريهه، والدبره يومئذ على الأعداء إن للعدو يوم ذاك الصيلم والاستصال». أقول: إنما أوردت هذا الخبر مع كونه مصحفاً مغلوطاً وكون سنده منتهياً إلى شر خلق الله عمر بن سعد لعنه الله لاشتماله على الاخبار بالقائم (عليه السلام) ليعلم تواطؤ المخالف والمؤالف عليه (عليه السلام).

كأتباع ويكُونوا لأنفسهم الرئاسات الباطله ليسود في متاع هذه الدنيا الدينيه.

وفقهاء الإماميه أتباع مذهب أهل البيت قد حكموا بالبراءه واللعن والطرْد لكل تلك العناوين وغيرها وبطلان وكفر مدّعيها ومروقهم من الدين على اختلاف الدرجات في ذلك ضلالاً إذا كانوا يريدون بها ذلك المعنى من الرئاسه والمنصب ونحوها، وليراجع في ذلك كلام الشيخ الطوسي في الغيبه والصدوق في كمال الدين والنعماني والنوبختي وسعد بن عبد الله وغيرهم من فقهاء ومراجع الشيعة ورؤساء الطائفة.

وهذا لا ينافي أصل التشرف بقاء ورؤيه الإمام (عليه السلام) فلعلّ بعض العلماء الأتقياء الصلحاء يتشرف في العمر مره أو مرتين أو أكثر برؤيه ولقاء الإمام (عليه السلام) ولكن من دون إبراز ذلك بصيغه المقام والمنصب والوساطه لأن منصب الوساطه والارتباط لا يعطى لأحد مهما كان فإنّ الإمام (عليه السلام) نفاه ومنعه.

فإنّ التشرف بالرؤيه غير ممتنع وقد ذكرت حول ذلك مئات بل آلاف الموارد التي تشرف فيها أعلام متقون صلحاء، ولكن لو افترضنا أن أحد أولئك المتشرفين بالرؤيا أبرز تلك الرؤيا وأظهرها ليّدعى لنفسه تقلد منصب رسمي وتمثيل عن الإمام (عليه السلام) فإنّ ذلك دجال وكذاب وإن كان حقيقه قد تشرف بالرؤيا فإنّ التشرف بالرؤيا شيء وصلاحيات التمثيل شيء آخر.

وبمثال أكثر وضوحاً أنه لو فرضنا راوٍ من الرواه في زمن أحد الأئمه (عليهم السلام) ويروي عنهم ثم يدعى أنه له الوكاله عنهم (عليهم السلام) فإنّ ذلك ليس بحجه ولا كاشف عن صحه دعواه، فإنّ الروايه شيء والوكاله

شئ آخر، وهذا طبعاً من باب التنظير وإلا فالفارق كبير بين دعوى الوكالة ودعوى السفاره والتمثيل الرسمى والنيابه، كما أن الأمر حتى مع الروايه فى زمن الغيبه مختلف فإن أصل الروايه عن الإمام المهدي فى زمن الغيبه لا حجيه لها فضلاً عن ادعاء شئ آخر!؟

حركات ونهضات رايات سنه الظهور:

وهذا لا ينافى القيام بحركات تحريره كما فى سنه الصيحه من السماء لو كانت بعنوان نصره المذهب أو نصره الإمام المهدي (عليه السلام) لكن بشرط عدم ادعاء أى نحو من الحجيه فإن مفاد الروايات نفى حجيه الاتصال أو النيايه الخاصه عن الإمام بل حتى مثل شخصيات الظهور كاليمانى والخراسانى وغيرهم فإن مفاد الروايات ليس فيه إعطاءهم أى نحو من الحجيه، نعم غايه ما تثبتت الروايات لمثل هذه الشخصيات أنهم على الحق وأنهم يدعون لنصره الإمام المهدي (عليه السلام) أو لرفع الظلم أو نحو ذلك من دون أى منصب ومقام خاص إلا أنهم على الحق.

نعم الدّعوه لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانيه دعوتهم وحجيه الثواب والموازن التى يرفعونها ويطلبون بها إذ الحق بما هو حق يجب أن يتبع بغض النظر عمّن طلبه وكيف طلب ممن هو غير معصوم ما دام متقيداً بالموازين وملتزمًا بالأحكام الشرعيه، وهذه الشخصيات هناك دعوى لنصرتهم بشرط سماع

الصيحه من السماء وظهور قيام دوله السفينانى لا لشخصهم بل لأنهم يدعون للرضا من آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، وإلا فالموجود فى الروايات من المدح والثناء وكيل الصفات على اليمانى مثلاً لم يبلغ ما هو مذكور فى حق زيد بن على بن الحسين رضوان الله عليه، ومع كل ذلك لم تكن له أى نحو من الحجيه وإنما ذلك المدح

له باعتبار أنه كان يدعو للرضا من آل محمّد وهى دعوه حق، فالمدح والثناء كان باعتبار دعوته.

لذا فإنّ بعض الروايات تفيد أن الدعوه إن وافقت الموازين وكانت متقيده بأحكام الشرع المبين وكان المطلوب فيها هو الحق فلا بدّ من دعمها وتأييدها قدر الإمكان كما عن المجلسى حيث جزم أن دعوه الصفويين كانت دعوه تدعو إلى التمسك بأحكام ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) ليست لأنها سياسيه أو عسكريه أو... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامه الدين من دون أن يدعوا أى منصب دينى كالسفاره أو النيابة الخاصه أو العصمه أو غيرها وإنما قالوا: نحن عبيد الله ومطيعون للأئمه (عليهم السلام) وتابعون لفقهاء الإماميه، لذلك فإنّ مجموعه من أساطين وأعلام الفقه الشيعى وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ الكركى وغيرهم.

وما ذلك إلا لأنها دعوه سعت إلى التقيد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصره كانت وتكون للدعوه لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليمانى أم الخراسانى أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصره تكون له بما هو بعد أن يثبت أنه الإمام حقاً لأننا مأمورون باتباعه هو، وهكذا الحال فى أى واحد من أنصار الإمام المهدي (عليه السلام) الـ (٣١٣) فإنه بحسب الروايات ليس لهم أى نحو من

النيابه ولا السفاره ولا أى حجيه قبل ظهوره.

والحاصل أن أى عنوان من هذه العناوين ليس له أى حجيه حتّى عنوان السفاره أو النيابة الخاصه أو غيره فى فتره الغيبه، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجيه التى تعطى حينئذٍ من قبل الإمام (عليه السلام).

الخلط بين أحوال الرجعه وما قبل الظهور:

ثم لا بد من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبيّن أحوال الرجعه وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلاً المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطّيهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما في فتره الرجعه، فلا بدّ من التمييز بين هذه المراحل وإلاً وقعنا في خلط بين بعض العناوين التي لا حجّيه لها وبين البعض الآخر الذي له نحو من الحجّيه وبعض الأدوار لكن في مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بالأعيهم حينئذٍ إلاّ السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيره.

حقيقه السفاره والنيابه الخاصه:

قد يتوهم البعض أن السفاره والنيابه الخاصه هي مجرد تمثيل وتنويب عن الإمام (عليه السلام) فينقل السفير عنه ما يسمعه من حديث سماعاً حسياً وينقل الأسئلة والأجوبه الخطيه من وإلى الإمام (عليه السلام) وهكذا المعنى والتمتصو.

وليس كذلك فإنّ حقيقه السفاره ليس ارتباطاً حسياً وإنما السفاره في الروايات ذكرت باصطلاح ومفهوم خاص وهي النقل بتوسط عالم

الملكوت فهي ارتباط ملكوتي روحي غيبي.

وقد ورد في الروايات أن الرسول (صلى الله عليه وآله) سفير الله تعالى، ونقرأ في بعض الزيارات أن الإمام (عليه السلام) سفير الله تعالى مثلاً ما ورد في زياره ليله ويوم المبعث لأمير المؤمنين (عليه السلام): «السلام عليك يا خاصه الله وخالصته و... وعييه علم الله

وخازنه وسفير الله فى خلقه...» (١) فالرسول عندما ينقل عن الله تعالى لم يكن ينقل نقلاً حسياً عنه تعالى وإنما بتوسط الملكوت, فعندما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): قال جبرائيل (عليه السلام) عن الله تعالى فليس هو عن سماع بدنى وإنما عن طريق الوحي بارتباط روى ملكوتى غيبى, وهكذا نقل الأئمة (عليهم السلام) عندما يقال: إنهم (عليهم السلام) محدثون وتقول: قال الصادق (عليه السلام) عن أبىه الباقر عن السجاد عن سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عن النبى عن جبرائيل عن الله, أو قال الرسول عن الله فى حديث قدسى, فليس المراد بهذه العننه أن أحدهم ينقل عن الآخر حساً وإنما بالارتباط الملكوتى, فإنَّ الأئمة (عليهم السلام) يحدّثون عن الرسول عن الله ولو بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه وآله) لأن ارتباطهم الملكوتى الروحى الغيبى برسول الله لم ينقطع بوفاة (صلى الله عليه وآله), فمثلاً سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) عند اعتراض عبد الله بن عباس أو محمّد بن الحنفية أو عبد الله بن جعفر فى خروجه ومسيره للعراق فأجابهم (عليه السلام) بأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لى: «اخرج يا حسين فإنَّ الله شاء أن يراك قتيلاً» (٢) وهكذا عندما اعترض عليه فى اخراج النساء والعيال معه فى مسيره وخروجه فإنَّه (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبرنى أن الله شاء أن يراهنَّ سبايا» (٣) فإنَّ ذلك

من سيد الشهداء ليس إلا- لأن ارتباطه برسول الله غير منقطع بل مُفعل عن طريق الملكوت والارتباط الروحى الغيبى, كما أنه (عليه السلام) عندما أجاب بذلك لم

ص: ٥٠٦

١- ١) مزار الشهيد الأول: ١٠١/ زياره الأمير (عليه السلام) ليله ويوم المبعث.

٢- ٢) بحار الأنوار ٣٦٤: ٤٤.

٣- ٣) جاء فى اللهوف فى قتل الطفوف للسيد ابن طاووس فى الصفحه (٤٠) فى معرض حديثه عن خروج الحسين من مكّه إلى العراق, فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له: «قد قال لى إن الله قد شاء أن يراهن سبايا» وسلم عليه ومضى.

يعترض عليه ابن عباس ولا ابن جعفر ولا محمّد بن الحنفية لأنهم يعلمون أن الحسين من أهل آية التطهير ومن أهل آية المباهلة إذ احتج به الله (عز وجل) وجعله مطهراً ويعلم الكتاب كله والقرآن شهد بأن المطهرين من هذه الأمة يعلمون علم الكتاب الذي لا يمسه إلا المطهرون والكتاب المبين كتاب مكنون فيه كل شيء من رطبٍ ويابس، قال الله تعالى: **وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (١)**.

وهكذا الإمام الرضا (عليه السلام) عندما يذكر قصيده الحميري (٢) هذه

ص: ٥٠٧

(١ - ١) الأنعام: ٥٩.

(٢ - ٢) قال الفاضل الهندي في شرح العينيه الحميري: ٨٣، فصل في ذكر ما يتعلق بالقصيدة التي نحن بصدد شرحها وروى بعض أصحابنا بسنده عن سهل بن ذبيان قال: دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في بعض الأيام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس فقال لي: «مرحبا بك يا ابن ذبيان، الساعة أراد رسولي أن يأتيك لتحضر عندنا»، فقلت: لماذا يا ابن رسول الله؟ فقال: «لمنام رأيت البارحة، وقد أزعجني وأرقتني». فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى؟ فقال: «يا ابن ذبيان، رأيت كأني نصب لي سلم فيه مائه مرقاه، فصعدت إلى أعلاه». فقلت: يا مولاي أهتلك بطول العمر، ربما تعيش مائه سنة، لكل مرقاه سنة، فقال لي (عليه السلام): «ما شاء الله كان». ثم قال: «يا ابن ذبيان، فلما صعدت إلى أعلى السلم رأيت كأني دخلت قبه خضراء يرى ظاهرها من باطنها، ورأيت جدّي رسول الله جالساً فيها وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجههما، ورأيت امرأه بهيه الخلقه، ورأيت بين يديه شخصاً بهي الخلقه جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة: (لأمّ عمرو باللوى مربع). فلما رأني النبي قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا علي بن موسى الرضا سلم على أبيك علي، فسلمت عليه. ثم قال لي: سلم على أمك فاطمه الزهراء، فسلمت عليها. ثم قال لي: وسلم على أباي الحسن والحسين، فسلمت عليهما. ثم قال لي: وسلم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيد إسماعيل الحميري، فسلمت عليه، وجلست فالتفت النبي إلى السيد إسماعيل وقال: أعد إليّ ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة، فأنشد يقول: لأمّ عمرو باللوى مربع طامسه أعلامه بلقع فبكي النبي، فلما بلغ إلى قوله: ووجه كالشمس إذ تطلع بكى النبي وفاضمه معه ومن معه، ولما بلغ إلى قوله: ttttttttt قالوا له لو شئت أعلمتنا إلى من الغايه والمفزع رفع النبي يديه وقال: إلهي أنت الشاهد علي وعليهم أني أعلمتهم أن الغايه والمفزع علي بن أبي طالب، وأشار بيده إليه، وهو جالس بين يديه (عليه السلام). قال علي بن موسى الرضا: «فلما فرغ السيد إسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة التفت النبي إليّ وقال لي: يا علي بن موسى احفظ هذه القصيدة ومُرّ شيعتنا بحفظها، وأعلمهم أن من حفظها وأدمن قراءتها ضمنت له الجنة على الله تعالى». قال الرضا (عليه السلام): «ولم يزل يكرّرها علي حتّى حفظتها منه. (بحار الأنوار ٣٢٨: ٤٧).

القصيده العظيمة التي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرضا (عليه السلام) أن يأمر شيعه أهل البيت بحفظها وأن الرسول يضمن لمن حفظها وتداولها الجَنَّة على الله فهذه الروايه نقلها الإمام الرضا (عليه السلام) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) مع أن الحميرى أَلَّف هذه القصيده في زمن الإمام الكاظم أو الصادق (عليه السلام) ومن الواضح أن الأمر للإمام الرضا (عليه السلام) في زمن الإمام الرضا (عليه السلام) فكيف حصل هذا الأمر, فليس ذلك إلا لأن الارتباط بين الأئمة (عليهم السلام) والرسول (صلى الله عليه وآله) ارتباطٌ مُفْعَل لم ينقطع بانتقال الرسول أو الأئمة السابقين إلى البرزخ أو إلى الآخرة, لذلك فهم سفراء الله لأن قناه علمهم وحديثهم هي بتوسط الملكوت.

وعندما يقال: نائب خاص أو سفير عن الإمام المهدي فإنَّ ذلك يعني أنه ينقل بتوسط قناه ملكوته نازله روحه غيبه لكن عن الإمام

المهدي (عليه السلام), فهذا هو المراد بالسفاره والنيابه الخاصه وإن كان لا يمنع ذلك من الرؤيه الشخصيه كما جاء في زياره النواب الأربعة هذه العبارة التي رواها الشيخ الطوسي في التهذيب: (أشهد أن الله اختصك بنوره حتّى عاينت الشخص فأدبت عنه وأدبت إليه) (١) الذي يعني أنه بلطف

ص: ٥٠٨

الله هناك ارتباط ملكوتى بينه وبين المعصوم وإن لم يكن السفير معصوماً ولم تكن حجته مطلقه كما مرّ بيان ذلك لكن السفاره مقام خطير لم يفهمها ولم يعها ولم يفقه حقيقتها أولئك الأدياء المدّعون لها زيفاً ودجلاً, فيبان حقيقتها فى المقام أمرٌ لا بدّ منه فى المعرفه والبصيره للتحصن ممن تستهويه نفسه للخوض فى الباطل والأفاعيل بسوء الاستفاده منها وهذا البيان ينفع فى تعريه الصوفيه وبعض العرفاء الذى تمصوا مثل هذا المقام فإنّ جملة منهم ادّعوا هذه المقامات لأنّ التصوف والصوفيه اقتبسوا جملة معارفهم ونظامهم من الفرق الباطنيه الشيعيه, فالصوفيه نشأه وتاريخاً وتولداً فى كثير من مبانهم ومسالكمهم متخذة من الفرق الباطنيه الشيعيه التى انحلت أو انحرفت بعد اطلاعها على بعض الأسرار.

* * *

ص: ٥٠٩

الفصل الثامن: مفهوم الغيبه بين الافراط والتفريط

الافراط والتفريط فى الغيبه:

لدينا ثلاثه مذاهب فى تفسير وفهم الغيبه الكبرى للإمام (عليه السلام) كما هو الحال فى أغلب المسائل الاعتقاديه فهناك الافراط وهناك التفريط وهناك الوسطيه.

فالبعض أفرط فى معنى الغيبه لحد الغلو فيها فصور الغيبه بمعنى مزايله الإمام عن موقع المسئوليه وابتعاده وإقصائه وعدم التصدى الفعلى ولو بسبب الظالمين، فتصور أنها غيبه حضور أى انقطاع الإمامه فى فتره الغيبه الكبرى وبذلك يكون الإمام (عليه السلام) والعياذ بالله قد تخلى عن ساحه المسئوليه والتصدى للولاية الإلهيه، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصى عن الناس والرعيه ولما كانت النيابة الخاصه والسفاره منقطعه بالأدله القطعيه فلا تمثيل للإمام، فبالتالى ليس الإمام موجوداً ولا يوجد من يمثله وليس هناك أى طريق يدل عليه ولا أى باب يُنفذ منه إليه _ من هنا سُمى النائب باباً إذ منه يُنفذ للإمام (عليه السلام) _ فالغيبه تعنى انعدام وجود الإمامه وابتعاد الإمام عن مسئولياته وتصديه وبالتالي فإن مهام ووظائف وواجبات الإمام (عليه السلام) معطله لحين ظهوره وتصديه للقيام بها، ومن تبنى هذا التفسير صار فى حيره فى توجيه نيابه الفقهاء فى فتره الغيبه الكبرى وكيفيه رسم صلاحياتهم بعد أن عطل _ بحسب مبناه _ دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى إجماع الأئمه وبعض إلى الضروره والمصلحه وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطيء فإن الإمامه والإمام لا يمكن

انعدامها، وهو إفراط في تفسير معنى الغيبة، وهذا المعنى الإفراطى يُناقض أصل معتقد الإماميه بالإمامه لأنه بالتالى يُؤدى بنا _ هذا التفسير _ إلى وجود فتره زمنيه ليس فيها إمام فإن آخر الأئمه هو الحسن العسكرى (عليه السلام) وباستشهاده انعدمت الإمامه إلى ظهور المهدي (عليه السلام) وبالتالى ففي فتره الغيبه الكبرى ليس هناك إمام يقوم بأعباء الإمامه ومسؤولياتها، فنتساوى حينئذ في تلك الفتره مع المدارس الإسلاميه الأخرى في القول بعدم وجود الإمامه وكأنما أصبحنا كالواقفيه يعنى من وقف على إمامه أحد الأئمه (عليهم السلام)، وبحسب هذا القول والتفسير نكون قد وقفنا على إمامه الحسن العسكرى (عليه السلام) ولم نقل بإمامه المهدي (عليه السلام)، إذ لا تكون إمامه المهدي إلا في الظهور، وهذه الفتره وهى الغيبه الكبرى خلت من أى حججه فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمه.

وهذا المعنى الخاطى صوّرتة بعض المذاهب الإسلاميه الأخرى بل بعض الكتابات فى وسطنا أيضاً حيث رسمت معنى الغيبه بما يؤدى إلى وجود هذه الفتره الخاليه من الإمام (عليه السلام)، نعم لا مانع من وجود فتره ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصحيح فى الغيبه لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالى أشكل عليهم بأن هذا المعنى يلزمه عدم التوافق مع الحديث المروى عند الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه» (1) بل فى روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلك وهى روايه «من

ص: ٥١٤

١- ١) جاء فى الكافى للشيخ الكلينى ٣٧١: ١/ باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخره / ٥، عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن محمد بن النعمان عن محمد بن مروان عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليه، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم فى فسطاطه».

مات وليس في عنقه بيعه لإمام مات ميتة جاهليه» (١) فليس عدم معرفه الإمام بل عدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أى لا- يتضامن مع أتباع أهل البيت الذين هم على منهاج أهل البيت بل يتبع منهاج غيرهم وهو فى الواقع فسخ البيعه مع الإمام المعصوم, فعلى أى تقدير فقد ورد أن من مات وليس فى عنقه بيعه للإمام فإنه مات ميتة جاهليه, وبالتالي على هذا القول والتفسير للغيه كل من مات فى الغيه الكبرى حيث ليس فى عنقه بيعه للإمام مات ميتة جاهليه, هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلك؟

وقد حاول البعض الآخر التخلص من هذا الإشكال فصور الغيه بمعنى آخر حيث اعتقد بأنه من غير الصحيح تصوير انقطاع الإمامه بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ فى الاعتقاد بالإمام فلا بد أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤوليه وذلك من خلال التمثيل الرسمى له, فصور هذا القائل أن للإمام عناصر تمثله فى العلن, وبالتالي فهو معنى تفريطى حيث إن هذا التفسير يُنافى حقيقه الغيه كما سيأتى, فهذا القائل بالمعنى الثانى اعتقد أنه إذا لم نقل بالتمثيل الرسمى للإمام فإن ذلك يعنى عدم النشاط للإمام وعدم تصديه للإمامه والمسؤوليه والاصلاح.

فلكى يحافظ هذا القائل على الدور الفعلى للإمام لا- بدّ من تصدى الإمام مباشره أو من يمثله, ولما كانت فتره غيهه فليس المتصدى هو الإمام بل من يمثله سواء أكان سفيراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

ص: ٥١٥

١- ١) فى صحيح مسلم ٢٢: ٦/ باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع, عن النبى يقول: «من خلع يداً من طاعه لقى الله يوم القيامه لا حجه له ومن مات وليس فى عنقه بيعه مات ميتة جاهليه».

وهذا المعنى التفريظى أيضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والدور الفاعل والتصدى للإمام لا يستلزم أى بروز وإعلان فلو عدنا لقصه موسى والخضر (عليه السلام) وما يقوم به من مسؤوليات، فعندما تفارقا ولم يكن فعل الخضر ظاهراً لأحد فهل هذا يعنى أن ليس له أدوار بعد ذلك وأن دوره فقط الذى كشف عنه القرآن وإلا فقبل التقائه بموسى وبعد فراقهما ليس له أى دور وهذا واضح البطلان فإن له ولغيره من رجال الغيب أدواراً ومسؤوليات لا يعلم بها إلا الله والأئمة.

ففى روايه عن النبى (صلى الله عليه وآله): «لو صبر النبى موسى مع الخضر أكثر لرأى عجائب عظيمه من الخضر» (1) فعدم ظهور وبروز نشاط الإمام (عليه السلام) وعدم وجود نائب خاص أو سفير لا يعنى الجمود وعدم النشاط، وهذا المعنى للأسف ارتكز خطأ عند كثير من الكتابات الإسلاميه سواء من المذاهب الأخرى أم فى وسطنا إذ ارتكز أن النشاط والحيويه والفاعليه والقيام بالمسؤوليه تلازم الاعلان والبروز والظهور، وليس كذلك فإنه كما سيأتى من أن أجنده التنظير فى العلوم الاستراتيجيه والسياسيه والاجتماعيه تؤكد على أنه كلما كانت السريه والخفاء أكثر كان النشاط والعمل والدور أكثر حيويه وقوه ونفوذاً واختراقاً وتأثيراً وانسيابيه واندفاعاً وسيوله وبلا أى معوق وممانع والعكس بالعكس، فالنشاط يرتبط بالانجاز فى الميدان الخارجى ولا ربط له بالظهور والاعلان، فليس لازم النشاط الكشف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما يقرأ تاريخ بعض المصلحين من

ص: ٥١٦

١- ١) فى بحار الأنوار للعلامه المجلسى ٣٠١: ١٣/ الباب العاشر قصص موسى وخضر، وفى روايه: «رحم الله موسى عجل على العالم أما أنه لو صبر لرأى منه من العجائب ما لم ير».

أولاد الأئمة (عليهم السلام) كزيد الشهيد أو يحيى بن زيد (رض) وغيرهم من الثوار يحسبون أن معنى النشاط والعمل والتغيير لا بد أن يكون معلناً ومكشوفاً وإلا كان جموداً، وهذا من أخطاء الزيدية حيث اعتبروا الإمام هو من يقوم بنهضة إصلاحه معلنه ساخنه في حين أن سيره أهل البيت (عليهم السلام) على عدم ضروره الكشف والاعلان للنهضة والتغيير والقيام بأعباء المسؤوليه والإصلاح وهدايه المجتمع لئلا يمنعهم ويعرقلهم العدو عن ذلك.

وأنه بات واضحاً إذا أراد الرواد المصلحون الإصلاح والعمل الإصلاحي فكثيراً ما يكون في الظل والستار والخفاء ليكونوا أكثر نشاطاً وتأثيراً فإنّ الغيبه والتستر من مصاديق التقيه ومع ذلك لم تفسر التقيه بالجمود والابتعاد وعدم ممارسه المسؤوليه.

إذن الغيبه لا تعنى عدم الإمامه بمعنى ترك ساحه المسؤوليه والأحداث وعدم وجود الإمام، فإنّ الإمامه في الواقع ولايه فعليه وتصدى فعلية لهذه الرايه الكبرى من نور الله تعالى ومسؤوليات الإمامه وإلا صار المعتقد بذلك واقعيّاً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامه.

كما أن الغيبه لا تقتضى لابدّيه التمثيل والتصدى العلني والبروز لأجل قيام الإمام بمسؤولياته ومهامه وإلا صار المعتقد بذلك زيدياً أو بابياً أو مدعيّاً للسفاره والنيابه الخاصه كذباً وزوراً وإنما الغيبه أمرٌ وسطى بين المعنيين فهي معنى بين عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بين الناس لكنه غير معروف عندهم يانه الإمام فيعبر عنه يانه غائب، فالغيبه إذن غيبه ظهور الإمام وليست بمعنى عدم حضوره وهي انقطاع ظهور وتمثيل لا انقطاع إمامه أى عدم ظهور الإمام (عليه السلام) علناً وعدم

ظهور أى نشاط له فى العلن وعدم بروز أى تمثيل رسمى له، فالانقطاع للسفاره وليس انقطاع الإمامه، فإن انقطاع النيابة لا يعنى انقطاع الإمامه، وعدم انقطاع الإمامه وفعاليتها واستمرارها لا يقتضى ولا يوجب ولا يحتم استمرار النيابة والتصدى المعلن وإلا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بين انقطاع النيابة وانقطاع الإمامه والبعض من أن فهم بالعكس استمرار الإمامه بمعنى استمرار النيابة، إذ هناك عدّه أنواع للتصدى لا تنحصر بالسفاره، كما أن عدم أحد أنواع التصدى لا يعنى انقطاع جميع أنواع التصدى.

وإلا- فإن الإمام (عليه السلام) موجود حاضر متصدى وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ له (عليه السلام) تمام الفاعليه وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤوليه والولاية والإمامه من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابه.

ففى كثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمام المهدي (عليه السلام) فيه سِيَّته من النبي يوسف (عليه السلام) حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويدبرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبي يوسف (عليه السلام) بل وفى كثير من الروايات أن المهدي (عليه السلام) عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذى كُنَّا نعهده، فعن سدير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن فى القائم شبه من يوسف (عليه السلام)»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لى: «ما تنكر من ذلك هذه الأئمه أشباه الخنازير، إن إخوه يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: أَنَا يُوسُفُ فما تنكر هذه الأئمه أنه يكون الله (عزوجل) فى وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسف (عليه السلام) إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيره ثمانيه عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه

مكانه لقد ر علي ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشاره مسيره تسعه أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمه أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا- يعرفونه، حتى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتى قال لهم: هَيْلُ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي (١)»، (٢).

وهذا يعني أن له حضوراً تاماً في ساحه الحدث والمسؤوليه غايه الأمر أنه (عليه السلام) غير معروف، فالغيبه تعنى عدم علمنا ومعرفتنا به (عليه السلام) وانعدام النيايه والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسأله عقديه مهمه في أحوال وشؤون الإمامه لا بد من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإن الجاده الوسطى هي جاده النجاه فلا إفراط ولا تفريط، وإلا وقعنا في الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

حقيقه الغيبه والظهور:

قد مرّ أن من ميزات الغيبه الكبرى للإمام (عليه السلام) هو انقطاع النيايه الخاصه والسفاره وإن للغيبه معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعني أن الإمام (عليه السلام) بعيد وغائب عن البشريه، أى هل أن معنى الغيبه يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبه مقابلاً للظهور؟

لولا حظنا الروايات المرويّه في هذا المجال من الفريقين الخاصه

ص: ٥١٩

١-١) يوسف: ٨٩ و٩٠.

٢-٢) كمال الدين وتمام النعمه: ٣٤١/ باب ٣٣/ ح ٢١.

والعامه نجد أن انتهاء أمد الغيبه الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبه فى مقابل الظهور فالغيبه تعنى الخفاء والسريه وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أى البروز والاعلان, وتقدم أن من أدلّه انقطاع النيايه الخاصه والسفاره أن نفس لفظ الغيبه يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعنى أنه (عليه السلام) حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً فى كثير من الأدعيه كدعاء الندبه «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا» (١) وعده فقرات فى هذا الدعاء يتضح منها أنه (عليه السلام) حاضر وإنما التأسف فى البحث عنه باعتبار غيبته, أى خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين فى حين غاب بل استهزء به وسخر منه بعض الكتاب الإسلاميين, وما ذلك منهم إلا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبه وفسروها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفى الدقيق الخطير للغيبه فهمه أمثال الباحث الاستراتيجى الخطير والمُنظّر الدولى فرانسوا توال الفرنسى (٢) فى كتاب

ص: ٥٢٠

١- ١) فى كتاب المزار لمحمد بن المشهدى فى الباب التاسع تحت عنوان دعاء الندبه فى ص ٥٨١ جاء: «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا، بنفسى أنت من نازح ما نرح عنا، بنفسى أنت أمينه شائق يتمنى, من مؤمن ومؤمنه ذكرا فحنا، بنفسى أنت من عقيد عزّ لا يسامى، بنفسى أنت من أثيل مجد لا يجارى، بنفسى أنت من تلاد نعم لا تضاهها، بنفسى أنت من نصيف شرف لا يساوى». ٢- ٢) كتاب الجغرافيه السياسيه للشيعة تأليف فرانسوا توال وهو نائب رئيس الكتله الوسط فى مجلس الشيوخ الفرنسى وأيضاً هو من مركز الدراسات الاستراتيجيه الفرنسيه.

كتبه حول الجغرافيا السياسيّة للشيعة، وهذا الكتاب خطير جداً وقد نسخ وترجم للوقوف بدقه على أبحاثه لأنّ البحوث الاستراتيجية أشبه بالسريه، وقد ذكر هذا الباحث في كتابه أن معنى غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) عند الشيعة بمعنى الخفاء والسريه ليكون الإمام المهدي (عليه السلام) أنشط في حركته وحيويته في تدبير الأمور في العلوم الاستراتيجية والأمنيه، فإنّ السريه رمز القدره، والدول ترى في السريه قدره وقوه.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعاني الدقيقه وراء غيبه الإمام عليه (عليه السلام) في حين كتابات من المذاهب الإسلاميّه الأخرى تستخف بعقيدته الغيبه عند الإماميه، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضاله تستخف بالغيبه الكبرى بمعنى السريه الكامله حيث لا- سفاره ولا- نيابه خاصه، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدته الضروريه عند الطائفه الإماميه من انقطاع الاتصال الرسمي المعتبر بالحجه (عليه السلام) يعنى جمود الحجه بن الحسن (عليه السلام) عن مهامه ودوره في قياده البشريه ومواصله مهامها الرساليه، وأنه (عليه السلام) نائي في أقاصى البلاد لا يتصدى للأمر وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشري، بل الحق أنه لو ترك التصدي للأمر يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا في الأصعده المختلفه على البشريه، كما قال (عليه السلام) في التوقيع الشريف: «نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذى أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دوله الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى

أصابكم مذبح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إننا غير مهملين لمراعاتكم، ولا- ناسين لذكركم، ولولا- ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا على انتياشكم من فتنه قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أماره لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقيه! من شب نار الجاهليه، يحششها عصب أمويه، يهول بها فرقه مهديه، أنا زعيم بنجاه من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضيه، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه» (١) بل هو (عليه السلام) يدبّر ويدير الأمور البشريه جميعاً عبر أساليب خفيه وأدوات غيبه منتظمه تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإداره أن لا- تظهر إلى السطح والعلن في عصر الغيبه قبل الظهور، فالغيبه والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (عليه السلام)، في الساحة الاجتماعيه والسياسيه البشريه بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (عليه السلام) لا انقطاعه هو (عليه السلام) عن التصرف في أمورنا وأمور البشريه وفي المجتمعات المختلفه، كما قال تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٢) أي يحول أمام الفساد في الأرض وسفك الدماء.

ففي الوقت الذي يستخف بعض المسلمين بالغيبه والسريه، فإنّ أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوه والقدرة والتدبير.

ص: ٥٢٢

١- (١) الاحتجاج ٣٢٢: ٢.

٢- (٢) البقره: ٣٠.

وما بيناه من التفسير الصحيح للغيبة لا يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلا أن المهم أنه ليس له أى بروز وإعلان وتمثيل رسمى فى الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير فى السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعى ذلك فى العلن فهو كذاب ودجال.

يقول أولئك الباحثون الاستراتيجيون: إن السريه فى العلوم الاستراتيجية والعلوم السياسيه والعلوم العسكريه والعلوم الأمنيه هى تمام القدره، فكلما قلت السريه والخفاء كلما قلت القدره والمقدره والقوه، لأن الذى هو فى السر والخفاء يتواجد ويعيش فى سياج وحمايه أمنيه فلا يمكن لأى أحد أن يصل إليه فليست القضية حينئذٍ فيزيائيه لوجستيه حسيه بدنيه وإنما هى خفاء وسريه بمعنى عدم إمكان معرفه وكشف المختفى فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

شواهد التصدى للإمامه الفعلية:

وعليه فمن الخطأ أن تفسر الغيبه فى مقابل الحضور لأن معناها حينئذٍ أن الإمام (عليه السلام) فى فتره الغيبه الكبرى غير حاضر فما يذكر من تعابير نحو عصر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئه، فإن الإمام (عليه السلام) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعنى مستتراً ومختفياً وإلا فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضرورى وأنه (عليه السلام) يعيش فى وسط وكبد الحدث، ففى روايات الفريقين فى بيان وتفسير ليله القدر أن هناك برامج وملفات لإداره الأرض من صغير الأمور وكبيرها تنزل عليه من إحصائيات الأرزاق والآجال وإحصائيات البركات التى تردهر بها الأرض والآفات.

وهذه الاحصائيات لا تدرى حتى الدول العظمى أى تأثير وأثر لمحاسبات مثل هذه الاحصائيات، فإن علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذى يرسم استراتيجيه المستقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر استطاعه لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهذه الملفات والبرامج التى تنزل على ولى الأمر الإمام المهدي (عليه السلام) كل عام فى ليله القدر هى ملفات ومعلومات مُيدهله هائله مهوله إلى الآن ليست هى فى الوعى العلمى للبشر التى يعبر عنها فى العلوم الاستراتيجيه أو علم القيادة والإداره بالتدبير وإمساك الأرض باليد واختراق الأنظمه، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشيعة والسنيّة فى بيان ليله القدر (1) وفى ذيل سوره الدخان وسوره النحل وقد ذكرنا بيان ذلك فى كتاب الإمامه الإلهيه (2) كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى داله على ذلك كقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

ص: ٥٢٤

١- ١) الإمامه الإلهيه ٢٧٦: ٣/ الفصل السابع ليله القدر حقيقه الإمامه (أسيس المعرفه) و ٤٠١: ٣/ الفصل الثامن معتقدات الإمامه والمهدى (حاضر المعرفه).

٢- ٢) كتاب الإمامه الإلهيه مجموعه بحوث استغرقت العامين الدراسيين ١٤١٧ و ١٤١٨هـ- فى الجزء الأول وقد قام بتحرير وضبط هذه المباحث ثله من ذوى البصيره والمعرفه من تلامذه المصنف والكتاب يعتبر من أهم روافد المكتبه الإسلاميه فى باب العقيدته والمعرفه حسب منهج أهل البيت (عليه السلام) فى الإمامه الإلهيه، ويقع الكتاب فى أربعة أجزاء وثلاثه مجلدات ويحوى فى طياته ثمانيه فصول فضلاً عن فصول الجزء الرابع اشتملت على عدّه مباحث ومقالات وفوائد ونماذج وتطبيقات تضمنت بمجالها أبحاث ذات قيمه علميه عاليه جداً وبعد تخصصى نوعى فى بابها بل الكثير من مطالب الكتاب لم تخرج من قبل بهكذا أسلوب علمى وبعد تخصصى رصين، فجاء هذا الكتاب القيم فريداً فى بابهِ، ومن بين تلك الفصول المهمه التى لا ينبغى للقارئ إهمالها الفصل السابع والثامن الذين تجلى فيهما البعد التخصصى الفريد للمصنف فى هذا الباب حيث أكسب البحث المهدوى بعداً تخصصياً وطابعاً عصرياً لا يستغنى عنه المتخصص فضلاً عن غيره.

جاءت في الأرض خليفته (١) فلم يعبر بالرسول أو النبي بل قال: إني جئت في الأرض خليفته فهي معادله كليه دائمه دائبه إلى نهايه حياه البشريه في الأرض، فخلافه الله على الارض ابتدأت من أول الحياه للبشريه إلى انتهائها فحجه الله على الأرض كما ورد في الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق (٢)، وأول مهمته بينها الله للخليفه والحجه على الأرض هي دفع الإفساد والقيام بالاصلاح فأحد تسميات الإمامه في القرآن هو الخليفه لأنه يستخلف في التدبير والتصرف في الأمور فهو عنده قدره التدبير، ومن ثم أورد تعالى أول تفسير لمعنى الخليفه قول الملائكه بعد ذلك: قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (٣) ذكر اعتراض الملائكه لأنه يريد أن يتحدث عن إحدى وظائف الخليفه المهمه فيبين شأن ومقام وصلاحيات الخليفه من خلال الجواب على اعتراض الملائكه بالافساد في الأرض وسفك الدماء إذ قال تعالى: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ يعني هذان المحذوران اللذان يخشى الملائكه منهما يتم تفاديهما ودرؤهما وعلاجهما بتوسط الخليفه في الأرض كأبرز مهمته له فيها وهي دفع الافساد والحيلولة دون سفك الدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافساد أى الفساد الأكثر بأن تكون نسبه الفساد إلى الخير والصلاح أكثر من (٥٠٪) وإلا لو كانت (٥٠٪) أو أقل لم تصلح كماده نقض للملائكه إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفه هو الذى يحول دون الفساد

ص: ٥٢٥

١- (١) البقره: ٣٠.

٢- (٢) فى الروايه عن الصادق (عليه السلام) قال: «الحجه قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق» الكافي ١٧٧: ١/ باب أن الحجه لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام/ ح ٤.

٣- (٣) المصدر السابق.

الأ- كثر في الأرض سواء أكان ذلك الفساد أخلاقياً أم صحياً أم سياسياً أم إدارياً أم زراعياً... بل إنه سيعمل على عماره الأرض وإصلاحها في جوانب شتى فيحول بين الأنظمة المتحكمه المتغلبه على البشر وبين وقوع الفساد فإن له قدره إداره الأرض لأن الله استخلفه فيها وعلمه الأسماء وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) فهذا العلم الذي يعطيه الله (عزوجل) للخليفة يمكنه من إداره وتديير الأرض, وإن هذه الإدارة والتديير خفيه سريه وهى مصدر القوه والقدره لأجل الاصلاح النسبى وإلّا- فإنّ الاصلاح التام الكامل سيكون فى الظهور ودوله المهدي (عليه السلام) أما الاصلاح النسبى فهو الواقع والممارس منذ آدم (عليه السلام) إلى نبينا الخاتم (صلى الله عليه وآله) وإلى أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ هذه النسبه من الاصلاح والتديير كانت لدى كل الأئمه (عليهم السلام) وإن لم تكن معلنه.

فالبارى تعالى يقول للنبي إبراهيم (عليه السلام): قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٢) مع أن التاريخ لم يحدّثنا أن النبي إبراهيم (عليه السلام) قد ملك العراق أو الشام أو فلسطين أو مصر أو الجزيره العربيه, وهكذا أخبرنا البارى تعالى فى القرآن أن يعقوب وإسحاق جعلهما الله أئمه يهدون بأمره وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ (٣) وأيضاً لم يحدّثنا التاريخ أبداً عن أنهما تصديا إلى ملك فى العلىن.

ص: ٥٢٤

١- ١) البقره: ٣١.

٢- ٢) البقره: ١٢٤.

٣- ٣) السجده: ٢٣ و ٢٤.

فإن إبراهيم ويعقوب وإسحاق (عليهم السلام) نُسبت لهم الإمامه والقياده والتدبير والاصلاح مع أنهم كانوا يعيشون كالرعيه لأنظمه أخرى حسب صورته ظاهر السطح, ولكن التاريخ سجل لنا أن النبي إبراهيم (عليه السلام) استطاع أن يُبدل عقائد وعباده شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنيه إلى مله توحيديه حنيفيه.

ومعلوم ومذكور في العلوم الاجتماعيه والعلوم السياسيه والعلوم الحضاريه والعلوم الاستراتيجيه أن تبديل العقيدته والدين ليس من قدره الحكومات أبداً لأن العقيدته حكومه فوق الحكومات, فكيف استطاع إبراهيم (عليه السلام) كفرد تبديل عقائد تلك الأمم ولم تكن وسائل إعلام كما للغربيين الآن ولا غير ذلك, وقد نجد في التاريخ الحديث دولاً عظمى كالاتحاد السوفيتي لم يستطع تغيير دين وعقائد بعض الدول الإسلاميه مثل أوزبكستان وتركمانستان وأذربيجان فبكل ما أوتى من جبروت وخطره وسفك دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائه سنه حكم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم يتمكنوا من تغيير الدين والاعتقاد.

وما قام به إبراهيم (عليه السلام) ليس صدفة أو اتفاقاً أو فجأه أو طفره وإنما هناك شبكه وإداره خطيره كان يتحكم فيها النبي إبراهيم في تلك الشعوب من خلال ذلك استطاع أن يقيم وينجز التغيير العظيم, وهكذا النبي يعقوب أو النبي إسحاق (عليه السلام).

فالقرآن الكريم يطلعنا على أن الإمامه لها جهاز خفي نعرفه لو تأملنا سوره الكهف وقصه الخضر وموسى (عليه السلام) فالقرآن يريد أن يبين لنا أن الخضر كان في ضمن مجموعه خفيه لديها مأموريات ومهمّات

فهذه مقولات متشابهة مختلطة في معانى التقيه والغيبه قد تعمى الحقيقه إن لم نعمل الدقه فيها, فقد تفهم التقيه بعدم العمل وقد تفهم الغيبه بعدم الحضور والوجود أصلاً, وإلا- فلا بدّ من العلن, أى قد يخفى كيف يمكن تصوير تقيه وغيبه مع عمل ونشاط وقيام بتمام المهام والمسؤوليات.

وهذا البيان من الله فى سوره الكهف عن الخضر وأن هناك مجموعه إلهيه عامله لكى يبين البارى تعالى أن للإمام فى الأرض مثل هذه الأعوان والأنصار, فليس معنى سريره وخفاء وغيبه الإمام عدم الحضور وأنه نائى بعيد قاصى وليس موجوداً فى الساحه وفى الحدث, بل بمعنى عدم الظهور, فالغيبه لا بدّ من فهمها فى مقابل الظهور لا فى مقابل الحضور وأن تعبير زمن الحضور تعبير خاطئ, فإنّه لا يوجد زمن حضور وزمن غير حضور, بل حضور الإمام دائم, فالصحيح عقائدياً أن نطلق عليه زمن الظهور فى قبال زمن الغيبه, بمعنى أنه (عليه السلام) موجود بين أظهرنا وفى كبد وساحه الحدث إلا أنه ليس بظاهر بل مستتر مُختف غائب.

ومن خلال ذلك تبطل الكثير من الإشكالات المثاره من المدارس والمذاهب الإسلاميه الأخرى ضد مدرسه أهل البيت حيث فسروا وفهموا الغيبه فى مقابل الحضور فقالوا بما أنه غائب أى ليس بحاضر فكيف يكون إماماً ويتحمل مسؤولياته ويدبر أمور الأُمّه؟

اتّضح أن الإشكال مبتنى على تصوير خاطئ لمعنى الغيبه, فليس الإمام غير حاضر بل هو حاضر وموجود وإلاّ لساخت الأرض بأهلها (1).

ص: ٥٢٩

١- ١) فى الكافى للشيخ الكلينى ١٧٩: ١/ باب أنه لو لم يبق فى الأرض إلاّ رجلان لكان أحدهما الحجّه/ ح ١٠: على بن ابراهيم عن محمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل عن أبى حمزه قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت».

لولا إداره الإمام لشؤون الحياه على الأرض لساخت:

ومعنى لولا الحجه لساخت الأرض ليس إعجازاً محضاً وجيراً تكوينياً إذ أبى الله إلا أن يجرى الأمور بأسبابها, بل المعنى الصحيح أنه لولا- تدبير الحجه من خلال المعلومات التى تنزل عليه من الله (عزوجل) لكانت الأرض تنزلق فى الفساد فى مختلف المجالات الصحية والبيئيه وغيرها كانتشار الأوبئه والأمراض الفتاكه التى تفتك بالبشريه, فكثير من الأنظمه والقوى العظمى لا تستطيع أن تحول دون انتشار وباء يعصف بكل البشريه بل هم غارقون فى غفلتهم مهما تطورت علومهم وآلياتهم الصحية والمختبريه وغيرها فتلك الأنواع من الفساد كأنما جيوش لا يستطيعون التصدى لها, وإنما المتصدى والمانع دون وقوع ذلك الفساد الكبير فى مختلف المجالات البيئيه والصحيه والزراعيه والحيوانيه والأخلاقية والحقوقيه والسياسيه والأمنيه و... إنما هو الإمام, فهو الحائل دون قطع النسل البشرى ووقوع الكوارث الزراعيه والحيوانيه بل وحتى يحول دون انقطاع النسل الهوائى أى فى مقابل التلوث الهوائى, فهناك مخاطر عجيبيه تحدى بالبشريه وأولئك مهما أوتوا من علوم فهم يجربونها دون العلم بعواقبها ولا- يلتفتون للوازمها كالطفل الذى يفجر شيئاً لا- يعلم تداعياته ونتائجه, فنلاحظهم رغم كل ذلك يعانون ويهولون لأنفسهم أعمالهم وما يقومون به من معالجات غير مجديه لبعض المشاكل من ثقب الأوزون والتلوث البيئى والانقراض وغيرها من التداعيات

الخطيره ولا يعلمون كيف علاجها الواقعى.

إذن لا بدّ لله تعالى من حاكم يحفظ أمن البشر الصحى

والاقتصادي والأخلاقي والخلقى, ضد الأعمال والأساليب الشيطانية من خلال التدبير والإدارة, بحيث لا يمكن للعدو إعاقه إدارته وتدييره, لذا لا بد أن تكون تلك التدابير ونحوها خفيه سريه فى الأرض, فيكون ذلك الحاكم المدبر خفياً مستتراً.

فهناك آثار وظواهر عجيبة فى الغرب يشاهدونها ولا يعلمون أسبابها ولا كيفية علاجها مثلاً انتشار الإسلام فى الغرب وأميركا وأماكن كثيرة وذلك من خلال إحصائيات سجلت فى العام الماضى والذى قبله, فإنها إحصائيات مذهله, ظنوا أن السبب بعض الفضائيات الإسلاميه فأغلقوها ولم يكن ذلك منطقياً فإنّ بعض الفضائيات على قلتها ما هو تأثيرها فى قبال سيل هائل جارف وأسطول عظيم مهول من الاعلام من فضائيات وغيرها الموظفه للتأثير على الشعب الغربى, ثمّ ظنوا أن السبب هو الجاليات الإسلاميه القليله المغلوب على أمرها فضايقوها وقللوا قدر ما استطاعوا ولم تحل معضلتهم وهى انتشار الإسلام, فمهما سعوا وعملوا لن يكتشفوا سبب ذلك لأنه ليس بالأمر المكشوف كما يتصورون وإنما هو من تدبير الإمام وجهازه وأعوانه فى السر والخفاء لاصلاح الأرض ودفع فسادها.

جهاز تدبير الإمام:

كما تقدم فإنّ جهاز تدبير الإمام لا ينحصر بالنواب والسفراء كى يتوهم متوهم أنه بانقطاع السفاره والنيابه الخاصه يتعطل تدبير الإمام

ونشاطه وإنما الأمر أوسع من ذلك.

فإنّ من الأمر الظاهر الذى لا يتوقف على ظهور الإمام هناك جهاز

عام وهم النواب بالنيابة العامه والفقهاء والإمام يرعاهم ويتابعهم ويشرف على عملهم وإن لم يكن الفقهاء يرون الإمام كما أن هناك جهازاً خفياً من الملائكه وغيرها قال تعالى: **وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ (١)** فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْ تَعَالَى لِلْجَمِيعِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، فَاَلْمَطْلُوبُ مِنْ كُلِّ الْخَلْقِ السُّجُودَ وَالْخُضُوعَ وَالْإِطَاعَةَ وَالتَّبَعِيَةَ لِخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَعْرِضُ فِي سَبْعِ سُورٍ (٢) إِلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَاضِعُونَ مُتَبِعُونَ لِلْخَلِيفَةِ وَلَمْ يُسْتَشَنَّ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالَّذِي يَعْنِي شُمُولَ الْجَمِيعِ بِأَمْرِ الطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ فَحَتَّى جِبْرَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَعِزْرَائِيلَ وَدَرْدَائِيلَ

وَمَالِكَ خَازِنَ النَّارِ وَرِضْوَانَ خَازِنَ الْجَنَّةِ وَجَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ أَوْ غَيْرِ الْمُقْرَبِينَ.

ص: ٥٣٢

١ - ١) البقره: ٣٤.

٢ - ٢) قوله تعالى: **وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقره: ٣١)**. وقوله تعالى: **وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (الأعراف: ١١)**. وقوله تعالى: **وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (الحجر: ٢٨ و ٢٩)**. وقوله تعالى: **وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (الإسراء: ٦١)**. وقوله تعالى: **وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (الكهف: ٥٠)**. وقوله تعالى: **وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (طه: ١١٦)**. وقوله تعالى: **وَ يَوْمَ يَخْسِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (سبأ: ٤٠)**.

قال تعالى: وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (١)، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٢). فالقرآن الكريم يستعرض الكثير من القدرات التكوينية في عدة آيات ثم يعزوها ويسندھا إلى الملائكة على اختلافهم وتنوعهم ثم أمرهم جميعاً بالسجود لآدم (عليه السلام) أى لخليفه الله فى الأرض، فالمراد من المأمور بالسجود كل جموع وقبائل الملائكة عظیمهم وبسيطهم مقربهم وغيره، والمراد بالخليفه ليس فقط آدم، بل جميع الأنبياء والأوصياء، أى كل من تؤول إليه الولايه فيكون السجود والخضوع والانقياد بأمر الله للملائكة جميعاً لآدم ونوح وإبراهيم ومحمد (صلى الله عليه وآله) وعلى بن أبى طالب (عليه السلام) والحسن والحسين (عليه السلام) وللخلف الإمام المهدي (عليه السلام)، فالمراد من الخليفه الذى يستخلفه الله وهو الوالى الذى قلنا أن الله بين أبرز مهامه فى الأرض وهى دفع الافساد وإقامه الصلاح وأن الله قد رسم وعين لوليه جهاز عمله العظيم بهندسه متقنه فكما بينا هندسه اختيار الفقهاء لارتباط الإمام بالناس كذلك له تعالى هندسه عظيمه فى ترتيب وتنظيم جهاز الإمام الخفى فإنه تعالى أتبع الملائكة لخليفته فى الأرض وجعله والياً عليهم لأن علمه يفوق علمهم إذ قال تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣) فمىكون ذا علم أكثر يكون صاحب قدره أكبر، فتدبير خليفه الله فى الأرض بالعلم الذى يصله ويستلمه من

ص: ٥٣٣

١-١) النزعات: ٢.

٢-٢) النزعات: ٥.

٣-٣) البقره: ٣١ - ٣٣.

الله تعالى وأن ذلك التدبير من الإمام ينفذه ويمرّه عبر جهاز خاص ليس من البشر فقط, كما يستعرض ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الكهف, إذ هو مطاع من كل مخلوق قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (١)** فلم يقل: فاسجدوا بل قال: **فَقَعُوا** فهو أمر انضباطى معجل سريع, أما فاسجدوا ففيه شيء من التراخى.

فهذه القدره لخليفه الله فى الأرض وآدم (عليه السلام) أوّل نموذج فى سلسله أولياء وخلفاء الله الذين يعملون لاصلاح الأرض على رأس جهاز خاص من جميع الخلق.

وبهذا تندفع الكثير من الإشكالات والاعتراضات على جملة من عقائد الإماميه من الغيبه وغيرها والتي منها أن على بن أبى طالب (عليه السلام) كيف يكون خليفه الله فى الأرض وهو جالس فى بيته خمساً وعشرين سنه, فقد اتضح أن عمل خليفه الله فى إصلاح الأرض ليس موقوفاً على توليه السلطه والحكم فى الظاهر والسطح المعلن وإنما للإمام أنماط وأشكال من الحكومات يديرها لاصلاح الأرض ودفع الفساد, ومن أعظم أساليب النفوذ والحكومات التى يديرها هى الحكومات الخفيه, فلإمام تدبيرات سرية خفيه لم يطلع عليها ولم يفهمها أصحاب العقول الصغيره والنظره الضيقه فرأوا أنه (عليه السلام) جليس البيت خمساً وعشرين سنه.

ونفس الإشكال أوردوه على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو فى السجن والجواب بات واضحاً فلإمام تدبيرات وفق ما بيناه وهكذا فى الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ نقرأ فى دعاء الندبه: «أوطأته مشارق الأرض

ص: ٥٣٤

ومغاربها» (١) فمع أن الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) لم تتجاوز أسفارهم الشام والعراق والجزيرة بشكل عام فكيف وطأوا مشارق الأرض ومغاربها؟

وما ذلك إلا بتدبيرات خفيه لهم (عليهم السلام)، فالرسول حتى قبل بعثته كان نبياً وإماماً فإنّ نبوه وإمامه الرسول لم تتأخر إلى سن الأربعين، نعم بعثته الرسمي كرسول تأخرت إلى الأربعين، فلا تخلو الأرض من الإمامه فإنّ النبي والإمام وطأ مشارق ومغارب الأرض ليس في أسفاره وتنقلاته المتعارفه عندنا، وإنما ذلك بتدبيراتهم ونحوها في موارد طى الأرض ونحو ذلك.

معنى أعمق للغيبه:

فعندما نقول الغيبه مقابل الظهور يعنى أن في فتره الغيبه لا بدّ أن تكون جميع عناصر جهاز الإمام غير ظاهره أى سرية مخفيه فلا نغلو في معنى الغيبه وانقطاع النيابة الخاصه، فلا يأتي متقمص مُنتحل كذاب دجال مزور ذو ألعيب يدعى التمثيل الرسمي للإمام وأنه من شبكته

الأمنيه أو جهازه التدبيرى أو غير ذلك، فإنّ ذلك ينافى الغيبه ويخالف السريه والخفاء، إذ لا نتصور أنه عنصر أمنى إلهى وليس أمنياً بشرياً ويكشف السر الإلهى إذ كونه من جهاز الإمام السرى سراً إلهياً وأن كشفه أول الدجل والكذب، فإنّ هؤلاء الأوتاد أو الأبدال ونحوهم لو

ص: ٥٣٥

١ - ١) في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى: ٥٣٣ في دعاء الندبه المبارك جاء هذا المقطع الشريف: (أوطأته مشارقك ومغاربك وسخرت له البراق وعرجت بروحه إلى سمائك وأودعته علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك).

شم منهم رائحة النشاط الإلهي العلني أتاهاهم عزرائيل وأطلق عليهم رصاصه الموت، أى نزع أرواحهم، فالتاريخ يحدثنا عن كثير من الأوتاد والأبدال فما أن حصلت نوع من الريبه حوله يأتية الأجل بسرعه، لم ذلك؟ لأن ذلك تصفيه وهى مطلوبه وحاله طبيعه فى طبيعه النظام الأمنى، فأى عنصر يبرز ويظهر لا بد من تصفيته، لذا فالذى يدعى أنه من جهاز الإمام أو له تمثيل رسمى من الإمام ونحو ذلك فهو أول الدجل لمخالفته السريه إذ لا يتصور الخفاء مع العلن.

فمع أن للإمام دوائر وشعباً إداريه مختلفه وجهاز عمل وتديير كامل عجزت الدول العظمى كالعباسيه والأمويه عن اكتشاف فرد أو عنصر منه لأن مقتضى عمله السريه.

وهكذا النبى موسى (عليه السلام) عندما أراد أن يلتقى مع الخضر فلما كان الخضر من عناصر هذه الشبكه السريه لم يلتق به فى البيت الفلانى أو المكان الفلانى أى لم يكن موعده معه موعداً وفق الموازين المتعارفه وإنما أعطاه الله شفرتين لمعرفته ذكرت شفره فى القرآن وذكرت الأخرى فى الروايات، فالأولى: فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصِيبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا

نَبِغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصِيصًا (١) فالعلامه أن يضيع منه السمك فالله تعالى قال لموسى (عليه السلام) إذا ضاع منك السمك ستلقى العنصر الإلهي فى الشبكه الخفيه.

ص: ٥٣٦

والعلامه الثانيه أن ذلك العنصر يكون مستلقياً ومغطى بلحاف والنبى (عليه السلام) لما وجد هاتين العلامتين المنحصرتين رأى الخضر فقال: هَلْ أَتَّبِعُكَ وبدأت القصه.

فموسى (عليه السلام) نبى من أولى العزم لم يستأمنه الله إلا مع إعمال تلك الدقه الأمنيه الاستتاريه لأن الخضر كان فى ضمن شبكه أمنيه خطيره مخفيه وهذه القضايا الأمنيه الخطيره هى سر الله التى عجزت عنه الدول العظمى فلم يتمكنوا من اختراقها لشده نظمها وخفائها وصعوبه تديرها.

وقد تقدم وبيننا أن كل ذلك من الخضر لم يكن ليتجاوز الضوابط والضروريات واعتراض النبى موسى (عليه السلام) إنما هو لإعمال القواعد الرقابيه.

فإذا كان الله لا يكشف أحد أفراد تلك الشبكه السريه لنبى من أولى العزم, بل وبعد ما عرفه ورافقه لم يستطع الاستمرار قال هذا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُبَيِّنُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْـَٔتِـطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١) أى انقطع الاتصال بين النبى وبين الخضر وعادت السريه التامه, فإذا كان ذلك مع موسى (عليه السلام) فكيف بآحاد الناس والعاديين منهم, فالقرآن الكريم يقول نبى من أولى عزم لم يعرف فرداً من الشبكه السريه إلا بشفرتين ولم تدم مرافقتهما

وانقطع الاتصال وعادت السريه, فكيف نقبل ونتصور أن يأتى إنسان عادى وفرد بشرى يدعى أنه من الشبكه السريه, فلنتعظ ولنأخذ العبر والدروس من القرآن بأنه لا كشف للشبكه السريه فهى سر الله الأعظم ولا ننخدع بالأعيب وتفاهات المغرضين فَإِنَّ أَوْلَئِكَ دَجَالُونَ مَزُورُونَ

ص: ٥٣٧

(١ - ١) الكهف: ٧٨.

مسيئون قال تعالى: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١) فمن يحاول الدخول من الدجالين على خط خطير وشبكه أمنيته سريته أخفاها الله ويكون دخولكم بدعاوى باطله مغرضه أولئك مصيرهم الهاويه ومنزلقات خطيره عجيبه.

* * *

ص: ٥٣٨

١-١) الروم: ١٠.

كيف نصر الإمام المهدي (عليه السلام):

المؤمنون بمقتضى إيمانهم وأتباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) ينجذبون ويساهمون في نصره الإمام المهدي (عليه السلام) وينبغي أن يعلم أن الطريق الوحيد لنصره الإمام (عليه السلام) هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الظهور هو إعلان مشروع الإمام المهدي (عليه السلام) من قبله (عليه السلام) بشكل علني أمام البشرية، فإذا كانت البشرية كلها عاصيه ومتمرده على مشروع الإمام (عليه السلام)، فهل يمكن للإمام (عليه السلام) أن ينتصر؟

مما لا شك فيه أن البشرية إذا كانت متمرده على مشروع الإمام لا يمكن للإمام (عليه السلام) حينئذ أن ينتصر، لأن الظهور من سنن الله تعالى وأنه تعالى أبقى إلا أن يجري الأمور بأسبابها وليس بالإعجاز فقط ومحض الغيب، كما بين ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (١).

فإن الله تعالى كتب لدوله العدل أن تقام على الأرض لكن متى توفرت الشرائط والمعدات لذلك، وهذه توفرها البشرية بأن تستعد وتتقبل ذلك وتقوم به ومن أهم ذلك نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والقيام به بشكله الصحيح وإلا استمر تأخير إقامه تلك الدوله.

وهناك عدّة روايات يظهر منها أن ظهور وإقامه دوله العدل ودوله أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كان مقدراً في زمن الإمام الحسين (عليه السلام) وكذا في

ص: ٥٤١

زمن الصادق (عليه السلام) أو الكاظم (عليه السلام) (١)، ولكن بدا لله تعالى تأخير ذلك، لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) توانوا في القيام بالدور المناسب، وما ذلك إلا لأن الظهور ليس أمراً جبرياً ولا تفويضياً بل هو أمر بين أمرين، فإن قاعده الأمر بين أمرين جاريه حتى في الفعل الاجتماعي والحضاري والسياسي.

وعليه فلما كان الأمر كذلك فلا تتوقع الظهور وقيام دوله الحق مع عدم النصره وأن النصره له (عليه السلام) لا بد أن تكون من الأفراد ومن المجتمعات والدول ولا- تتصور حصول النصره له من الأفراد والمجتمعات والدول إلا إذا انتشر الاعتقاد بمشروع ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهو مشروع الظهور ومشروع الإمام المهدي (عليه السلام).

وقد ورد في الدعاء: «مؤمن يا يابكم، مصدق برجعتمكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم» (٢)، فإن هذا ترتب تصاعدي، مؤمن، ثم مصدق، ثم منتظر، ثم مترقب، ولكل درجه ومرتبه من هذه العناوين شرائط ووظائف خاصه كما له مفهومه الخاص، فالمنتظر هو الذي يباشر العمل أي من يقوم بإيجاد مقدمات تتوقف عليها تحقيق نتيجته معينه، والمترقب هو من أنجز العمل ووفر وحقق ما مطلوب منه كمقدمات لذلك العمل ولم يبق له إلا الحصول على هدفه وأخذ النتيجة.

ص: ٥٤٢

١- ١) روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ٤٢٧/ ح ٤١٦ و ٤١٧، عن أبي بصير قال: قلت له - الإمام الصادق (عليه السلام) -: ألهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟ قال: «بلى، ولكنكم أذعتم فزاد الله فيها». وعن الباقر (عليه السلام) قال: «إن الله تعالى كان وقت لهذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين (عليه السلام) اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائه سنه، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر، فأخره الله...».

٢- ٢) من لا يحضره الفقيه ٣٠٥: ١/ باب ما يجزى من القول عند زياده جميع الأئمه (عليه السلام) / ح ١.

فإذا كنا منتظرين لظهور الأمر وتحققه لا- بدّ من تحمل المسؤولية والعمل على تحقق مقدمات الظهور وهي نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لنكون بعد ذلك مترقبين للظهور وإقامه دوله العدل والحق, فالانتظار نوع من التفاعل مع عقيدته الظهور وعقيدته إمامه الإمام المهدي وليس إبقاؤها عقيدته تجريديه بل لا بدّ من تفعيل تلك العقيدته من خلال تفاعل الإنسان بأن عنده مشروع مهدوي.

فإنّ عقائد أهل البيت (عليهم السلام) دوماً واستمراراً تترجم بمشاريع عمليه ميدانيه اجتماعيه سياسيه وليست عقائد أهل البيت عقائد تجريديه تظل في السطور والكتب وتحمل في القلوب دون تفعيلها وليست هي عقيدته فرديه يعيشها الفرد في نفسه أو في ظرفه وميدانه الخاص وإنما هي عقائد تقتضى الارتباط بالمجتمع وتحمل المسؤولية بالموقف السياسي والاجتماعي فهي عقائد لها تداعيات وتوجهات وتأثيرات خارجيه فعليه, فمثلاً- العقيدته بالإمام الحسين (عليه السلام) تعنى تحمل مسؤوليه النهي عن المنكر الاجتماعى والنهي عن المنكر السياسى والنهي عن المنكر المالى وهكذا...

وكذا تحمل مسؤوليه الأمر بالمعروف والاجتماعى والسياسى والمالى و...

لذلك تقول بعض الدراسات الغربيه: إن عقيدته الإمام الحسين عقيدته خطره لأنها تمنع وتمانع وتقاوم الذوبان في الثقافات الأخرى فإنّ هذه العقيدته فيها خصائص وصفات تمنع التأثير بالغير حيث إن كل المسلمين ذابوا في الغرب إلا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) _ وقد تقدّم بيان هذا المطلب _ والسبب الرئيسى هو الاعتقاد بالإمام الحسين (عليه السلام)

ووجود المرجعيات الدينيه المتعاقبه الحامله لهذا الفكر والناشره والعامله به, فهو منهج مفعول وعقائد وثقافه تطبيقيه لا يمكن القفز عليها, لذا فهى مبادئ غير قابله للتأثر بالغير لأنها مبادئ عمليه تطبيقيه.

إذا مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) خطر عليهم ويقلقهم لأنه مشروع حيوى ميدانى.

وهكذا الكلام فى العقيده بالإمام المهدي (عليه السلام) فهى إحدى عقائد مدرسه أهل البيت المهتمه وعموم المسلمين, فليست هى عقيده قلبيه بين الفرد ونفسه أو تبقى حبيسه السطور وإنما هى عقيده فعليه عمليه اجتماعيه لها تداعياتها وتموجاتها التى تبنى صرح الدوله الإسلاميه الصحيحه المستقيمه وفى نفس الوقت تهدم كل مخططات الكفر والكافرين.

وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كتاباً خطيراً للخبير والباحث الاستراتيجى فرانسوا توال باسم الجغرافيه السياسيه للشيعة إذ يتعرض فيه لعقيدته الإمام المهدي (عليه السلام) ويقول فيه: (إن عقيدته الإمام المهدي عند الشيعة ليست عقيدته تجريدية جموديه بل هى عقيدته مشروع دولى عولمى اممى) ويضيف هذا الكاتب القول: (والمشكلة أن هذا الطموح الخطير لا نجده فى أى مله ولا نحله ولا جماعه أخرى) ثم يحذّر بالقول: (فلذلك يجب على المراقبين الدوليين أن يلتفتوا إلى خطوره هذه العقيدته فإنها ليست عقيدته وحسب, بل هى مشروع عالمى متكامل. لاسيما أن هذا المشروع أكبر شعار لكل مؤمن بالعداله وهو العداله المطلقه), ومعلوم أن العداله هى أنشوده كل البشريه على طول التاريخ, إذ مذهب أهل البيت يحمل شعار العداله المطلقه وينفى العرقيه والعشائريه والتمييز الطبقي

والاجتماعى... والمقياس هو: «كلكم لآدم وآدم من تراب» (١)، و إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٢) وهذه ليست موجوده فى المدارس الإسلاميه، الأخرى بل ولا الملل والنحل الأخرى.

إذا نحن لا بدّ أن نتحمّل المسؤليه إذا كنّا ننتظر الظهور، وذلك بأن نسعى للاعداد للظهور وهذا الإعداد لا يكون إلا بوسيله وحيدته وهى الأولى والأخيره فى تحقيق الظهور وهى نشر مذهب وعقائد أهل البيت، لأن نشر مذهب أهل البيت يعنى نشر شروط وقواعد العدل ونظم العدل الحقيقى وكيفيه برمجه العدل والعداله والحرية والقسط والقسطاس فإنّ أبرز مهام الإمام (عليه السلام) عند ظهوره ونهضته وإقامه دولته هى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فإنّ هذه الميزات هى من خصائص ومنهاج آباءه وأجداده الأئمه الطاهرين (عليهم السلام) وهنا أكبر برهان قانونى واجتماعى على كون نشر مذهب أهل البيت هو طريق الإعداد للظهور حيث يقول علماء القانون وعلماء الاجتماع وعلماء العلوم السياسيه الأكاديميه أنه إذا اريد تطبيق نظام معين وإقامته على الواقع الخارجى فلا بدّ أولاً وفى الدرجه الأساس من تثقيف المجتمع على تعاليم ذلك النظام، بل لا بدّ من التشدد فى تعليمهم ذلك النظام نظرياً أى لا بدّ من التهيئه النظرية والتي هى عبارته عن الاعتراف والاعتقاد بذلك النظام أولاً ومعرفه بنوده وإرشاداته...

وهكذا فى دوله الإمام (عليه السلام) فإنّ المنشود منها هو إقامة دوله الحق والتي هى على طبق منهج أهل البيت فلا بدّ أولاً من التهيئه والإعداد

ص: ٥٤٥

١-١) بحار الأنوار ٢٨٧: ٦٧.

٢-٢) الحجرات: ١٣.

لذلك بأن يعتنق الناس مذهب الحق ومعرفة عقائده وإرشاداته وبنوده وأمثليته وأمثولته الموجوده فى الكمال كى تأتى المرحله الثانيه وهى التطبيق العملى وإنجاز العمل وهو الظهور.

إذا مرتبه الإعداد والتهيئه وطلب وانتظار الظهور هى المعرفه النظرية لكافه البشر بأن مشروع الإمام المهدي ودوله الظهور هو الأ-حق والأكفأ والأجدر والأمثل فى معالجه مشاكل البشر من الظلم والفساد, فحينئذٍ بهذه الطريقه نمهد لظهور الإمام (عليه السلام) وإقامه الدوله المباركه وبسطها على العالم ولا نتصور من دون ذلك تحقق انتصار الإمام وإقامه الدوله إلا بالمعجزه أو الطفره, ولكن الله تعالى أبى إلا- أن تكون الأ-مور بأسبابها ومسبباتها وليس بالمعجزه, كما أن الطفره باطله ومخالفه للقوانين والقواعد العقلية, وقد تقدم أن أولى القواعد الرقابيه على الحجج هى بديهيات العقل وبديهه العقل تقضى أن لكل مسبب سبباً فلا بد أن تكون دوله الإمام (عليه السلام) وفق أسبابها ومقدماتها لا بالطفره.

وعليه فمسؤوليه الانتظار هى الإسهام والعمل والنصره المؤكده للإمام (عليه السلام) من خلال نشر مذهب ومنهج أجداده المعصومين لأنه (عليه السلام) سيكون مقيماً لكتاب الله ومحياً لئسائه رسوله (صلى الله عليه و آله) ومطبّقاً لمنهاج و سنن الأئمه المعصومين (عليهم السلام), وهذه المهمه لا تكون إلا بتقديم المعرفه النظرية لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذه الخطوه من التثقيف والإعداد بنشر عقائد أهل البيت هى التى يحذّر منها فرانسوا توال فى كتابه (الجغرافيه السياسيه للشيعه) الذى كتبه قبل ست سنوات حيث يقول: (إن أخطر ما فى هذه العقيدته أنها بالإمكان أن تنتشر بين الشعوب والدول بين ليله وضحاها وأخوف ما أنبه عليه المسؤولين الدوليين أن هذه

العقيدة لا تحتاج في انتشارها إلى مؤونه لأنها تحمل شعاراً تشده كل الأمم والشعوب وهو الحرية والعدالة المطلقة).

ويضيف هذا الكاتب: (إني أقدّر سرعة انتشار هذه الدعوة بأن تكون أسرع من انتشار الشيوعية والاشتراكية) فهو يخاف من سرعة انتشارها لأنها دعوته حق وعدل، والناس متعطّشه لذلك فما أسرع اعتناق الشعوب لهذه المبادئ الساميه والنبيله في مذهب أهل البيت، وهذا يحتاج للعمل وتحمل المسؤولية في النشر والتثقيف وإيصال العقائد للشعوب كي ينخرطوا في اعتناق مذهب الحق.

ولذلك فإنّ الغربيين والملحدّين وأصحاب الفكر المنحرف من بعض الديانات لما اكتشفوا مكان من الخطر المحدق بهم وبرئاساتهم وعروشهم بدأوا الحرب ضد دوله الإمام (عليه السلام) قبل قيامها وذلك من خلال عرقلة مقدمات إقامتها فحاولوا ويحاولون تبديد طاقات المؤمنين في دعاوى ضاله تحيد بهم عن الطريق ونشر الخزعبلات والأساطير والخرافات والهلوسات التي لا تمت بأيّ صله لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيروجون كل تلك المعرقلات للحدّ من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل ويدخل عملهم أحياناً في مسار التثقيف السلبي لفكر أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أخطر عدو.

فإذا الأمر مهم جداً وحساس وخطير، وهناك ألعيب وتدابير خلف الكواليس تحاك، وهناك نشر لتعاليم زائفه باطله عن الإمام ودولته وثقافته وحكمه. ولكن لا بدّ لنور الله أن يشع ويملأ الأرض، قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١).

ص: ٥٤٧

وهذه الآيه تعتبر دليلاً آخر على أن طريق تمهيد الظهور هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإن معنى انتشار نور الله هو انتشار لمعتقدات أهل البيت، وهكذا فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١) فإن الاظهار يحصل باعتناق الناس للإسلام بحقيقته وهى الإيمان وهو مذهب أهل البيت وليس الإسلام بظاهره القشرى، وهذا لا يكون إلا بانتشار تعاليم مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

فإن قومه إنجازات دوله الإمام (عليه السلام) هو نشر الهدايه فى كافه أرجاء الأرض، فالنتيجه تعتمد على استراتيجيه دوله الإمام المهدي (عليه السلام) ونحن إذا أنجزنا هذه الخطوه وهى نشر التعاليم النظرية فى العالم، فكأنما نحن أنجزنا غايه الإنجازات للدوله بعد الظهور فكيف لا يسهم نشر مذهب أهل البيت فى الظهور وهو يعتمد على نفس استراتيجيه دوله ما بعد الظهور بل نشر تعاليمهم ومناهجهم هو عمده العماد للظهور.

وقد يتوهم البعض استناداً إلى فهم خاطئ من بعض الروايات التى تقول كما يشيع ويساعد على ذلك أعداء أهل البيت تقول: إن الإمام يظهر ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً (٢).

ص: ٥٤٨

(١ - ١) التوبه: ٣٣.

(٢ - ٢) فى كمال الدين وتمام النعمه للشيخ الصدوق فى الباب الرابع والعشرين فى الحديث السابع والعشرين جاء عن رسول الله : أن «خلفائى وأوصيائى وحجج الله على الخلق بعدى اثنا عشر أولهم أخى وآخرهم ولدى»، قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: «على بن أبى طالب»، قيل: ومن ولدك؟ قال: «المهدى الذى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً والذى بعثنى بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدى المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلى خلفه وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب».

فإنهم يتوهمون أن الإمام (عليه السلام) يظهر إذا امتلأت الأرض بالفساد والجور والظلم... فلا بدّ من انتشار الفساد لا الإصلاح والهدايه وهذه من المغالطات التي يروج لها الأعداء.

وإنما المراد بذلك أمر بين أمرين فمعنى امتلاء الأرض بالفساد والجور يعنى مجتمع معسكر الفساد فى قطب مقابل تجمع معسكر الإعداد للظهور فى قطب آخر, أى فإنّ الأرض كما ملئت ظلماً وجوراً فهى مستعدّه بعد نشر العقائد الحقه لكى تكون أرضاً خصبه للظهور وامتلائها عدلاً وقسطاً وإلاّ- فلو امتلأت الأرض كلها بالفساد فكيف ينتصر الإمام وكيف تكون له القياده والرياده, فهو نظير إرادته انتخاب شخص للرئاسه ونحن نقول لجميع الناصيين لا تنتخبوه!؟

ومما يؤيّد ويساعد على أن الإعداد إنما يكون بنشر المذهب الحق ما ورد من روايات تبين أماكن ظهور أنصار الإمام (عليه السلام) ال- (٣١٣) فإنّها تبين أماكن مختلفه من الهند والصين وأوروبا واليابان فهم من كل نقاط العالم وليس من الشرق الأوسط فقط, فكيف يخرج أولئك ما لم ينتشر عندهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كما يؤيّد ذلك روايات الملاحم حيث تذكر أن هناك رايه فساد معاديه واحده وهى رايه السفينانى فى قبال عدّه رايات إصلاح وتمهيد ونصره كاليمانى والخراسانى ورايه من المغرب وأن هناك رايات متعدده مواليه لأهل البيت (عليهم السلام) فإنّ درجات الموالاه تختلف, وهذا يدل على أن أكثر العالم يكونون على وعى وإدراك واقتناع بتعاليم دوله الظهور, نعم هناك قلّه تبقى على الضلال وتدخل فى رايه السفينانى وتكون معاديه لمذهب أهل البيت.

فمقتضى الضروريات ومقتضى الإصلاح والمنطق السليم هو أن الإعداد للظهور هو نشر العقائد الحقّه وليس الفساد، فإنّ ما ينشده العالم اليوم من الحداثه والعولمه وحقوق الإنسان والإصلاح والسلم والمساواه... كل ذلك تحت عنوان مشروع إصلاحى عالمى منقذ هذا لا ينسجم ولا يتوافق إلاّ مع مذهب أهل البيت دون غيره من الأديان والمذاهب الأخرى قاطبه، فهذه المضامين فى العناوين المطروحه على الساحة العالميه عباره عن دروس ومضامين لا تتفق مع المسيحيه ولا اليهوديه ولا المذاهب الإسلاميه الأخرى فضلاً عن البوذيه والهندوسيه وكل الأديان المنحرفه الأخرى، وهذا من الملاحم الأديانيه الإعجازيه أن تنتشر هذه الثقافات والعناوين التى تحتوى بنود منهاج الإسلام عند أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لا بدّ من الإعانه والإسهام فى انتشارها الصحيح وليس الانتشار السلبي والتوظيف المصلحى الهدّام، كما تفعل الدول العظمى حيث تستغل هذه العناوين فى تحقيق أهدافها وأغراضها التى هى فى حقيقتها مخالفه لواقع هذه العناوين.

فالأنظمه الدكتاتوريه والمنحرفه والماديه... فى نفس الوقت الذى تنشر الفساد هم مضطرون للترويج لهذه الثقافات على نحو المطالب المستقبلية والتأمل فى المستقبل المنشود... وهذا ما يساعد على استغلال ذلك لنشر الثقافه الصحيحه وبيان أن المشروع الإصلاحى والمنقذ الوحيد المحقق لتلك العناوين المنشوده، والمطبّق لها على الواقع هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام).

والحاصل أنه لا بدّ لنصره الإمام من إعداد القاعده الجماهيريه وليس الكلام عن وزرائه الثلاثمائه وثلاثه عشر وإنما الكلام عن القاعده

الواسعه على الأرض وهى الجماهير فلا بد أن يكونوا على مستوى من الوعى والثقافه المهدويه والعلم بينود وأهداف دوله الإمام ليكونوا عمود قيام تلك الدوله ضد الظلم والظالمين.

لذا فإن الانتظار الحقيقى والانتصار والعون الأكبر فى نصره الإمام المهدي (عليه السلام) وطريق الإعداد الوحيد لمشروع الظهور هو نشر منهاج وطريقه وعقيده أهل البيت (عليهم السلام).

ومن يحاول التحايل على ذلك فليعلم أنه إما يدجّل أو دُجّل به وإما يكذب أو كُذّب عليه وإما ضل أو ضلل به, لأن إعاقه نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى إعاقه لمشروع الظهور لا محاله فى حين أن أكبر وأقوى سلاح لعون ونصره الإمام (عليه السلام) ولمشروع الظهور هو نشر معارف وعقائد وتعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسداد وصواب وشفافيه وبلا أى تحريف وتلويث, لأن مشاريع وعقائد أهل البيت (عليهم السلام) هى مشاريع مناهضه للظلم, وهكذا هو مشروع دوله الإمام (عليه السلام).

إذاً عقيدته أهل البيت (عليهم السلام) هى عقيدته مشاريع وهى فى المآل ومنتهى المطاف هى مشروع الإصلاح وإقامه العدل والحرية أما إذا لم نستطع أن ننشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) فى أرجاء الأرض فلا نتوقع الظهور ولا يمكن أن نوقّت له فإنه كلما تلبّك انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كلما تلبّك وتأخر الظهور ولا ريب ولا شكّ بذلك حسب الروايات, فإن أصل معنى رايه اليمانى ورايه الخراسانى وغيرها رايات مناصره لأهل البيت (عليهم السلام) فى قبال رايه واحده معاديه وهذا يعنى أن القاعده الجماهيريه تهتف بأهل البيت (عليهم السلام) والعالم بأكمله قد استجاب لنداء أهل البيت (عليهم السلام) وصاروا محبين لهم ومتبعين لتعاليمهم وأن هناك قلبه

قليله ترفع رايه ضد مشروع الظهور والذي يعنى أن عقيدته ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) انتشر فى جميع العالم.

وعليه فهذه علامه واضحه وتوقيت لا لبس فيه، بل وعلامه حتميه من الأئمه (عليهم السلام) وهى أنه إذا انتشر منهاج أهل البيت وعقائدهم وتعاليمهم فقد حان وأزف الظهور فإذا والى المسلمون أهل البيت (عليهم السلام) لاسيما فى بقاع المسلمين لأنها هى منطلق الظهور فقد حان الظهور.

وأما إذا لم ينتشر مذهب أهل البيت بل كان الناس على عداء لهم والعياذ بالله، أو كانوا على قطيعه وبعد من أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا يبغضونهم وينفرون من مذهبهم (عليهم السلام) فهذا يعنى تأخر الظهور قطعاً.

وعليه فهذه علامه حتميه بأيدي الناس يستطيعون تحقيقها وإنجازها ومن خلالها العلم واستعلام الظهور.

فعندما تذكر الروايات أن من أفضل العبادات انتظار الفرج كما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل العباده انتظار الفرج» (١)، وعن على بن الحسين (عليه السلام) قال: «تمتد الغيبه بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمه بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفه ما صارت به الغيبه عندهم بمنزله المشاهده وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاه إلى دين الله سرّاً وجهراً» (٢).

وإن الانتظار صفه المؤمنين الموالين فإنّ للانتظار أدبيات

ص: ٥٥٢

١-١) كمال الدين: ٢٨٧/ باب ٢٥/ ح ٦.

٢-٢) بحار الأنوار ١٢٢: ٥٢.

وواجبات فقد اتضح أنه من واجبات الانتظار والمنتظر هو السعى لنشر منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وأن يكون مترقباً من خلال نصره الإمام والنصره لا تكون إلا بنشر عقائد وتعاليم سبيل الحق من مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لذا فالذى يكون ناصراً ومنتظراً ومترقباً لأهل البيت ولدولتهم وللمهدى (عليه السلام) هو من ينشر مذهب الحق وليس من يحرف ويعرقل مذهب أهل البيت ويدخل الأساطير والخزعات والخرافات و... فإن ذلك لا تستجيب له الفطره البشريه وعليه فأعداء أهل البيت من الظلمه والطواغيت و... تجدهم يمنعون نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال خلق التيارات المنحرفه ونشر الأساطير الباطله ونحوها.

وهذا لا ينطلى إلا على السذج والبسطاء وإلا فإن منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هو مذهب المنطق والبرهان والدليل والبيان والعقل والعقلانيه الذى تهتف به كل فطره البشر وهو الذى يخافه أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

إذاً طريق الظهور والتوقيت له بعلاماته الحتميه، ومسؤولياته هى الانتظار والوظيفه العمليه للمؤمنين فى زمن الغيبه هو السعى لتثقيف البشريه بثقافه السداد والصواب والحق والهدايه والنور وذلك بنشر عقائد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

فهذا هو السبيل الوحيد لتقريب الظهور وتوقيته وهو العلامه الحتميه على ذلك، فإن الروايات بينت أن ضابط الظهور هو مناصره غالب المسلمين وموالاتهم لأهل البيت (عليهم السلام)، فإن ذلك هو أرضيه الظهور وهى مسؤوليه الانتظار.

وليس كما يبين بعض الدجالين والمضلين بأن يعيشوا فى الأرض

فساداً فى مقابل السداد والتقوى فى منهاج أهل البيت (عليهم السلام) فيذكر بعض المزيّفين والدجالين أساليب وألعيب فى الدين ويترك كل تعاليم الدين والعبث بالضروريات والسنن بدعوى أنه إذا انتشر الفساد فى الأرض فإنّ الإمام يظهر لدفع ذلك.

ولكن من الواضح والجليّ جداً أن هذا من ألدّ أعداء أهل البيت وأشدّ المعوقين والمانعين للظهور وإقامه دوله الحق وإلا فقد بينا أن تأويل مغزى الروايات هو أن أغلب الرايات التى تظهر هى مناصره للإمام (عليه السلام) وما ذلك إلا بمعنى انتشار عقيدته أهل البيت (عليهم السلام) وكون أغلب البشريه من المواليين والمحبين لهم (عليهم السلام).

فلا بدّ أن تكون الأرضيه مؤاتيه للظهور ولا تكون كذلك إلاّ بنشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا بنشر الفساد والضلال ومعاده أهل البيت (عليهم السلام).

التوقيت والتفاؤل:

الإنسان تاره يعتقد بشيء فيه الخير له ولعموم الناس فلا بأس أن يتفائل به, بمعنى أن يرجوه ويطلبه من الله تعالى ويتوقّع وينتظر قرب تحقّقه, ولا- ريب أنّا نعتقد الخير بل كل الخير فى ظهور الإمام صاحب العصر والزمان لينشر الحق والعدل وإقامه دولته الكريمه المباركه, فلا بأس أن تتفائل بذلك ورجوه من الله تعالى.

ولكن إيانا أن يكون ذلك الطلب منّا بالتوقيت بمعنى أن نحتمّ ادعاء شيء على الله تعالى, فإنّ ذلك ممنوع بنصّ كثير من الروايات منها:

عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّداً بن عثمان العمري (رض) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت على فورد(ت)

فى) التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عليه السلام): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك...»، إلى أن يقول: «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقتون» (١)، وعن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم (عليه السلام)؟ فقال: «يا أبا محمّد إنا أهل بيت لا نوقت وقد قال محمّد (صلى الله عليه وآله): كذب الوقتون، يا أبا محمّد إن قدام هذا الأمر خمس علامات أولاهن النداء فى شهر رمضان، وخروج السفينانى، وخروج الخراسانى، وقتل النفس الزكية وخسف بالبيداء» (٢)، لأن الظهور أمر استأثر به الله تعالى وأدعاء العلم به كذب وافتراء وتعدي لحدود الله.

وبيان آخر: أنه عندنا قيامه صغرى وهى ظهور الإمام وقيامه وسطى وهى دوله الرجعه وقيامه كبرى وهى المعهوده للأذهان، لذلك فإنّ ظهور الإمام (عليه السلام) نوع من الغيب قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣)، وقال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّيِّئَةِ أَتَرَأَى أُنْيَانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقَلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعَثَهُ يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤)، وهذه الساعه لها ثلاث مراحل: صغرى ووسطى وكبرى.

وهذا لا- يمنع التوقيت من المعصومين (عليهم السلام) سواء أكان التوقيت بمعنى الحاله أم بمعنى التوقيت الزمانى المشروط أو المعلق لأنهم (عليهم السلام)

ص: ٥٥٥

١-١) كمال الدين: ٤٨٤/ باب ٤٥/ ح ٤.

٢-٢) كتاب الغيبه للنعمانى: ٣٠١/ باب ١٦/ ح ٦.

٣-٣) الأحزاب: ٣٣.

٤-٤) الأعراف: ١٨٧.

خارجون تخصصاً عن هذا المنع إذ هذا المنع من التوقيت هو منع شرعى وعقلى، أما الشرعى فبمقتضى الروايات، وأما العقلى فلأن الظهور أمر غيبى استأثره الله لنفسه، نعم ذكر لذلك علامات حتميه وغير حتميه لكن البداء يمنع ذكر زمان معين محدّد له، فالظهور أمر تابع ومرتبط باللوح والقضاء والقدر وما ينزل من بداء... لذا لم نجد فى الروايات المؤقّته أى تحديد زمانى تقويمى ولا- يمكن لأحد ادّعاءه والأئمّه (عليهم السلام) لم يوقّتوا بالتوقيت الزمانى المطلق بل بالتوقيت العلامى أى هناك علامات إذا تحقّقت بقيت إرادته الله فقط.

أما التوقيت من غير المعصوم فممنوع وغير مقبول بجميع أنواعه وأشكاله لأن الظهور المبارك يبقى فى علمه تعالى ومن أطلعه عليه وهم فقط الأئمّه المعصومون، وهذا نظير الكثير من الأسباب والمسببات التى بينها فى منظومه دينه ولكنه تعالى احتفظ بتقسيم ذلك كالأعمار والأرزاق... فإنها تتأثر وتتغير وفق معادلات دقيقه من الصدقه وصله الرحم... و... فإنه تعالى يقول: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (١) إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلا وأخذ عليه الإيمان بالبداء لكن لا بمعنى الجهل فى الساحة الربوبيه وإنما بمعنى أنه الله أن يفعل ما يشاء قضاءً مبرماً وينسخ الله ما يشاء ضمن حكيمته تعالى وعلمه الغالب فلا يمكن أن تحتم شيئاً على الله تعالى ما دام البداء موجوداً.

وهذا لا- يمنع من تحقيق مقتضيات الانتظار والترقب كما تقدّم بل لا مانع من متابعه العلامات المبيّنه فى الروايات فإن تحقّقت فنتوقّع

ص: ٥٥٦

١- (١) الرعد: ٣٩.

ونتأمل الظهور بإرادته تعالى لا بالتوقيت إذ لا بأس بأن نتفائل بشيء بعد تحقيق أسبابه ومقدماته وأن لا نحتم شيئاً عليه تعالى أو ادعاء العلم به، أما من يدعى العلم به فإما أن يدعى أنه عنده علم الله وإما أن يدعى الألوهية من حيث يشعر أو لا يشعر والعياذ بالله من الضلال والمضلين وقد تقدم أن أكبر أسباب الظهور هو انتشار منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بين الأمم.

وفقنا الله وإياكم لأن نكون من أنصاره ومنتظريه والمتربيين لدولته (عليه السلام) وممن يقوم بالواجب والمسؤولية تجاهه ويحمل على عاتقه مثل هذه العقيدة ببصيره نافذه وصلى الله على محمد وآله الطاهرين (1).

ص: ٥٥٧

١ - ١) انتهى تقرير ما أفاده سماحه الشيخ السند في الرابع من شهر رمضان المبارك في سنة (١٤٢٨هـ-) في النجف الأشرف بتوفيق من الله تعالى ودعوات المؤمنين.

القرآن الكريم.

الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت علي أكبر غفاري/ جماعه المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ المفيد/ ت أستاذ ولى/ علي أكبر غفاري/ جماعه المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ١/ ١٤١٧هـ- مؤسسه البعثه.

الأمالى: السيد المرتضى/ نشر مكتبه المرعشى النجفى/ قم/ ١٤٠٣هـ.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

الاعتقادات فى دين الإماميه: الشيخ الصدوق/ ط ٢/ نشر دار المفيد/ ١٤١٤هـ.

أجوبه المسائل المهنايه: العلامة الحلّى.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعه المدرسين/ قم.

إختيار معرفه الرجال: الشيخ الطوسى/ مؤسسه آل البيت (عليهم السلام)/ قم/ ١٤٠٤هـ.

الإحتجاج: الطبرسى/ مطبعه النعمان/ النجف الأشرف / ١٣٦٨هـ.

إعلام الورى: الطبرسى/ مؤسسه آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ط ١/ ١٤١٧هـ.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسه آل البيت لإحياء التراث/ قم.

الأسرار الفاطميه: المسعودى/ رابطه الثقافه الإسلاميه/ لندن/ ١٤٢٠هـ.

أنوار الملكوت فى شرح الياقوت: العلامة الحلّى.

أنيس الموحدين: الملاً مهدي النراقى.

أوائل المقالات: الشيخ المفيد: دار المفيد/ الطبعة الثانيه/ بيروت ١٤١٤هـ.

البايون والبهائيون: د. همتى.

بحار الأنوار: المجلسي / مؤسسه الوفاء / بيروت / ١٤٠٣ هـ - .

البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: المتقى الهندي / مطبعة الخيام / قم.

البداهة والنهاية: ابن كثير الدمشقي / ط / ١ / ١٤٠٨ هـ - / مط دار إحياء التراث العربي.

البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي / دار الزهراء / بيروت / ط / ٤ / ١٩٧٥ م.

تاج العروس: محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي.

تاريخ أصفهان: الحافظ الأصفهاني.

تجريد الاعتقاد: نصير الدين الطوسي / ط: مؤسسه النشر الإسلامي / قم / ١٤٠٧ هـ - .

تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه و آله): ابن شعبه الحراني / ت علي أكبر غفاري / ط / ٢ / ١٤٠٤ هـ - / جماعه المدرسين / قم.

التفسير الكبير: الفخر الرازي.

تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي الجياني.

تفسير العياشي: العياشي / المكتبة العلميه الإسلاميه / طهران / ١٣٨٠ هـ - .

تفسير القمي: علي بن إبراهيم / مؤسسه دار الكتاب / قم / الطبعة الثالثه / ١٤٠٤ هـ - .

تفسير البرهان: البحراني.

تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقي / دار المعرفه / بيروت / ١٤١٢ هـ - .

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / دار الكتب الإسلاميه / طهران.

جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي / المطبعة العلميه / قم / ١٣٩٩ هـ - .

الجغرافيه السياسيّه للشيعة: فرانسو توال.

خاتمه المستدرک: النوري الطبرسي / ت مؤسسه آل البيت / قم / ط / ١ / ١٤١٥ هـ - .

الخرائج والجرائج: قطب الدين الراوندي / مؤسسه الإمام المهدي / قم.

الدر المثور: جلال الدين السيوطي / ط / ١ / ١٣٦٥هـ - مط الفتح جده / دار المعرفة.

دلائل الإمامة: الطبري (الشيخي) / مؤسسه البعثه / قم / ١٤١٣هـ - .

ص: ٥٦٠

رجال النجاشي: النجاشي / ت الزنجاني / ط / ٥ / ١٤١٦ هـ - / جماعه المدرسين / قم.

رجال الكشي: الكشي / طبع مؤسسه أهل البيت (عليهم السلام).

رسائل في الغيبه: الشيخ المفيد / تحقيق: علاء آل جعفر.

رسائل المرتضى: الشريف المرتضى / نشر دار القرآن الكريم / قم / ١٤٠٥ هـ - .

رساله في أصول الدين: المحقق القمي.

روضه الكافي: الكليني / دار الكتب الإسلاميه / طهران (الطبعه الثالثه) / ١٣٨٨ هـ - .

روضه الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري / منشورات الرضى / قم.

رجال أبي داود: الحسن بن علي بن داود الحلبي / المطبعه الحيدريه / النجف ١٣٩٢ هـ - .

رجال النجاشي: النجاشي / جماعه المدرسين / قم / ١٤٠٧ هـ - .

سر السلسله العلويه: أبو نصر البخاري / المطبعه الحيدريه / النجف ١٣٨١ هـ - .

شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي النجفي / مكتبه آيه الله المرعشي / قم.

شرح الأخبار: القاضي النعماني المغربي / مؤسسه النشر الإسلامى / قم.

شرح الفصوص: القيصرى.

شرح أصول الكافي: المازندراني / دار إحياء التراث العربى / بيروت / ١٤٢١ هـ - .

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري / مط دار الفكر بيروت.

صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابوري / دار الفكر بيروت.

صحيفه المهدي: جواد القيومى الأصفهاني / مؤسسه النشر الإسلامى / ط / ٢ / قم.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ابن حجر العسقلاني.

عيون أخبار الرضا (عليه السلام): الصدوق / مؤسسه الأعلمى / بيروت / ١٤٠٤ هـ - .

العرائس: الثعلبي.

عوالى اللئالى: ابن أبى جمهور الاحسائى / الطبعه الأولى / ١٤٠٣هـ / - / قم.

عمده القارئ: العینى.

ص: ٥٦١

عيون أخبار الرضا (عليه السلام): الصدوق/ الأعلمی/ بیروت ۱۴۰۴ ت حسین الأعلمی.

الغیبه: الطوسی/ مؤسسه المعارف الإسلامیة/ الطبعة المحققة الأولى/ ۱۴۱۱هـ..

الغیبه: النعمانی/ مكتبه الصدوق/ طهران.

غریب الحدیث: الهروی/ دائره المعارف العثمانیه/ ط/ ۱/ ۱۳۸۴هـ..

الغرر والدرر: السید المرتضی.

فرق الشیعه: النوبختی.

فقه الرضا: المنسوب للإمام الرضا/ مؤسسه آل البيت/ قم/ ط الأولى ۱۴۰۶هـ..

القصص: المیرزا التنکابنی.

کامل الزیارات: ابن قولویه القمی/ ت القیومی/ ط/ ۱/ ۱۴۱۷ مؤسسه النشر الإسلامی.

کمال الدین وتمام النعمه: الصدوق/ مؤسسه النشر الإسلامی/ قم/ ۱۴۰۵هـ.

کشف الغمه فی معرفه الأئمه: الأربلی/ ط/ ۲/ ۱۴۰۵هـ-/ دار الأضواء/ بیروت.

کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد: العلامه الحلی/ مؤسسه النشر الإسلامی/ قم/ ۱۴۱۷هـ..

کشف الغطاء: الشیخ جعفر کاشف الغطاء/ منشورات مهدوی/ إصفهان.

کنز الدقائق: المیرزا محمد المشهدی/ مؤسسه النشر الإسلامی/ قم/ ۱۴۰۷هـ..

کنز الفوائد: أبو الفتح الکراجکی.

لؤلؤه البحرین: الشیخ یوسف البحرانی.

اللهور فی قتلی الطفوف: السید علی بن طاووس/ ط/ ۱/ ۱۴۱۷هـ-/ مط مهر.

المحاسن: أحمد بن محمد البرقی/ ت جلال الدین الحسینی/ دار الکتب الإسلامیة.

المزار: الشهید الأول/ تحقیق ونشر مدرسه المهدي (عليه السلام)/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۰هـ..

المزار: الشیخ المفید/ ط/ ۱/ مط مهر/ قم/ تحقیق ونشر مدرسه الإمام المهدي (عليه السلام).

المزار: محمد بن المشهدى / مؤسسه النشر الإسلامى / قم / الطبعه الأولى / ١٤١٩ هـ - .

ص: ٥٦٢

مشارك أنوار اليقين: رجب البرسى / مؤسسه الأعلمی / بیروت / ١٤١٩ هـ - .

معجم رجال الحديث: السيد الخوئی / الطبعة الخامسة / ١٤١٣ هـ - .

معجم أحاديث الإمام المهدي: مؤسسه المعارف الإسلامیة / قم / ط / ١ / ١٤١١ هـ - .

مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمی / الطبعة الأولى / قم / ١٤٢١ هـ - .

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي .

مجمع البيان: الطبرسى / مؤسسه الأعلمی / بیروت / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - .

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر غفاري / ط ١٣٦١ هـ - / انتشارات إسلامی .

معجم رجال الحديث: السيد الخوئی / ط / ٥ / ١٤١٣ هـ - / ت لجنه .

معالم العلماء: ابن شهر آشوب .

مجمع الزوائد: الهيتمي / دار الكتب العلميه / بیروت / ١٤٠٨ هـ - .

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) / مؤسسه الأعلمی / بیروت / ١٤٠٠ هـ - .

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي / مؤسسه فقه الشيعة / بیروت / ١٤١١ هـ - .

مصباح البلاغه: حسن المير جهاني الأصفهاني / ١٣٨٨ هـ - .

مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل: النوري / مؤسسه آل البيت / ط / ١ / ١٤٠٨ هـ - .

مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل / طبع ونشر دار صادر / بیروت .

مشكاة الأنوار: أبو الفضل علي الطبرسى / دار الحديث / قم / الأولى .

من لا يحضره الفقيه: الصدوق / جماعه المدرسين / قم / ط / ٢ / ١٣٩٢ هـ - .

المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمی .

الملل والنحل: الشهرستاني / دار المعرفة / بیروت .

مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسى / الطبعة السادسة / ١٣٩٢ هـ - .

الملاحم والفتن: ابن طاووس / مؤسسه صاحب الأمر / قم / ط: الأولى ١٤١٦ هـ - .

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ت مجموعه ط / ١٣٧٦ مط الحيدريه / النجف.

ص: ٥٦٣

منتخب الأثر: لطف الله الصافي الكلبايكاني / مكتب المؤلف / ط / ١ / ١٤٢٢ هـ - .

الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي / مؤسسه النشر الإسلامي / جماعه المدرسين / قم.

ميزان الحكمة: محمّد الرى شهرى / دار الحديث / قم / الطبعة الأولى.

نهج البلاغه: خطب الإمام عليّ (عليه السلام) / ت محمّد عبده / الناشر دار المعرفه / بيروت.

النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: نعمه الله الجزائري.

وسائل الشيعة: الحر العاملي / ط / ٢ / ١٤١٤ مؤسسه آل البيت (عليهم السلام) / مط مهر / قم.

ينابيع الموده: سليمان القندوزى الحنفى / ت عليّ الحسينى / ط / ١ / ١٤١٦ هـ - / دار الأسوه.

ص: ٥٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩